قِـــرَاءاتٌ

فِــــي

الْعَقِيدَةِ وَفَلْسَفَةِ الْعِلْمِ

تأليف الأستاذ الدكتور

محمد حسيني موسى محمد الغزالي

عميد المركز الثقافي الاسلامى بالشرقية

الطبعة الثالثة

١٤٢٦هـ - ٢٠٠٥م

بسم الله الرحمن الرحيم

من حِكم الإمام علي كرم الله وجهه قال:

صُنِ النّفْسَ وأحْمِلها على ما يُزيِنُهـا
تَعِش سَالماً والقول فيك جميـلُ
ولا تريِنّ الناس إلا تَجمّـلاً
نَبَابِكَ دَهرٌ أو جفاك خَليـلُ
وإن ضَاقَ رزقُ اليومِ فاصْبِر إلى غَدٍ
عسى نَكَبَاتُ الدهر عنك تـزولُ
يَعِزّ غَنيّ النفسِ وَإنّ قَلّ مَالُـهُ
وَيغْنَى غِنيُّ المالِ وهو ذَليـلُ
وَلاَ خيرَ في وِدٍّ امرئُ متلَـوّنٍ
إِذا الريحُ مَالَتْ مَالَ حيثُ تَميلُ
جَوادٌ إذا اسْتَغْنَيتَ عن أخذ مَالِـه
وعند احتمالِ الفقرِ عَنكَ بَخيـلُ
وَما أكثَرَ الإخوانِ حِينَ تَعُدّهـمْ
ولَكِنهمْ في النّائبَاتِ قَليـل

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

إِهْــدَاءٌ

إِلَــــى ..

كَرِيمِ الْأَخْلَاقِ

تَلِيدِ الْأَعْرَاقِ

الأستاذ الدكتور

محمد صلاح عبده محمد عبد الرحيم

مع أرق تحية وخالص التقدير

محمد الغزالي

مقدمة

الحمد لله لا إله سواه، ولا معبود بحق إلاه، خلق الإنسان فسواه، وعلى سائر المخلوقات المكلفة أعلاه، وبين أنه جل علاه ميزه بما ابتغاه، قال تعالى : ﴿وَلَقَدْ كَرَّمْنَا بَنِي آدَمَ وَحَمَلْنَاهُمْ فِي الْبَرِّ وَالْبَحْرِ وَرَزَقْنَاهُم مِّنَ الطَّيِّبَاتِ وَفَضَّلْنَاهُمْ عَلَى كَثِيرٍ مِّمَّنْ خَلَقْنَا تَفْضِيلاً﴾(١).

ونشهد أن لا إله إلا الله شهادة تنجينا من عذابه يوم لقاه، وتجعلنا دائماً فى هداه، فليس أعز من رضاه، ولا أقرب لنا منه جل علاه، نناجيه، فى السراء والضراء لا نبتغى سواه، ربنا آمنا بما أنزلت واتبعنا الرسول فاكتبنا مع الشاهدين.

ونشهد أن سيدنا محمداً رسول الله، ختم الله به رحلة الهداة، وجعله خاتماً لكل من سواه، وهيء له رؤيته فى معراجه بعد مسراه، وخاطبه ربه من حيث لا يسمع إلا هو نداه، قال تعالى : ﴿وَمَا يَنطِقُ عَنِ الْهَوَى إِنْ هُوَ إِلا وَحْيٌ يُوحَى عَلَّمَهُ شَدِيدُ الْقُوَى ذُو مِرَّةٍ فَاسْتَوَى وَهُوَ بِالأُفُقِ الأَعْلَى ثُمَّ دَنَا فَتَدَلَّى فَكَانَ قَابَ قَوْسَيْنِ أَوْ أَدْنَى فَأَوْحَى إِلَى عَبْدِهِ مَا أَوْحَى مَا كَذَبَ الْفُؤَادُ مَا رَأَى أَفَتُمَارُونَهُ عَلَى مَا يَرَى وَلَقَدْ رَآهُ نَزْلَةً أُخْرَى عِندَ سِدْرَةِ الْمُنتَهَى عِندَهَا جَنَّةُ الْمَأْوَى إِذْ يَغْشَى السِّدْرَةَ مَا يَغْشَى مَا زَاغَ الْبَصَرُ وَمَا طَغَى﴾(٢).

اللهم صلى وسلم وبارك عليه الرحمة المهداة، والنعمة المسداة، والسراج المنير للهداة، وعلى آله وأصحابه وأتباعه أهل الله الذين كانوا عطاءً ونوراً نحو رضاه.

وارضى اللهم عن علمائنا الأبرار وأهلينا وأزواجنا وزرارينا، واجعلنا يا ربنا فى نعمة من عندك، ومتعنا بالنظر إلى وجهك واجعل قلوبنا متجهة إليك لا إلى غيرك، واجعلنا من أهل الشفاعة التى خصصتها لنبيك،

---

١) سورة الإسراء، الآية ٧٠.

٢) سورة النجم، الآية ١٧.

واسقنا من حوضه الشريف وأنزلنا منازل القبول عندك، ﴿ وَقُل رَّبِّ أَدْخِلْنِي مُدْخَلَ صِدْقٍ وَأَخْرِجْنِي مُخْرَجَ صِدْقٍ وَاجْعَل لِّي مِن لَّدُنكَ سُلْطَانًا نَّصِيرًا ﴾[١].

أما بعد،

فإن دراسة العلوم العقدية أمر مهم جداً، على أساس ان العقيدة القلبية فطرية وأنها الشيء الوحيد الذى يولد المرء فيه مزوداً به من قبل الله عز وجل، وهى لذا فطرية فى النفوس والعقول والقلوب، لأنها لا تتحرك إلا نحو الله عز وجل، ولا يستدل بها إلا على الله عز وجل ولا تكون متجهة على الحقيقة إلا إليه، قال تعالى : ﴿ فَأَقِمْ وَجْهَكَ لِلدِّينِ حَنِيفًا فِطْرَةَ اللَّهِ الَّتِي فَطَرَ النَّاسَ عَلَيْهَا لَا تَبْدِيلَ لِخَلْقِ اللَّهِ ذَلِكَ الدِّينُ الْقَيِّمُ وَلَكِنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ لَا يَعْلَمُونَ ﴾[٢].

ولما كانت العقيدة الدينية يعبر عنها بألفاظ منطوقة، وعبارات مكتوبة فقد صارت من هذه الناحية عقيدة تأليفية معرفية نظرية يتم بحث جوانبها العلمية والتدريب عليها بحيث يتمكن المتقن لها من عرضها، والدفاع عنها وهو أمر مهم بالنسبة لمن يتصدى للعقيدة بالكتابة والتأليف، وعلم التوحيد عندنا نحن المسلمين يقوم بهذا الدور على وجه مفيد جداً.

غير أن العقيدة الدينية على الجانب المعرفى بدأت تتداخل معها قضايا العلم النظرى الحادث يستوى فى ذلك ما يتعلق بالعلم أو فلسفة العلم، وما يتعلق بالجوانب النظرية والتطبيقية بل والسلوكية أيضاً.

من هنا كانت الحاجة ماسة لتقديم وجهة نظر الباحث المسلم فى العلاقة بين العقيدة والفلسفة العلمية، يقول الدكتور محمود زكى : إن فلسفة العلم تتداخل مع العقيدة من جهات كثيرة، حتى صار التعبير عن القضايا العقدية يستلزم الصياغة العلمية، بل ويستدعى قواعد العلم وقوانينه لتكون فى خدمة العقيدة الدينية[٣].

وكان علماء الإسلام الأوائل يكتبون فى هذه العلاقة من باب إثبات العقيدة الدينية بالطرق المختلفة، تحت عنوان : أدلة إثبات الصانع، فهم يوظفون العلم

---

١) سورة الإسراء، الآية ٨٠.

٢) سورة الروم، الآية ٣٠.

٣) الدكتور / محمد زكى الفلسفة والعلم، ص٤٣، ط أولى، ١٩٧١م.

ومسائله، وقضاياه ومناهجه لخدمة العقيدة الدينية، لأنها الأسمى، كما كان من بعدهم يقوم بهذه المهام لأن العقيدة الإسلامية هى أسمى ما يحافظ عليه المسلم، لأنها تربطه بالله عز وجل، بل هى صلب العلاقة القائمة فى عقيدة المرء نفسه.

يقول الدكتور رمضان : ان علماء الإسلام أخذوا فلسفة العلم ليؤيدوا قضايا الدين دون أن يعلنوا عن ذلك، ومن أبرز الجهود فى هذا الميدان، ما يتعلق بصياغتهم للمنطق وتوظيفهم له[1].

والذى يرجع إلى جهود علمائنا المسلمين يراهم قد استخدموا لغة العلم لخدمة قضاياهم الدينية فكانوا بذلك سابقين إلى تجديد الخطاب الدينى، ولا يفاجأ القارىء بأمر غريب كنتائج لما ذكرناه، وإنما عليه أن يراجع للإمام الرازى أسرار التنزيل وأنوار التأويل، وسوف يرى ذلك العالم كيف استطاع أن يجعل فلسفة العلم خادمة لقضايا العقيدة.

غير أن كلمة مصطلح فلسفة العلم قد يراه البعض مرادفاً من حيث المفهوم للتحليل المنطقى لقضايا العلم أو لغته، وقد ينصرف الذهن فى أغلب حالاته إلى اعتبار فلسفة العلم بحثاً فى المناهج الإستقرائية أو بحثاً فى منطق الاستقراء[2].

ولما كان مصطلح فلسفة العلم يتناول ميتافيزيقا العلم ويلح على الجوانب المعرفية، ويسعى لتكوين جوانب لها علاقات بالعلم النظرى ومحاولة تطبيقه، فإن هناك العديد من الاحتكاكات التى تقع بين الباحثين فى فلسفة العلم، وبين الباحثين فى العلوم النظرية وكذلك المعنيين بدراسة المباحث الكلامية.

وحيث رأينا الكثير من هذه الاحتكاكات والتعاملات، وقد ترتب عليها العديد من أوجه الخلاف أو التلاقى فقد صار من واجب الباحث المسلم النظر فى هذه العلاقة من خلال منهج يقوم على قول الله تعالى : ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا كُونُوا قَوَّامِينَ لِلَّهِ شُهَدَاءَ بِالْقِسْطِ وَلَا يَجْرِمَنَّكُمْ شَنَآنُ قَوْمٍ عَلَى أَلَّا تَعْدِلُوا اعْدِلُوا هُوَ أَقْرَبُ لِلتَّقْوَى وَاتَّقُوا اللَّهَ إِنَّ اللَّهَ خَبِيرٌ بِمَا تَعْمَلُونَ﴾[3]، فإذا كان هناك بعض

---

١) الدكتور / محمود رمضان، الإسلام وفلسفة العلم، ص٣-٤، ط أولى، ١٩٦٣م.

٢) الدكتور / صلاح قنصوة، فلسفة العلم، ص١١، ط ٣، ٢٠٠٢، الهيئة المصرية العامة للكتاب.

٣) سورة المائدة، الآية ٨.

الباحثين، وسعوا الشقة بين العلم والعقيدة الإلهية، فإن هناك من خلطوا بينهما خلطاً لم تعرف أصول أى منهما.

ففى الأول يقع الإفراط، وفى الثانى يقع التفريط، وحيث انتدبنا أنفسنا لبحث العلاقة القائمة بين الكتابات فى العقيدة وبين الدراسات فى فلسفة العلم فإن الأمر عندنا لابد أن تراعى فيه عقيدتنا الإسلامية، وهى تأمرنا بالحيدة بجانب العدل، والموضوعية وهو ما سوف نلتزم به فى هذه الدراسة، كما نلتزم به فى كل ما نعتقد ونعمل ونقول أو ننوى سائلين الله عز وجل أن يجعل هذا العلم مقبولاً، وأجره موصولاً أنه نعم المولى ونعم النصير.

الفصل الأول

تحديد المفاهيم

من المؤكد أن الباحث فى أى علم من العلوم لابد أن يحدد موضوع بحثه، وهو ما يعرف باسم : الوصف العنوانى لأنه متى وضع فى حسبانه السير فى موضوع بعينه فلابد أن يتسلح نفسه بالوسائل الضرورية التى تعينه على الوصول إلى النتائج فى سهولة ويسر، بجانب الثقة والاطمئنان، وإلا كان كمن يخبط فى صحراء بين جنبات ليلة ظلماء يبحث عن لقيطة سوداء، وسوف ينقضى منه الليل ويضيع الجهد، ويرى أن ما اعتبره لقيطة سوداء كان مجرد خيال حالم، أو طيف أمل أن يصطاد الحيتان من قعر المحيط.

بناءً على ما سلف فلابد من تحديد هذه المفاهيم.

<u>المفهوم الأول : العقيدة الدينية :</u>

ينصرف لفظ العقيدة فى اللغة إلى كل ما يعقد المرء عليه قلبه ونفسه وعقله، فيكون الأمر معه كعقدة الحبل أو عقدة الرأس، ولذا يقال بين الرجلين تعاقداً لكونهما مثلاً طرفى حبل انعقد على شيء واحد[١]، وبهذا المعنى تكون العقيدة هى التى تمسك المرء من أطرافه كلها، فلا يتصرف له فى شيء إثباتاً أو تركاً إلا من خلال القاعدة الأعلى، وأعنى بها : العقيدة الدينية.

كما تطلق العقيدة على ما يمسك شيئين ويحكمهما فى وصلهما، فلا يستطيع أحدهما الانفصال عن الآخر، ومثله الملك وتاجه، فإذا خلع الملك تاجه، لم يعد ملكاً، إذا سقط التاج من فوق رأس الملك لم يعد تاجاً ملكياً، والعقيدة بناءً على ذلك هى التى تجعل المرء المؤمن قائماً على شرع الله ممسكاً به محافظاً عليه، إذ لا وجود له إلا به[٢].

---

١) المعلم بطرس البستانى : قطر المحيط، باب العين، فصل القاف وما يثالثهما.

٢) الدكتور / محمد حسينى موسى محمد الغزالى : مقدمة ضرورية فى نشأة الفرق الكلامية، ص٩١

ثم ان العقيدة تجيء من المعاهدة حيث يقال : عاقد فلان الآخر بمعنى : عاهده على الاستمرار فى طريق الحق حتى النهاية، والعقيدة إنما هى توثيق مستمر بعقد دائم بين الله وخلقه، لأن الله هو الخالق، وهذه المخلوقات ملك له، وشأن هذه العقيدة أن تجعل المخلوق مرتبطا بتعليمات الخالق لا ينفصل عنها أبداً.

يقول الشيخ على السعيد : ان العقيدة الدينية تلزم صاحبها بما أوجبه الله عليه فى قوله تعالى : ﴿وَإِذْ أَخَذَ رَبُّكَ مِن بَنِي آدَمَ مِن ظُهُورِهِمْ ذُرِّيَّتَهُمْ وَأَشْهَدَهُمْ عَلَى أَنفُسِهِمْ أَلَسْتُ بِرَبِّكُمْ قَالُوا بَلَى شَهِدْنَا أَن تَقُولُوا يَوْمَ الْقِيَامَةِ إِنَّا كُنَّا عَنْ هَذَا غَافِلِينَ﴾[1]، فالعقيدة الدينية إنما هى السياج الذى يحمى المرء من الانفلات ويربط قلبه حتى لا يضل ولا يشقى.

أضف إلى ما سبق ان العقيدة الدينية الصحيحة تجعل صاحبها ممسكاً بالتكاليف الشرعية تمسكاً لا يمكنه التزحزح عنه، وقد ضرب أهل اللغة المثال بالبناء حيث يكون من لبنات، ثم تتماسك فيصعب فصلها، وكذلك العقيدة، فهى ما لا يشك معتقده فيه، ويتمسك به، ويتزحزح عنه كعقيدتنا نحن المسلمين فى الله عز وجل وبعثه الرسل، واليوم الآخر، وكل ما جاء معبراً عن العقيدة الإيمانية التى جاءت بها النصوص الشرعية من مثل قوله تعالى : ﴿آمَنَ الرَّسُولُ بِمَا أُنزِلَ إِلَيْهِ مِن رَّبِّهِ وَالْمُؤْمِنُونَ كُلٌّ آمَنَ بِاللَّهِ وَمَلَائِكَتِهِ وَكُتُبِهِ وَرُسُلِهِ لَا نُفَرِّقُ بَيْنَ أَحَدٍ مِّن رُّسُلِهِ وَقَالُوا سَمِعْنَا وَأَطَعْنَا غُفْرَانَكَ رَبَّنَا وَإِلَيْكَ الْمَصِيرُ﴾[2].

ومصطلح العقيدة الدينية عندنا نحن المسلمين هو ما جاء من عند الله فى كتابه، وعلى لسان رسوله متعلقاً بأدلة إثبات وجود الله وسائر صفاته، بجانب مـ

---

١) سورة الأعراف، الآية ١٧٢. وإذ أخذ ربك من بني آدم من ظهورهم ذريتهم قال أخذ من ظهره كما يؤخذ بالمشط من الرأس فقال لهم ألست بربكم قالوا بلى قالت الملائكة شهدنا أن تقولوا يوم القيامة إنا كنا عن هذا غافلين، وقال رسول الله ﷺ : "إن الله خلق آدم عليه السلام ثم مسح ظهره بيمينه فاستخرج منه ذرية قال خلقت هؤلاء للجنة وبعمل أهل الجنة يعملون ثم مسح ظهره فاستخرج منه ذرية قال خلقت هؤلاء للنار وبعمل أهل النار يعملون فقال رجل يا رسول الله ففيم العمل قال رسول الله صلى الله عليه وسلم إذا خلق الله العبد للجنة استعمله بأعمال أهل الجنة حتى يموت على عمل من أعمال أهل الجنة فيدخله به الجنة وإذا خلق العبد للنار استعمله بأعمال أهل النار حتى يموت على عمل من أعمال أهل النار فيدخله به النار وهكذاً". رواه أبو داود عن القعنبي والنسائي. تفسير ابن كثير، جـ ٢، ص٢٦٣.

٢) سورة البقرة، الآية ٢٨٥.

يجوز له وما يجب وما يستحيل عليه، وكذلك الملائكة والكتب والرسل، واليوم الآخر، بما فيه من ثواب أو عقاب، وجنة أو نار، إلى غير ذلك مما عرفناه عن طريق السمع المعصوم[1].

لأن هذه المسائل لا يمكن للعقل أن يصل إليها وحده، وإنما غاية ما يمكنه هو الوقوف على بعضها، ومن هنا كان مصدر العقيدة الإلهية على طريق الاستقلال ما جاءنا من عند الله رب العالمين، ومن هنا كان من الضرورى توضيح مصطلح العقيدة.

---

١) يطلق السمع المعصوم على ما جاءنا من عند الله عن طريق رسول الله ﷺ مما يتعلق بالأمور السمعية.

العقيدة

العقيدة هي أسمى ما يحافظ عليه المعتقد. بل وأرقى الأمور بالنسبة لصاحبها إنها علاقة بالخالق العظيم جل علاه. وعلى أساس صحتها أو فسادها يتحقق للناس أمر السعادة إن كانت العقيدة صحيحة. أويقع لهم أمر الشقاء متى كانت العقيدة فاسدة. أوغير صحيحة. بل إن الأعمال الحقة تزكو من خلال العقيدة السليمة. وسلامة المجتمعات تحققها العقيدة ليس إلا.

بيد أن لفظ العقيدة يمثله مصطلح يقف بجوار اللغة بحيث يتحدد المعنى المراد ذلك لأن " المصطلح العلمي هو اللفظ الذي يقف عليه العلماء ليدلوا به على شيء محدود. ويميزوا به معاني الاشياء بعضها عن بعض (١) متى كانت المعاني متقاربة واللفظ واحد كما هو الحال في لفظ العقيدة الذي يطلق على :

١- التأكيد : ومنه قولهم. عقدت اليمين بمعنى أكدته. وربما أستدل له بقوله تعالى " لايؤاخذكم الله باللغو في أيمانكم ولكن يؤاخذكم بما عقدتم الايمان"(٢) وأنه " يدل على توكيد اليمين نحو والذي لاإله الا هو " (٣)

٢- مايدين به الانسان : ومنه قولهم : العقيدة مايدين الانسان به. وله عقيدة حسنة سالمة من الشك والبطلان.

٣- الشيء المؤثق : ومنه قولهم : العقدة مايمسكه ويوثقه.

٤- المعاهدة والمعاقدة. ومنه قولهم عقدته عليه بمعنى عاهدته(٣).

---

(١) الاستاذ /سعيد زايد - مفاتيح العلوم للخوارزمي صه الهيئة المصرية العامة للكتاب ١٩٩٦ أولى.

(٢) سورة المائدة الآية ٨٩.

(٣) الفتوحات الالهية بتوضيح تفسير الجلالين حا صـ٥٢١ ط دار النار.

٥- الأحكام والابرام : ومنه قوله تعالى : عقدة النكاح فى قوله تعالى ولا تعزموا عقدة النكاح حتى يبلغ الكتاب أجله .

٦- مايختفى فى القلب والضمير: ومنه جاء القول " عقدت عليه قلبى وأخفيته فى ضميرى .

٧- الجمع مع الاتقان . ومنه قولهم : أعتقدت مالا أى جمعته " (٢).

٨- الغموض : ومنه قولهم : هذا رأى غامض أى معقد . وكلام معقد أى غامض غير واضح (١)

٩- الكثافة والسمك . ومنه قولهم عقد عقد الرب بمعنى غلظ سمكا وزاد كثافة .

١٠- الضيعة : وقد أطلق فقيل عقدة الضيعة .

من هذه المعانى وغيرها تردد أسم العقيدة . كما ترددت مادة ع ق د . وبالتالى يمكن القول بأن مادة ع ق د . لها فى لغة العرب دلالة واضحة محددة . وأن اختلفت تلك المعانى فيمابينهما الاأنها فى النهاية تؤدى إلى معنى عام يمكن أستخلاصه منها جميعا . ويكون بمثابة الدليل عليها والتعريف بها ويمكن تعريف العقيدة فى اللغة بأنها .

ما يدين به المرء مؤكدا عليه . مع الاحكام والتعاهد على القيام بتبعاته .

وهذا التعريف ليس حديا بمعنى أنه ليس من التعاريف المنطقية التى تكون جامعة مانعة وأنما هو من قبيل التعاريف القاموسية التى يراعى فيها الاقتباس اللغوى وحده .

---

(١) المصدر السابق صـ٤٢١ .

(٢) مختار الصحاح مادة عقد صـ٤٦٨ .

كما يمكن تعريفها فى اللغة بأنها : مايضمر فى القلب . وينعقد النية عليه بشكل كامل . وليس هذا التعريف الوحيد في ميدان اللغة . وأنما بجانب هذين التعريفين يوجد أخر مؤداه أن العقيدة هى جملة مايعتقد . فإنا أردنا التركيز على هذه التعريفات اللغوية ووضعها فى ترتيب تبدو فيه العبارة الموجزة أمكن ذلك على النحو التالى :

أ- العقيدة فى اللغة هى جملة ما يعتقد .

ب- العقيدة فى اللغة هى مايضمر فى القلب . وتنعقد النية عليه بشكل كامل .

جـ- العقيدة فى اللغة هى ما يدين به المرء مؤكدا عليه . مع الأحكام والتعاهد على القيام بتبعاته .

فما هو تعريف العقيدة فى الاصطلاح ؟

٢- العقيدة فى الإصطلاح .

من المعلوم أن لكل قوم أصطلاحاتهم الخاصة بهم . وقد قيل : لامشاحة فى الاصطلاح . لأنه يعنى وجود قاعدة مشتركة بين قوم مخصوصين . وفى ناحية من العلم محددة . من ثم سنحاول التركيز على ذكر إصطلاحات بعينها يقوم عليها البحث ويتحقق بها أداء الغرض . فلنبدأ بذكر رأى علماء التفسير وبخاصة أن مادة - عقد - وردت فى القرآن الكريم على نحو محدد وفى أيات بعينها وهى:

١- قوله تعالى : " ولاتعزموا عقدة النكاح حتى يبلغ الكتاب أجله وأعلموا أن الله يعلم مافى أنفسكم فاحذروه وأعلموا أن الله غفور رحيم"(٢)

---

(١) المعجم المفهرس لألفاظ القرآن الكريم صـ٦٨٤ مادة ع ق د .

(٢) سورة البقرة الأيه ٢٣٥ .

٢- قوله تعالى : " وإن طلقتموهن من قبل أن تمسوهن وقد فرضتم لهن فريضة فنصف مافرضتم الا أن يعفون أو يعفوا الذين بيده عقدة النكاح وأن تعفوا أقرب للتقوى ولاتنسوا الفضل بينكم أن الله بما تعلمون بصير "(١)

٣- قوله تعالى : "ولكل جعلنا موالى مماترك الوالدان والاقربون والذين عقدت أيمانكم فأتوهم نصيبهم أن الله كان على كل شيء شهيدا"(٢).

٤- قوله تعالى : " لا يؤاخذكم الله باللغو فى أيمانكم ولكن يؤاخذكم بما عقدتم الأيمان فكفارته أطعام عشرة مساكين من أوسط ما تطعمون أهليكم أو كسوتهم أو تحرير رقبه فمن لم يجد فصيام ثلاثة أيام ذلك كفارة أيمانكم اذا حلفتم واحفظوا أيمانكم كذلك يبين الله لكم آياته لعلكم تشكرون " (٣).

٥- قولة تعالى : " يأأيها الذين آمنوا أوفوا بالعقود أحلت لكم بهيمة الأنعام الا ما يتلى عليكم غير محلى الصيد وأنتم حرم أن الله يحكم مايريد " (٤)

٦- قوله تعالى " قال رب أشرح لى صدرى ويسر لى أمرى وأحلل عقدة من لسانى يفقهوا قولى " (٥).

١- قولة تعالى " قل أعوذ برب الفلق من شر ماخلق ومن شر غاسق إذا وقب ومن شر النفاثات فى العقد ومن شر حاسد إذا حسد"(٦) ولذا سأحاول إيراد آراء علماء التفسير فى المسألة وبخاصة أن علماء التفسير يلتزمون هذا النهج حتى تقرر أن لكل علم أصطلاحه الخاص به من حيث مفرداته ومنهجه وقضاياه ومسائله والغاية . والأصطلاح فى العصر الحديث صار سمة ضرورية

---

(١) سورة البقرة الآية ٢٣٧ . (٢) سورة النساء الآية ٣٣ . (٣) سورة المائدة الآية ٨٩ .

(٤) سورة المائدة الآية ١ . (٥) سورة طه الآية ٢٥ - ٢٨ . (٦) سورة الفلق .

حتى كان علما بل " هو جزء من المنهج العلمى ، وركن أساسى فى كل علم(١)

ومن ثم سنحاول التعرف على رأى هؤلاء العلماء وذلك على النحو التالى :-

أولا علم التفسير.

قدم الراغب الأصفهانى المعانى التى يمكن قبسها من مادة ع - ق - د ويؤكد أن هناك للكلمة استعمالا أصليا وآخر منقولا على سبيل الاستعارة للمعانى فيقول : " عقد العقد هو الجمع بين أطراف الشيء . ويستعمل ذلك فى الاجسام الصلبة كعقد الحبل وعقد البناء ، ثم يستعار ذلك للمعانى نحو عقد البيع والعهد وغيرهما فيقال : عاقدته وعقدته وتعاقدنا وعقدت يمينه(٢) .

وهو بهذا يميز بين أمرين .

أحدهما الاستعمال الأصلى المراد به الحقيقة اللغوية وعليه يكون العقد هو الجمع بين أطراف الشيء والتثبيت عليها . فمثلا جمع طرفى الحبل والتثبيت عليها والتأكيد فيها يسمى عقد حبل . وجمع أطراف الثوب ثم الضغط عليها والتثبت منها يسمى عقد ثوب ووضع لبنات بجوار بعضها ثم يربط عليها بواحدة منها حتى يتماسك الجميع ضاما طرفى البناء وأطرافه يسمى عقد بنا . وهكذا فان كل شيء له طرفان أو اكثر متى جمع بعضها إلى بعض . وضم بعضه على بعض فإنه يسمى عقدا .

ثانيها الاستعمال المجازى حيث نبه الشيخ الى أنه أذا كان الأصل فى العقد هو الحسيات والاجسام الصلبة . فإن لفظ العقد يمكن أستعماله فى المعنويات

---

(١) الأستاذ / سعيد زايد مفتاح العلوم للخوارزمى ص٥ .

(٢) الراغب الاصفهانى المفردات فى غريب القرآن ص٣٤١ كتاب العين .

كما أستعمل فى الحسيات . لكن فى هذه الحاله يكون أستعمالا على سبيل المجاز العرفى لا على سبيل الحقيقة اللغوية (١) وضرب لذلك أمثلة عدة انتهى بعدها إلى أن العقد يمكن أستعماله فى غير ما وضع له حقيقة على سبيل النقل من الحقيقة الى المجاز(٢) أو الاشتقاق كل حسب أقتضاء الضرورة له.

ونزيد الأمر بيانا فنقول : إذا كان الأصل اللغوى هو أستعمال كلمة العقد فى الحسيات لكونها منضبطة فى الأجسام الصلبة فاذا نقل لفظ العقد الى المعانى مستعملا لها فلا يكون الاطلاق الاصلى هو المراد وأنما يكون المراد شيئا أخر فمثلا الفكرة . أو النية . أو الضمير . وما شابة ذلك أمور معنوية فإذا قال القائل عقد الفكرة . ويقصد أنه جمع أطراف الفكرة المرادة ثم أكد عليها بحيث تكون تلك الفكرة عنده ثابتة فلا شك أن هذه الفكرة ليست من الأجسام الصلبة وبالتالى يكون أستعمال لفظ العقد فيها من قبيل الإستعمال فى المعانى المنقول اليها اللفظ وليست على سبيل الأصل اللغوى الذى وضع لكلمة عقد . وقس على ذلك سائر المعانى مع ملاحظة ضرورة وجود علاقة بين اللفظ والمعنى المنقول اليه أو المنحوت له أو المشتق وبين المعنى الأصلى الذى وضع له فى حقيقته اللغوية . واقربها هو المجاز اللغوى أو المجاز العقلى .

وهكذا فإنه يمكن تسمية الأشياء المعنوية . وغير الصلبة . عقدا متى جمع طرفاها لكن على سبيل المجاز وليس على سبيل الحقيقة على ماسبق بيانه من ثم يمكن القول بأن العقيدة فى المعانى هى جمع أطراف الرأى بعضها الى بعض مادامت من جهه واحدة . وفى جهه واحدة . والتثبت عليها مع التأكيد حتى تصير بالنسبة لصاحبها أمرا معقودا يصعب عليه الانفكاك منه أو التخلى عنه .

(١) الحقيقة هى استعمال اللفظ فيما وضع له حقيقة .

(٢) المجاز هو استعمال اللفظ فى غير ما وضع له حقيقة لعلاقة وقرينة مانعة من ارادة المعنى الأصلى .

أنواع العقيدة

١ - العقيدة الصحيحة :

وهى التى تتعلق بالله سبحانة وتعالى على الوجه المراد شرعا وتسمى العقيدة الالهية حيث تشمل الاعتقاد بوجود الله سبحانة وتعالى بما يجب له من صفات الجلال والكمال والاكرام ، وما يستتبع ذلك من الايمان بالملائكة والكتب والرسل واليوم الاخر والقضاء والقدر.

وهذه العقيدة الحقة بلغ بها الرسلون ، وجاء بها النبيون ، ممثلوا أجزاءها وعرفوا الناس أركانها بل وجاء ذكرها فى القران الكريم والسنة النبوية المطهرة ولانجاة للمرء إلا بالايمان بها والتمسك بما فيها مع الالتزام والاتقان .

قال تعالى " آمن الرسول بما أنزل اليه من ربه والمؤمنون كل آمن بالله وملائكته وكتبه ورسله لانفرق بين أحد من رسله وقالوا سمعنا وأطعنا غفرانك ربنا واليك المصير" (١).

وقال تعالى : " قل آمنا بالله وما أنزل علينا وما أنزل على إبراهيم واسماعيل واسحاق ويعقوب والاسباط وما أتى موسى وعيسى والنبيون من ربهم لانفرق بين أحد منهم ونحن له مسلمون " (٢).

وقال تعالى :" قولوا آمنا بالله وما أنزل الينا وما أنزل إلى ابراهيم واسماعيل أسحق ويعقوب والاسباط وما أوتى موسى وعيسى وما أوتى النبيون من ربهم لانفرق بين أحد منهم ونحن له مسلمون " (٣).

---

(١) سورة البقرة الآية ٢٨٥.

(٢) سورة آل عمران الآية ٨٤

(٣) سورة البقرة الآية ١٣٦

وهنا الاطلاق قد أنصب على العقيدة الحقة . العقيدة الصحيحة كما هو الشأن فى الاستدلال بالأيات القرآنية على أمر العقيدة الالهية بل الحديث الشريف نص عليها مباشرة كذلك فى قوله ﷺ الأيمان أن تؤمن بالله وملائكته وكتبه ورسله واليوم الآخر وتؤمن بالقدر خيره وشره"(١) إلى غير ذلك من الأحاديث الصحيحة التى تحدث عن العقيدة السليمة التى يقف المرء حيالها مهيئا نفسه لها .

قال صاحب الانتصاف : فى قوله تعالى " لانفرق بين أحد منهم : فيه دليل على أن النكرة الواقعة فى سياق النفى تفيد العموم لفظا حتى يتنزل المفرد فيها منزله الجمع فى تناولة الأحاد مطابقة (٢) فكأنه قصد عدم التفرقة بين كل واحد وآحد كما نفى التفرقة بين الجميع . وبالتالى يكون الجميع فى مقابلة كل واحد من أفراده وهى نكتة لطيفة : إذن العقيدة الصحيحة واحدة وهى التى جاء بها الأنبياء والرسلون . وتحدثت عنها الكتب التى سلمت من أنواع التحريف وليس هناك واحد منها بقى سالما من أيدى العابثين سوى القرآن الكريم .

٢- العقيدة الباطلة .

وهى إعتقاد فاسد لايطابق الواقع . ولايقوم على دليل صحيح . كاعتقاد الكفرة فى الثالوث والنبوة لله من العزيز أو المسيح . أو ضيق اليد بالنسبة لله على مايزعمه اليهود عليهم لعنات الله وكاعتقاد عدم ختم النبوة بسيدنا محمد ﷺ . أو التكذيب باليوم الأخر . أو انكار البعث والحشر على ماورد به القرآن الكريم والسنة النبوية المطهرة . أو أعتقاد أن العالم قديم بذاته . أو أن الاله خلق

---

(١) هذا حديث صحيح متفق عليه ويعرف بحديث جبريل عليه السلام

(٢) الأمام - أحمد بن المنير الاسكندرى - الانتصاف على كشاف حا ص١٩٥

العالم ثم اختفى إلى غير ذلك من العقائد الباطلة . والتي لا يطلق عليها اسم العقيدة الا تجاوزا وعلى ناحية اللغة فقط .

والعقيدة الباطلة أنواع ولذلك فهى تتعدد ويقال عليها عقائد . أما العقيدة الحقة فواحدة ولها أجزاء يكمل بعضها البعض الأخر على ما هو وارد فى القرآن الكريم والسنة النبوية الصحيحة كما أن العقيدة الحقة لا يصح الايمان ببعضها والكفر بالبعض الأخر والا كان كفرا بالجميع . قال تعالى " إن الذين يكفرون بالله ورسله ويريدون أن يفرقوا بين الله ورسله ويقولون نؤمن ببعض ونكفر ببعض ويريدون أن يتخذوا بين ذلك سبيلا أولئك هم الكافرون حقا وأعتدنا للكافرين عذابا مهينا والذين أمنوا بالله ورسله ولم يفرقوا بين أحد منهم أولئك سوف يؤتيهم أجورهم وكان الله غفورا رحيما " (١)

أما العقيدة الفاسدة فلا حرمة لها ولا احترام فالأيمان ببعضها وترك البعض الأخر لا يقدم فيها ولا يؤخر منها . كما أنها عقيدة غير قويمة لا فى الدنيا ولا فى الأخرة .

٢- العقيدة اللفظية .

وهى إستعمال شائع يتلفظ بها غالبية الناس حين يقولون مثلا : أعتقد أن فلانا صادق . وأعتقد أن هذا العام خير من سابقه . وأعتقد أن فريق كذا سوف ينتصر على الفريق الأخر . إلى غير ذلك من الأمور التى يستخدم فيها الناس لفظ أعتقد وهو لا يعنى به الإيمان أو الكفر . وأنما يقصد تأكيد القول بما يتوقعه ولو أستخدم لفظ يغلب على ظنى أو أنى أتوقع لكان الأمر بعيدا عن ميدان يصلح فيه القول بصلاح النية وتفسد فيه النية لفساد الفعل .

---

(١) سورة النساء الأيتان ١٥١/ ١٥٢ .

وكثيرا ما يتداول الناس لفظ أعتقد قاصدين به أنجاح مهمة . أو صدق توقع بل ربما وصل بهم الأمر درجة الامساك بأطراف المسألة وجمعها الى بعضها فتصير عادة يتناجى بها صغيرهم والكبير. بحيث يمكن أعتبارها قاعدة عندهم . وأمرا مهما فى حياتهم. وكلها بجمعها لفظ العقيدة لامعناها . وهى من الكثرة بما لايمكن حصره . فمثلا.

١- الاطباء.

٢- المهندسون .

٣- الفنيون .

٤- أصحاب النجوم والطالع.

٥- أصحاب الارصادات الجوية.

٦- أصحاب المهن والحرف.

كل منهم يستخدم لفظ أعتقد للتعبير عن دقته فى ابحاثه . أو صدق توقعه . إلى أخر هذه الأمور التى تتعلق بتخصصاتهم ويؤكدون بها أقوالهم وهى ليست العقيدة الالهية كما أنها ليست مرادة عندهم وإلا وقع الشرك والبطلان .

٤- عقيدة الكلام ليقال.

وهى تقوم على أن المراد بالكلام مجرد القول بحيث يصير هذا الامر اعتقادا بجانب ممارسته وهى عقيدة ضارة " ولا أضر على الأمة من هذه العقيدة عقيدة . أن الكلام يقال ليقال فقط ، فإنها هى طابع الهزل على أخلاق الأمة وعلى كل أحوالها . وعلى حكومتها أيضا . ومن الهزل والكذب ترانا مبالغين فى كل شيء حتى يكون لنا الواحد كالأحاد فى غيرنا فنجعله مائة بصفرين نجىء بأحدهما

من اعتيادنا الكذب . على الحقيقة . ونجيء بالأخر من حقيقة أفلاسنا (١) وهى عقيدة فاسدة من حيث هى كذب . وفاسدة من حيث أنها استهلاك حياة المرء فى غير فائدة . وقد نبه القرآن الكريم اليها فى قولة تعالى " لاخير فى كثير من نجواهم الا من أمر بصدقة أو معروف أو أصلاح بين الناس ومن يفعل ذلك أبتغاء مرضاه الله فوق نؤتيه أجرا عظيما " (٢) وهكذا تتعدد العقيدة من حيث هى لفظ جاءت به اللغة فقط لا باعتبارها حقيقة دينية على ماسلف بيانه . وهكذا فإن اللفظ يتناول - مع ماسبق ذكره - كلا من .

٥- عقيدة القتال .

وهى غير المراد بها الجهاد فى سبيل الله . وأنما المراد المسائل التى تتعلق بفنون القتال ووسائل مدافعة الأرزاق والآجال وكلها غير صحيحة لأنها بمثابة تأجير منفعة فالجندى الأمريكى الذى يقاتل فى أرض العرب ليس مجاهدا وانما هو متمرس على فنون القتال والعقيدة القتالية عنده تقوم على قدرته الشخصية والذهنية والعسكرية على تخطى امكانيات الأخرين القتالية ولذلك لو قتل فى المعركة لايكون شهيدا بخلاف الجهاد عند المسلمين فإن المسلم لو قتل كان شهيدا متى كان دفاعا عن دينه أو ارضه او ماله أو عرضه على ماجاء به الحديث الشريف

٦- عقيدة الغلبة والتحايل .

٧- عقيدة الالتفاف حول الأخرين .

٨- عقيدة بقاء الانا وافناء الانا الاخر .

---

(١) الاستاذ / مصطفى صادق الرافعى - وحى القلم ط٢ ص٢٩١ مطبعة الاستقامة ١٣٦/١٩٤١ م (٢) سورة النساء الأية ١١٤ .

٩- استحلال المحرمات حتى أنا بلغ الشيب تاب

الى غير ذلك من الاعتقادات الخاطئة التى ربما جمعها أسم العقيدة الباطلة او العقيدة اللفظية وهى ليست لنا بغرض فلن تلتفت اليها .

المصطلح الثانى : فلسفة العلم :

من الواضح أن هذا المصطلح مركب إضافى، جاءت فيه كلمتان، إحداهما : فلسفة، والثانية : العلم، وهذا يستدعى تعريف كل منهما :

الفلسفة :

تعرف الفلسفة استقلالاً بتعريفات عديدة طبقاً للاتجاه الذى يقوم عليه الفيلسوف نفسه؛ فإن كان فيلسوفاً تجريبياً قامت تعريفات الفلسفة عنده على هذا الجانب، وإذا كان فيلسوفاً نظرياً قامت فلسفته من ذات الجانب أيضاً، أما إذا كان من أهل الفلسفة الإسلامية فإن اتجاهه يكون نحو المبادىء والأصول العامة التى يسير عليها، ومن هنا قال العلماء بصعوبة وجود تعريف واحد يجمع الفلسفات المختلفة.

كما أن موضوعات الفلسفة هى الأخرى تختلف اختلافاً يرجع إلى طبيعة المفكرين أنفسهم بدليل ظهور الفلسفة الطبيعية والفلسفة الحديثة، وفوق ذلك ظهور الفلسفة الإسلامية التى تمثل القمة فى المعرفة، وحيث جاء الحديث عن تعريف الفلسفة ككلمة أو مصطلح فمن المناسب التقاط ثلاث تعريفات لها :

الأول : يمثل الفلسفات القديمة ونختار منها تعريف سقراط الذى يقول : انها البحث المتواصل فى المعرفة الصحيحة وطرائق إكتسابها وكيفية الاستفادة منها على الناحية العملية والعلمية[١].

فالفلسفة بناء على هذا التعريف يكون عمادها المعارف الصحيحة، القائمة على القدرات العقلية، وتمكنها من اصطياد المعانى الكلية، حيث يستطيع العقل خوض غمار البحث فى أصول الكون ومعارف الإنسان والحكم على أفعاله بأنها خيرة أو شريرة من خلال القدرات العقلية والقوانين الفكرية.

ولا شك أن الفلسفة بهذا المعنى تجىء على الجوانب النظرية والعملية.

الثانى : يمثل الفلسفة الإسلامية، حيث يذهب الفارابى إلى أنها :

العلم بحقائق الموجودات ومعرفة أصولها التى قامت عليها[٢].

---

١) الدكتور / حسن محمد الجبيلى : سقراط وفلسفته، ص٤٣، ط ٢، ١٩٦٧م.

٢) الدكتور / حسين مرسى : دراسات فى الفلسفة الإسلامية، ص١٥٧، ط أولى، ١٩٦١م.

ويقرر الدكتور : توفيق الطويل : أن الفارابي قد عرف الفلسفة بأنها العلم بالموجودات بما هي موجودة عليه، أو هي العلم بالموجودات من حيث هي موجودة[١].

ويلاحظ في تعريفات المسلمين للفلسفة استخدام لفظ العلم، وبالتالي فهي عند الفارابي علم من العلوم وليست محمولة على العلم أو وليدة له، وإنما هي علم مستقل بموضوعه ومسائله وغاياته، وقد ذهب الشيخ الرئيس ابن سينا إلى أنها الحكمة، فعرفها بأنها :

استكمال النفس الإنسانية بتصور الأمور والتصديق بالحقائق النظرية والعملية على قدر الطاقة الإنسانية[٢].

فالفلسفة عند ابن سينا : حكمة، غايتها استكمال النفس الإنسانية، أما وسائلها، فهي تصور الأمور والتصديق بالحقائق النظرية والعملية، وبناءً عليه فإنها تمثل اتجاهاً معرفياً يتحول جانب منه إلى خدمة العقيدة الدينية.

وما من شك في أن الفلسفة الإسلامية لها وظائف منها : إقامة الأدلة المستجدة على وجود الله تعالى وصفاته[٣].

كما أن من فوائدها : الدفاع عن العقيدة الإلهية بمعنى : أنه إذا كان من وظائفها عرض أدلة العقيدة الدينية، فإن من فوائدها أن تقوم بالدفاع المستمر عن هذه العقيدة، بتقرير شبه الخصوم، وبيان أوجه فسادها، ومن هنا، تكون قد حققت فائدة كبرى.

ومن الواضح أنها لابد أن تستخدم وسائل عديدة كلها مشروعة في سبيل بلوغ تلك الغاية، ومهما يقال عنها فلابد من أن تنال البحث الجيد وتعنى بالمهام كلها، وهو ما يؤكد دور الفلسفة في خدمة قضايا العقيدة، وخدمة المجتمع نفسه.

---

١) الدكتور / توفيق الطويل : أسس الفلسفة، ص٤٩، والدكتور / صبحي محمد ضبع : الفلسفة الإسلامية في المشرق، ص١٥٥، ط أولى، ١٩٦٥م.

٢) الشيخ الرئيس ابن سينا : تسع رسائل في الحكمة والطبيعيات، جـ٢، ط دار العرب للبستاني.

٣) الدكتور / محمد حسيني موسى محمد الغزالي : الفلسفة العامة، ص١٦١، ط أولى، ١٤٢٣هـ-٢٠٠٣م.

ومن هنا قسمها العلماء إلى قسمين :

أحدهما : الفلسفة النظرية :

وهى المتعلقة بالأمور التى لنا أن نعلمها، وليس لنا أن نعمل بها، وتسمى حكمة علمية كما تسمى : حكمة نظرية وهى تتنوع إلى أنواع ثلاثة :-

أ – الفلسفة الطبيعية.

ب- الفلسفة الرياضية.

الفلسفة الإلهية.

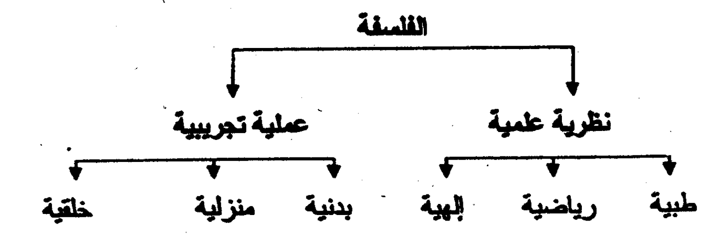
الثانى : الفلسفة العلمية :

وهى المتعلقة بالأمور التى لنا أن نعلمها ونعمل بها وتسمى حكمة علمية، كما تسمى فلسفة علمية، وتتنوع إلى أنواع ثلاثة :-

أ – الفلسفة المدنية.

ب- الفلسفة المنزلية.

جـ- الفلسفة الخلقية.



ومن الملاحظ أننا حين نتحدث عن فلسفة العلم فإنما نقصد الجزء الذى يتعلق بالإلهيات والطبيعيات والرياضيات حسب التقسيم السالف.

ومن ثم يمكن أن يقال أن فلسفة العلم هى التى تبحث فى العلوم الطبيعية والرياضية وعلاقتها بما يجيء فى الفلسفة الإلهية.

ربما يقال : أن هذه التعريفات التى سلف ذكرها لم تشمل الفلسفة الحديثة والمعاصرة، وهنا نقول : عرفت الفلسفة الحديثة بأنها : البحث فى الجوانب التجريبية بحيث تأتى منها النتائج الإيجابية[١].

كما عرفت بأنها: العملية العقلية التى تبحث فى العلاقة بين ما هو روحى وما هو مادى، وإمكانية تقديم الحلول للمشكلات التى تجيء مع هذه العلاقة[٢].

وهذه التعريفات للفلسفة الحديثة إنما تعبر عن ثقافة ذلك المؤلف أو الفيلسوف، ومن ثم اختلف الباحثون فى تقييم هذه التعاريف ونقدها على أساس أنها تعبر عن وجهة نظر أصحابها، فلا تصلح أن تكون قاعدة عامة، وتعرف فى الفلسفة المعاصرة بأنها : إدراك ما أنا عليه وإتاحة الفرصة حتى اسمع ما فى عقل الآخر، فهى معرفة متقدمة، وفى نفس الوقت ذات أبعاد كثيرة[٣].

من ثم يمكن القول بأن الفلسفة بحث عقلى حر يتعلق بالجوانب المختلفة، وهى لذلك أعم من العلم وأشمل.

ويلاحظ أن الفلسفة عند أهل الإسلام، قد تحدد موضوعها، كما تحدد تعريفها، وميادينها، أما فى الفلسفة الحديثة، فقد صارت هى أم العلوم، وحينئذ تتحول من فلسفة أو علم مستقل إلى علم يأتى معه غيره، وينازعه فى قضاياه سواه.

ومن هنا ظهرت علاقات متبادلة بين العلم والفلسفة، يحسن بى عرضها حتى أقف على ما يتعلق بفلسفة العلم على وجه الخصوص.

---

١) جورج سانتوس : الفلسفة الحديثة والمعاصرة، ص١٣، ترجمة : حسين رشدى، ط أولى، دار الجيل، ١٩٧١م.

٢) بيوترفيدوسييف : الفلسفة والمعرفة العلمية، ص١٥-١٦، ترجمة : حمدى عبد الجواد، ط دار العالم الجديد.

٣) أندريه واطسون : الفلسفة وأنا، ص٢٣، ترجمة : حنان راشد، ط ١٩٩١م.

أ- علاقة الفلسفة بالعلم

تمهيد

من المؤكد أن الله تعالى قد أمر بالعلم، وحبب فيه؛ لأن أهل العلم هم المتميزون على غيرهم عند الله جل علاه. قال تعالى: ﴿أَمَّنْ هُوَ قَانِتٌ آنَاءَ اللَّيْلِ سَاجِدًا وَقَائِمًا يَحْذَرُ الْآخِرَةَ وَيَرْجُو رَحْمَةَ رَبِّهِ قُلْ هَلْ يَسْتَوِي الَّذِينَ يَعْلَمُونَ وَالَّذِينَ لَا يَعْلَمُونَ إِنَّمَا يَتَذَكَّرُ أُولُو الْأَلْبَابِ﴾(١).

❁ قال الإمام النسفي: «أمن هو مطيع كمن هو عاص في ساعات الليل؛ لأنه يحذر عذاب الآخرة، ويطلب الجنة، ففيه دلالة على أن المؤمن يجب أن يكون طيلة عمره قائما بين الخوف والرجاء؛ ولذا يرجو رحمته لا عمله ويحذر عقابه لتقصيره في عامه؛ لأنه لا يستوى الذين يعلمون ويعملون بالذين يعلمون ولا يعلمون، وكما لا يستوى العالم والجاهل، فكذلك لا يستوى المطيع والعاصي»(٢)، لما بين كل منهما من فوارق. «فكأنه جعل من لا يعمل غير عالم، وفيه ازدراء عظيم بالذين يقتنون العلوم، ثم لا يقتنون ويفتنون بالدنيا، فهم عند الله جهلة، حيث جعل القانتين هم العلماء، أما غيرهم فلا التفات لهم، ولا اعتداد بهم»(٣).

❁ ويقول العلامة الزمخشري: «أراد بالذين يعلمون ممن سبق ذكرهم، وهم في نفس الوقت القانتون، وبالذين لا يعلمون الذين لا يأتون بهذا العمل كأنه جعل القانتين هم العلماء، وهو تنبيه على أن من لم يعمل فهو غير عالم، وفيه ازدراء عظيم بالذين يقتنون العلوم على سبيل المعرفة بها، ثم لا يقتنون ويفتنون فيها، ثم يفتنون بالدنيا فهم عند الله جهله، رغم أنهم بين الناس في عداد العلماء»(٤).

---

(١) سورة الزمر – الآية ٩ – هذه الآية الكريمة تعرض لنا مقارنة بين العالم والجاهل بصيغة الاستفهام التقريري، وهل يستوى الذين يعلمون والذين لا يعلمون؟ لأن العاقل لا ينكر هذه الحقيقة الواضحة، فلا يستوى النقيضان، العلم والجهل. كما لا يستوى الأبصر والأسود، والأعمى والبصير، والظلمات والنور، والظل والحرور. إذ العالم تتفتح بصيرته، فتكشف له الحقائق. فيقدر الله حق قدره، ويعرف واجبه تجاه ربه، لكن الجاهل لا تستنير بصيرته، فهو أعمى لا يعرف حق، ولا يعرف الحقيقة. ومن ثم فهو معاديها؛ لأنه قد جهل بها. [دكتور عبدالوهاب محمد عبدالله سليم – الإسناد في القرآن (رسالة دكتوراه) بكلية أصول الدين والدعوة بالزقازيق ١٤٢٢هـ/٢٠٠١م].

(٢) الإمام النسفي – مدارك التنزيل وحقائق التأويل جـ٤ ص٤٠.

(٣) الإمام النسفي – تفسير النسفي – جـ٤ ص٢٢٥ – طبعة دار الكتاب العربي بيروت –

(٤) الإمام الزمخشري – الكشاف جـ ٩ ص٢٦٥.

(٢٥٤)

وذكر الإمام القرطبي: « الذين يعلمون هم الذين ينتفعون بعلمهم ويعملون به، فأما من لم ينتفع بعلمه، و لم يعمل به، فهو بمنزلة من لم يعلم »[١]، بل إنه صار بما علم مسئولا عنه، ومن ثم فإنه إذا لم يعمل بما علم، فقد ظلم نفسه، ولا يفعل ذلك إلا الجاهل.

وقال الإمام الشوكاني: « وقيل المراد بالذين يعلمون هم العاملون بعلمهم، فإنهم المنتفعون به؛ لأن من لا يعمل بمنزلة من لم يعلم، وعلى هذا فكل من علم و لم يعمل؛ يعاقب بالحرمان من نور العلم »[٢]، وفي الحديث الشريف عن أنس بن مالك أن النبي صلى الله عليه وسلم قال: « من عمل بما يعلم ورثه الله علم ما لم يعلم »[٣].

وقال الإمام القاسمي[٤]: « في الآية إشعار بأن الذين يعلمون هم العاملون بعلمهم،إذ عبر عنهم أولا بالقانت، ثم نفى المساواة بينه وبين غيره؛ ليكون تأكيدا له، وتصريحا بأن غير العامل كأنه ليس بعالم »[٥]، وبالتالي فقد جاء الكلام على سبيل الاستفهام الإنكاري.

كما أن العلماء هم أهل القرب من الله تعالى حبا له، وتعلقا به، وانصرافا عن كل ما يغضبه جل علاه. قال تعالى: ﴿إنما يخشى الله من عباده العلماء إن الله عزيز غفور﴾[٦].

فعن ابن عباس رضي الله عنه قال: « العالم بالرحمن من عباده، من لم يشرك به شيئا، وأحل حلاله وحرم حرامه، وحفظ وصيته، وأيقن أنه ملاقيه، ومحاسب بعمله. وعن علي رضي الله عنه قال: إن الفقيه حق الفقيه، من لم يقنط الناس من رحمة الله، و لم يرخص لهم في معاصي الله تعالى، و لم يؤمنهم من عذاب الله، و لم يدع القرآن رغبة عنه إلى غيره، إنه لا خير في عبادة لا علم فيها، ولا علم لا فقه فيه، ولا

---

(١) الإمام القرطبي – الجامع لأحكام القرآن – جـ٩ ص٥٦٨٤.

(٢) العلامة الشوكاني – فتح القدير – جـ٣ ص٨١٠، طبعة دار الفكر .

(٣) العلامة أبو نعيم الأصبهاني – حلية الأولياء ج١٠ ص١٥ ، وذكره ابن كثير – تفسير القرآن العظيم ج٤ ص ٥٢٩، وفي الأثر: عن يحيى بن جعدة عن علي قال يا حملة العلم اعملوا به فإنما العالم من عمل بما علم ووافق علمه عمله، وسيكون أقوام يحملون العلم لا يجاوز تراقيهم، يخالف عملهم علمهم، وتخالف سريرتهم علانيتهم، يجلسون حلقا فيباهي بعضهم بعضا، حتى إن الرجل ليغضب على جليسه أن يجلس إلى غيره، ويدعه أولئك لا تصعد أعمالهم في مجالسهم تلك إلى الله. [الدارمي – سنن الدارمي ج١ ص١١٨ رقم: ٣٨٢]

(٤) القاسمي : هو جمال الدين بن محمد بن سعيد بن قاسم القاسمي. ولد بدمشق سنة ١٢٨٣هـ/١٨٦٦م، ونشأ وتعلم بها واشتغل فيها بإلقاء الدروس، ثم رحل إلى مصر وزار المدينة وعاد إلى دمشق، وانقطع في منزله للتصنيف، من أشهر مصنفاته: (محاسن التأويل في القرآن الكريم)، و (إصلاح المساجد من البدع والعوائد). توفي سنة ١٣٣٢هـ/١٩١٤م [معجم المؤلفين – دار إحياء التراث العربي – بيروت].

(٥) العلامة القاسمي – تفسير القاسمي جـ١٤ ص٥١٣١ .

(٦) سورة فاطر – من الآية ٢٨، وهذه الآية الكريمة تبين لنا، أن أهل العلم هم أشد الناس خشية لله تعالى؛ لأنهم أكثر الناس معرفة به.

قراءة لا تدبر فيها. وعن ابن مسعود قال: ليس العلم عن كثرة الحديث، ولكن العلم كثرة الخشية من الله تعالى.

وعن سعيد بن جبير[١]. قال: الخشية من الله تعالى هي التي تحول بينك وبين معصية الله عز وجل. وعن الحسن البصري قال: العالم من خشي الرحمن بالغيب، ورغب فيما رغب الله فيه، وزهد فيما زهد الله فيه، ثم تلى ﴿إنما يخشى الله من عباده العلماء﴾[٢]. وقال الربيع بن أنس: من لم يخشى الله، فليس بعالم، وقال مجاهد: إنما الفقيه من يخاف الله عز وجل»[٣].

ويقول الأستاذ عبدالكريم الخطيب: «فإن هذه الخشية لله، هي التي تقع في القلوب، وتستولي على المشاعر، ولا تجيء إلا عن علم بالله من جلال وقدرة وعلم وحكمة، وهذا العلم، لا تحصل إلا بالبحث الجاد، والنظر المتأمل، والعقل الدارس المفكر في خلق السماوات والأرض، وما في السماوات والأرض. فمعرفة الله أولا، ثم الخشية ثانيا، وأنه لا خشية إلا عن معرفة بالذات التي تخشى ويخشى سلطانها، ويخاف بأسها. وأنه لا معرفة إلا عن نظر وتفكر وتدبر، وذلك شأن أهل العرفان بالله رب العالمين»[٤].

وبالتالي فقد وردت مادة الكلمة ع ل م في القرآن الكريم حوالي ست وثمانمائة مرة[٥]، مما يؤكد عربيتها من ناحية، وعروبتها أيضا، بجانب أن ذلك يكشف عن علاقة بين مادة الكلمة (ع ل م) وبين مادة كلمة الحكمة البديل الطبيعي الوافي في العربية عن الفلسفة للفظ اليوناني، وهذه العلاقة تجيء في المحسوسات تارة، إن كان المراد من مادة (ع ل م) السمة المميزة، أو العلامة الفاصلة[٦]، كما تجيء العلاقة بين الحكمة والعلم في المعقولات تارات عديدة غالبا، على معنى الفهم أو معنى الإحساس الكامل، أو ارانه العالية والمعرفة الكاملة الصحيحة.

---

(١) سعيد بن جبير: هو سعيد بن جبير بن هشام الأسدي بن محمود الكوفي إمام فقيه عابد فاضل، ورع رحمة الله على المسلمين من التابعين، قتله الحجاج بن يوسف صبرا سنة ٩٥هـ. التهذيب - حـ٤ ص٢١١.

(٢) سورة فاطر - من الآية ٢٨.

(٣) الإمام القرطبي - الجامع لأحكام القرآن - حـ٨ ص٥٤٢٦.، وابن كثير - تفسير القرآن العظيم حـ٣ ص٥٥٤

(٤) الأستاذ عبدالكريم الخطيب - التفسير القرآني للقرآن - حـ٢٢ ص٨٨١/٨٢.

(٥) الأستاذ محمد فؤاد عبدالباقي - المعجم المفهرس لألفاظ القرآن الكريم - باب العين ص٤٦٩/٤٨١ ولا شك أن ورود الكلمة بهذا العدد الكبير جدا في القرآن الكريم، يؤكد على أن الدين الإسلامي يدع للعلم ويحبب فيه، لكن بشرط أن يكون علما نافعا.

(٦) ومنه قولهم علم الرجل ابنه بعلامة، حتى لا يضيع منه في الزحام. [لسان العرب ج١٢ ص٤١٩] وكان أد بن طابخة اليمني ممن علمتهم أمهاتهم بشيء لا يغيب عنها، حيث كانت إذا أرادت الذهاب للحج فإنها تضع صوفة على قفا ولدها، بحيث تميزه عن غيره، ولذا قالوا عليه صوفة، ونسب الصوفية إليها باعتبار الخشونة الشديدة. [راجع للإمام ابن عجيبة - الفتوحات الإلهية في المباحث الأصلية ص٤٣] والمعلم هو الأثر الذي يستدل به على الطريق. [قطر المحيط - باب العين]

{٢٥٦}

بيد أن العلم لدى الدارسين لا يتم التعامل معه على ناحية واحدة، وإنما يجيء على العديد من الاعتبارات والصور المختلفة من أبرزها:

✽ أ- باعتبار الموضوع: وعرفوه بأنه الموجود في الذهن على طريق الكسبيات أو البدهيات والنظريات، كالعلم بالله تعالى، فإن معرفة الله عز وجل مستقرة في الفطر النقية، قائمة في العقول الصحيحة(1).

✽ ب- باعتبار الملكة المدركة: وعرفوه بأنه ما يكون قارا في النفس الناطقة والمشاعر على جهة الفعل والانفعال، لا على أنه عرض، وإنما على أنه حقيقة ثابتة، لكن هذا التعريف لم يسلم للقائلين به(2).

✽ جـ- باعتبار التقسيمات العامة:

☆ ١- العلم الإلهي: وهو « علم باحث عن أحوال الموجودات التي لا تفتقر في وجودها إلى المادة، وقيل هو الذي لا يفتقر في وجوده إلى الهيولى »(3)، وربما عرف بأنه صفة أزلية قديمة، بها انكشاف جميع الموجودات والمعلومات انكشافا تاما(4).

☆ ٢- العلم الإنساني: ويعرف بأنه العلم الحادث على سبيل الاكتساب، أو النظر المرادف للمعرفة والإدراك(5).

✽ د- باعتبار الفائدة: وعرفوه بأنه ما يترتب عليه منفعة في الحال والاستقبال، ويدفع عن صاحبه مضرة عاجلة أو آجلة، سواء تعلقت بالدنيا أم بالآخرة.

✽ هـ- باعتبار الأنواع(6):

---

(١) راجع كتابنا: الإيمان بالغيب وأثره على الفكر الإسلامي، وكتابنا: جبر الوليد في علم التوحيد.

(٢) العلم الفعلي ما لا يؤخذ من الغير. [التعريفات ص٢٠١ رقم: ٩٩٧] والعلم الانفعالي ما أخذ من الغير. [نفس المصدر ص٢٠٠ رقم: ٩٩٢]

(٣) الجرجاني - التعريفات ج١ ص٢٠٠ رقم: ٩٩٠.

(٤) العلامة الشيخ محمد بن حسن التروي - العقيدة الإسلامية ص٥٣.

(٥) الشيخ رزق محمد أبو حمزة - حاشية على متن السلم ص١٣.

(٦) ذكر العلامة الجرجاني العديد من أنواع العلم منها: [١] العلم الإنطباعي هو حصول العلم بالشيء بعد حصول صورته في الذهن ولذلك يسمى علما حصوليا. (راجع التعريفات ج١ ص٢٠٠ رقم: ٩٩١) [٢] العلم الانفعالي ما أخذ من الغير. [نفس المصدر رقم: ٩٩٢] [٣] علم البديع: هو علم يعرف به وجوه تحسين الكلام بعد رعاية مطابقة الكلام لمقتضى الحال ورعاية وضوح الدلالة أي الخلو عن التعقيد المعنوي. [المصدر السابق رقم: ٩٩٣] [٤] علم البيان: علم يعرف به إيراد المعنى الواحد بطرق مختلفة في وضوح الدلالة عليه. [المصدر السابق رقم: ٩٩٤]. [٥] علم الجنس ما وضع لشيء بعينه ذهنا كأسامة فإنه موضوع للمعهود في الذهن. [نفس المصدر ص٢٠١ رقم: ٩٩٥] [٦] العلم الحضوري هو حصول العلم بالشيء بدون حصول صورته في الذهن كعلم زيد نفسه. [السابق رقم: ٩٩٦] [٧] العلم الطبيعي هو العلم الباحث عن الجسم الطبيعي من جهة ما يصح عليه من الحركة والسكون. [نفسه رقم: ٩٩٨] [٨] علم الكلام علم باحث عن الأعراض الذاتية للموجود من حيث هو على قاعدة الإسلام. [السابق رقم: ٩٩٩] [٩] علم المعاني هو علم يعرف به أحوال اللفظ العربي الذي يطابق مقتضى الحال. [السابق رقم: ١٠٠٠] [١٠] علم اليقين ما أعطى الدليل بتصور الأمور على ما هي عليه. [الجرجاني - التعريفات - ج١ ص٢٠١ رقم: ١٠٠١] ولطالب المزيد مراجعة التعاريف للعلامة المناوي ج١ ص٥٢٣/٥٢٤.

☆١- البديهي.
☆٢- الضروري .
☆٣- الفطري.
☆٤- الكسبي: « العلم الاكتسابي هو الذي يحصل بمباشرة الأسباب »[١].
☆٥- الاستدلالي .

وكل منها تجيء معه تعريفات عديدة .

❁ و- باعتبار القدم والحدوث:

☆١- العلم القديم المطلق ،وهو علم الله تعالى، وهو قائم بذاته تعالى لا يقع له شيء من الشبه بالعلوم المحدثة ، ويقول الجرجاني : « العلم القديم هو القائم بذاته تعالى ولا يشبه بالعلوم المحدثة للعباد »[٢].

☆٢- العلم القديم النسبي: كعلم الملائكة وأبينا آدم عليه السلام .

☆٣- العلم المخلوق الحادث، ويسمى العلم المحدث أيضا ومنه العلم الفيزيقي أو العلم الميتافيزيقي . يقول الجرجاني : « العلم المحدث ينقسم إلى ثلاثة أقسام: بديهي وضروري واستدلالي فالبديهي ما لا يحتاج إلى تقديم مقدمة كالعلم بوجود نفسه وان الكل أعظم من الجزء والضروري ما لا يحتاج فيه إلى تقديم مقدمة كالعلم بثبوت الصانع وحدوث الأعراض والاستدلالي هو الذي يحصل بدون نظر وفكر وقيل هو الذي لا يكون تحصيله مقدورا للعبد »[٣].

غير أني سأبحث هنا مفهوم العلاقة بين العلم والفلسفة، باعتبار أن ذلك هو المقصود في هذه الدراسة، والبادي ان بين العلم والفلسفة علاقة من نوع ما، وهذه العلاقة لم تكن على حال واحدة قديما وحديثا، وإنما كانت تأخذ صورا واشكالا مختلفة، طبقا لظروف كل من العلم والفلسفة، فإذا اضطهد العلم مثلا، كالحال في العصور الوسطى، فإن الفلسفة هي الأخرى يقع لها نفس الشيء،

---

(١) الجرجاني - التعريفات ج١ ص٢٠٠ رقم: ٩٨٩ ، وراجع التعاريف للمناوي ج١ ص٥٢٣.

(٢) الجرجاني -التعريفات ج١ ص: ٢٠٠ رقم: ٩٨٨ .

(٣) الجرجاني -التعريفات ج: ١ ص: ٢٠٠ رقم: ٩٨٨ . ويعرف الجرجاني العلم بأنه « الاعتقاد الجازم المطابق للواقع وقال الحكماء هو حصول صورة الشيء في العقل والأول أخص من الثاني وقيل العلم هو إدراك الشيء على ما هو به وقيل زوال الخفاء من المعلوم والجهل نقيضه وقيل هو مستغن عن التعريف وقيل العلم صفة راسخة في النفس تدرك بها الكليات والجزئيات وقيل العلم وصول النفس إلى معنى الشيء وقيل عبارة عن إضافة مخصوصة بين العاقل والمعقول وقيل عبارة عن صفة ذات صفة وقيل ما وضع لشيء وهو العلم القصدي أو غلب وهو العلم الاتفاقي الذي يصير علما لا بوضع واضع بل بكثرة الاستعمال مع الإضافة أو اللازم لشيء بعينه خارجا أو ذهنا ولم تتناوله الشبهة » [التعريفات ج: ١ ص: ٢٠٠ رقم: ٩٨٨]

{٢٥٨}

باعتبار أن العلم هو الذى يقود للفلسفة، أو أنها التى تدفع للعلم، ومتى كانت السيادة لأصحاب فرع من فروع العلم التقليدية، فإنهم يخاصمون الفلسفة والفلاسفة أيضا.

ومن ثم فإن هذه العلاقة تجيء فى الصور الآتية :

١- الترادف أو تبادل المواقع:

ومعناه أن العلم والفلسفة شيء واحد من حيث الاستعمال، لا من حيث الإطلاق اللغوى، فمتى أطلق لفظ العلم، فهم منه لفظ الفلسفة، أو معناها على طريق التضمن، وكان هذا المعنى سائدا لدى المصريين القدماء، الذين كانوا يطلقون لفظ الحكيم أو الكاهن على المتمكن من العلم بمعناه الشامل[١]، وإن كان لفظ الكاهن يطلق كثيرا على أولئك النفر الذين خصوا أنفسهم بالمعابد قياما عليها، ومراعاة لأحكامها، والقيام بالطقوس المفروضة على من يقيمون بها أو يقومون بأعباء الخدمة فيها[٢].

وكان الكهنة من جنس الفلاسفة، كما كان الفلاسفة كهنة يقومون بإلقاء العظات فى المعابد، أو توجيه الأنظار إلى فوائد العلم، والدفع بمن لديهم قدرات إلى ممارسة ذلك كله فى الميدان النظرى والعملى معا، حتى صار الفيلسوف هو العالم وهو الكاهن، لكن مع استعمال لفظ الحكيم بدل لفظ الفيلسوف، على ما أخبرت به الوثائق التاريخية[٣].

وفى العالم القديم قبل العصور التاريخية، كان كل عالم فى شيء ما هو فيلسوف به حكيم فيه، ويتم التعامل معه على الناحيتين فى آن واحد، وبخاصة إذا كان ممن يجيدون عملية الفحص والعلاج، فكان المريض يذهب إلى حلقات العلم قلية العدد، ثم يبحث عن ذلك الحكيم داخل الأماكن التى يتردد تلاميذه فيها عليه، ليقوم بفحصه ووصف العلاج المناسب له، وربما أعطاه الدواء من الذى بحوزته[٤]، فهو يمارس العلم على الناحية العملية، كما يمارس الفلسفة على الناحية النظرية.

أما فى بلاد اليونان فكان اسم العالم يطلق على الفيلسوف قبل ارسطو، باعتبار أنه الذى يولى القضايا الصحيحة أهمية كبرى، فى الوقت الذى كان يطلق لفظ الراوى أو الحاكى على أصحاب السير وقصاص الأخبار والخرافات أو الأساطير[٥]، فكان هذا التمايز علامة على أن العلم والفلسفة شيء واحد فى مقابلة ما لا تجيء الأدلة الصحيحة معه.

---

(١) توماس هيوز -- العلم و الفلسفة ص٣٤ ترجمة رمزى فخرى ط١/١٩٦١م.

(٢) الدكتور زين العابدين محمد أبو هدية -التراث المصرى القديم ص١٣٧ ط١ المكتبة العلمية - بيروت ١٩٦٧م.

(٣) توماس هيوز - العلم والفلسفة ص٣٦ ، وراجع ص٤٧/٥٥ ففيها تفاصيل كثيرة عن أعمال الكهنة داخل المعابد المصرية القديمة وخارجها.

(٤) الدكتور فوزى محمد الطحان - معالم الحضارة القديمة ص١٧١ ط دار العوائد١٩٨١م.

(٥) توماس هيوز - العلم والفلسفة ص٤١ .

من ثم يمكن القول بأن العلم والفلسفة من الألفاظ التي تجيء معها التوارد على مفهوم بعينه، بحيث ينطبق على يقع في وضع الشيء في موضعه وهو الحكمة[١]، أو يقع في مفهوم الموجود الذهني، الذي تبنى عليه الحضارات وهو العلم[٢]، وبقدر ما يقع من توارد أو ترادف يقع ذات تبادل المواقع.

أما في بلاد الإسلام فاسم العلم كان يطلق على كل الفنون والعلوم المشروعة من قبـــل الله تعالى، أو التي توصل إلى العلوم المشروعة، باعتبار أن ما يتوصل به إلى الواجب فهو أيضا واجب على لسان الشرع[٣]، الذي أمر به ونبه إليه.

ودليل ذلك: وجود جملة من الفلاسفة الأفذاذ، كانوا في ذات الوقت من أجلة العلماء، الذين يشار إليهم بالبنان، كأفلاطون وأرسطو في بلاد اليونان، والفارابي وابن سينا والرازي وابن رشـد في بلاد الإسلام[٤]، وكل واحد منهم كان يطلق عليه لفظ العالم، كما كان يطلق عليه لفظ الفيلسوف.

بل كان أهل الإسلام يطلقون على المشتغل بالعلوم العقلية اسم الحكيم، بينما يطلقون علـى المشتغل بالتفسير وعلومه: اسم المفسر، والمشتغل بالعلوم الحديثية: محدث، والمشتغل بعلوم الفقـه[٥]: اسم الفقيه، وعلى المشتغل بأصول الفقه: اسم الأصولي، وهكذا فكل فرع من فروع العلوم الشرعية كان يطلق على المشتغل به الوصف المناسب لطبيعة ذلك العلم[٦].

٢- العموم والخصوص:

لما انفتحت الأمصار واتسعت الديار، أو كثرت في الناس العلوم، وتنوعت بهم المعارف، صار لفظ الفلسفة أخص من لفظ العلم، إذ كان لفظ العلم يطلق على ما يفيد مـن المعـارف، ويمكـن مراجعته على القواعد الثابتة، التي يحتكم إليها[٧]، بينما كان لفظ الفلسفة يطلق على مبحث محدد هو

---

(١) الشيخ نور الدين الصابوني – الكفاية على الهداية ص٣٢ ط محمد على صبيح.

(٢) العلامة القاضي أبو بكر الباقلاني – الإنصاف ص١٢ ط المكتبة الأزهرية – تحقيق الشيخ محمد زاهد الكوثري.

(٣) إمام الحرمين الجويني – الورقات في أصول الفقه ص٢٧.

(٤) الدكتور محمد غلاب – المعرفة عند مفكري المسلمين ص٥٣.

(٥) الفقه هو في اللغة عبارة عن فهم غرض المتكلم من كلامه وفي الاصطلاح هو العلم بالأحكـام الشـرعية العمليـة المكتسبة من أدلتها التفصيلية وقيل هو الإصابة والوقوف على المعنى الخفي الذي يتعلق به الحكم وهو علـم مستنبط بالرأي والاجتهاد ويحتاج فيه إلى النظر والتأمل ولهذا لا يجوز أن يسمى الله تعالى فقيها لأنه لا يخفـى عليه شيء. [الجرجاني – التعريفات ج١ ص٢١٦ رقم: ١٠٩٨]

(٦) الدكتور محمود فوزي الثروي – دراسات في الفلسفة الإسلامية ص٣٥ وراجع للدكتور حسن محمد سالم – الفلسـفة والتصوف – دراسة مقارنة ص٥٩.

(٧) توملن هوز – العلم والفلسفة ص٧٣.

الوجود، ولما كان العلم أشمل من الوجود، فإن لفظ العلم يكون اعم من الفلسفة أيضا، باعتبار الموضوع الذى تتناوله الفلسفة، أو يتناوله العلم[١].

ففى بلاد اليونان كان لفظ العلم أعم من لفظ الفلسفة، إذ أن لفظ الفلسفة كان يطلق على تلك الجماعة التى تجوب بعضا من بلاد الإغريق، يعلمون الناس الجدل، ويصرفونهم إلى أعمال الغوغائية، وكيفية التلاعب بالألفاظ والتحاور بالمعانى[٢]، التى ترد على جهات متعددة.

وفى بلاد الصين والهند كان لفظ الحكمة يرادف لفظ الفلسفة - من حيث المفهوم - لكنهما يختلفان عن لفظ العلم الذى كان يطلق على أخص المباحث المعرفية، بحيث صار أى نوع من أنواع المعرفة - حتى لو كان ذلك متعلقا بمصدر المعرفة، أو درجتها فى اليقين أو الظن - هو العلم[٣]، ومن ثم فقد كانت الفلسفة عندهم أعم من العلم.

إذن وقع لكل من الفلسفة والعلم العموم والخصوص فى بلاد الشرق والغرب، وقد أكدت الدراسات العلمية - التى قامت على أسس صحيحة - أن كلا من الفلسفة والعلم تجىء معه مسألة العموم للفلسفة والخصوص للعلم حينا، ثم تجىء مسألة العموم للعلم والخصوص للفلسفة فى الحين الآخر، ومثل ذلك يكون الحال مع الخصوص.

أما فى حواضر العالم الإسلامى، فقد بدأت العلوم فى التنوع باعتبار النظرى والعملى، العقلى والنقلى، وهذا التنوع ارتبط به كل من العلوم الضرورية البدهية والكسبية الفعلية والانفعالية[٤]، بينما كانت الفلسفة - أول أمرها - تلتزم طرائق البحث النظرى وحده، باعتبارها تفكيرا عقليا وعملا ذهنيا مجردا.

وقد ظهرت المفاهيم المتخالفة بين العلم والفلسفة، على سبيل التمايز لدى مفكرى الإسلام الأوائل، ابتداء من أصحاب الرأى فى المعتزلة[٥]، ولدى شيوخ المذهب الحنفى، الذين كانوا يستحبون الوصف بالحكيم متى كان جامعا بين علوم الدين والدنيا، والوصف بالعالم إذا كان مشتغلا بالعلوم الدينية وحدها[٦]، وكثيرا ما كان يطلق لفظ الحبر أو البحر أو الإمام أو العلامة على المتمكن من العلوم الشرعية، وفى نفس الوقت يطلق لفظ الحكيم على الجامع معها العلوم العقلية والدنيوية من الطب والرياضة والطبيعة وخلافه.

---

(١) الدكتور محمود فوزى الثروى - دراسات فى الفلسفة الإسلامية ص٣٧.

(٢) توماس هيز - العلم والفلسفة ص٨٦، مع ملاحظة أن الذى يقوم بذلك الدور فى بلاد اليونان قديما هم السوفسطائيون وحاهم فى الغالب.

(٣) الدكتور حسن محمد عبدالعظيم فى الفلسفات القديمة ص١٨١.

(٤) الدكتور حسن محمود قطب - الفلسفة بين الأنصار والخصوم ص٩٣.

(٥) الدكتور محمود نصر الدين الجوارى - المعتزلة واتجاهاتهم الفكرية ص٨٥ ط١/١٩٥٧م.

(٦) الأستاذ نعيم محمد لطفى - مدرسة الرأى وأثرها فى الفكر الإسلامى ص١٩.

وكان لفظ الحكيم يطلق على الأطباء والفلاسفة، حتى اشتهر ذلك بين العامة، فمتى مرض أحاد الناس وأرادوا علاجه، قالوا: فلنذهب إلى الحكيم؛ لأن لديه دراية بتشخيص الأمراض، بجانب وصف الدواء اللازم، وإجراء الجراحات، التي يكون المريض بحاجة إليها[1]، فعرف ابن سينا بالحكيم، كما عرف غيره بذات اللقب أو تسمى به.

إذن يمكن القول بأن الفلسفة والعلم يتبادلان المواقع من العموم والخصوص، دون اعتبار لشيء من المفاهيم الأخرى، التي يعكف عليها البعض ممن يحاولون الرجوع بالأفكار إلى ثلة من الماضي الضارب في أحضان الزمن البعيد، أو أولئك الذين يحاولون القفز بالمفاهيم من العصور الوسطى إلى الزمن الذي يعاصرنا أو نتعاصر معه.

٢. احتياج كل منهما للآخر:

لا شك أن الفلسفة يمثلها التأمل كما يصولها التفكير الجاد، ويدفع إلى نتائجها الوضوح في المعاني، وأن العلم يمثله المجهود الذهني، والاستنطاق للحوادث بجانب التجربة العملية في العلوم التطبيقية، وبالتالي فلا يستغني الفيلسوف المفكر عن المجهود الذهني، ولا يستغني الباحث الجيد عن التأمل الهادف.

وبنفس القدر من الحماس العلمي يمكن القول بأن العالم الفيزيائي يحتاج إلى جهود الفيلسوف الميتافيزيقي[2]، فالملاحظة العملية التي يقوم بها العالم مثلا تنطوي على تأمل مقصود، وتفكير جاد تقوم به الفلسفة، ثم يكتشف العالم عناصر هذه الملاحظة على ناحية فيزيقية، فدل ذلك على أن العلم محتاج إلى الفلسفة.

يقول شيخنا: « إن الملاحظة العلمية ليست مجرد تسجيل لما يطرأ على الظواهر، من تحول أو تطور، فإن كل ملاحظة تنطوي على عنصر عقلي، كما أنها تعتبر محاولة أولية لتفسير الظواهر وفهمهما، كما العقل ليس آلة تسجيل فحسب، بل يتدخل بالفعل، ويقوم بدور إيجابي؛ لأنه يعلو الظاهرة، التي تحت الحواس عما عداها من الظواهر، حتى يمكن وصفها وتحليلها، والوقوف على العلاقات التي تربط العناصر الداخلة في تركيبها »[3]. وهو دور يتواءم فيه العلم والفلسفة، ويكشف احتياج كل منهما للآخر.

---

(١) الدكتور رمزي محمد المعداوي – الطب في البيئة الإسلامية ص٧٣ .
(٢) الدكتور حسن محمود قطب – الفلسفة بين الأنصار والخصوم ص٩٨ .
(٣) الدكتور علي محمد جبر – منطق حديث ص٥٣ – الطبعة الثانية، حيث تعرف الملاحظة العلمية بأنها التدخل الإنساني في الظواهر الكونية، وإخضاعها للسيطرة ثم مراقبة النتيجة التي تجيء بعد ذلك. [المصدر نفسه ص٥٦]

حيث تعرف الظاهرة(١) بأنها « موضوع ذو وجود خارجي حقيقي، بصرف النظر عن صلته بالذهن، ولكل علم ظواهره التي يدور بحثه حولها، ولذلك تسمى كل ظاهرة بموضوعها التي تقع فيه، فيقال: الظاهرة الجوية؛ لأنها متعلقة بآثار الطبيعة، كما يقال: الظاهرة الكونية؛ لأنها متعلقة بالعوالم الكونية »(٢).

---

(١) تأتي الظاهرة في اللغة على عدة معان. منها [١] الوضوح والبيان: تقول العرب: ظهر الشيء الذي كان قد خفي علو واتضحا بياناً، ومنه العين الجاحظة لوضوحها وبيانها. [العلامة مجد الدين الفيروز آبادي - القاموس المحيط - ج٢ ص٨٢ - باب الراء فصل الظاء ط الأولى - مطبعة الحسينية المصرية ١٣٣٠هـ. [٢] ما يعقب أصله: تقول العرب: فلان أظهر فلاناً، والقوم أظهروا آباءهم إذا كانوا يصحبونهم فكل سلف يظهره خلفه وكل فرع يظهر أصله.[محمد مرتضى الزبيدي - تاج العروس - باب الراء فصل الظاء ص٣٧١ - مطبعة الخيرية بجمالية مصر ج٣ سنة ١٣٠٦هـ] [٣] ما يحمل عليه غيره: ومنه قول العرب: حمل فلان متاعه على ظهره، ومما يذكر أيضا حملت المسألة أحمالها، وظهرت ظهوراً لا يمكن خفاؤه.[المعلم بطرس البستاني - قطر المحيط ج٢ ص ٦ ص١٢٨٢ - طبعة مكتبة لبنان بيروت نقلا عن طبعة ١٨٦٩م]. [٤] القوة أو الضعف: تقول العرب: هو رجل مظهر يعني قوي الظهر، حيث يمكن الاعتماد عليه متى كان صحيحا غير سقيم، هذا بالنسبة للإنسان، أما بالنسبة للحيوان فيمكن لنا استخدام ظهره. [العلامة الزمخشري - أساس البلاغة - جـ٢ ص٦٠٨ - باب الظاء - مادة ظهر - ط الأولى - القاهرة - مطبعة دار الشعب ١٩٦١م] [٥] المعاونة والموازرة: يقال ظاهر فلان أخاه، وظاهر الجيش الآخر بمعنى عاونه في المهمة التي وكلت إليه وآزره فيها حتى أتمها على الناحية المنشودة. [العلامة أبو الحسن بن علي بن الحسن - المنجد في اللغة - باب الظاء - مادة ظهر ص٢٥٧ - تحقيق د/ أحمد مختار وآخر - الطبعة الثانية - مطبعة عالم الكتب ١٩٨٨م] [٦] العلو والارتفاع: ومنه ما يقال : أظهرت البيت على الأرض، وعن أقرانه بمعنى أعليته ورفعته فصار ظاهراً على غيره عاليا عنه مرتفعا عليه. [العلامة ابن منظور - لسان العرب - ج٤ ص٢٧٦٩ - باب الظاء - مادة ظهر - طبعة دار المعارف ١٩٨٤م] [٧] المطابقة بين الشيئين : تذكر مصادر العربية قولها: ظاهر فلان بين الثوبين، بمعنى طابق بينهما، فصرف عن كل منهما ما يعينه على إصدار الحكم بشأن كل منهما في موضوعية ودقة.[محمد مرتضى - تاج العروس ص٣٧٤] [٨] الغلبة والانتصار :جاء عن العرب قولهم: ظهر قوم فلان على أعدائهم بعد أن كانوا مستترين تحتهم، ويقصد بذلك أنهم غلبوهم وانتصروا عليهم فظهروا حتى كأنهم وحدهم على الساحة، تشهد لهم بذلك أرض المعركة، ويستقر معهم أمر الظهور على الأعداء. [المعجم الوجيز - باب الظاء مادة (ظ هـ ر) ص٤٠٢ - ط. الهيئة العامة لشئون المطابع الأميرية ١٩٩٨م] [٩] الاستخفاف بالشيء: ذكرت مصادر العربية قولها ظهر فلان بحاجة أي جعلها أمرها أو بما إليه شأنها، فلم يعرها اهتماما أو تخف لتحققها وتقدم المساعدة لها على سبيل التقليل من شأنها أو الاستهانة بالعواقب المترتبة عليها [إصدار مجمع اللغة العربية - المعجم الوسيط - باب الظاء مادة ظهر ص٥٩٩ ج٢ ط٣ الهيئة العامة لشئون المطابع الأميرية ١٩٨٥م] [١٠] التثبت: قالت العرب: ظهر فلان بين القوم بمعنى تثبت فصار تستعصي عليهم كما يقال قرأ فلان عن ظهر قلب بمعنى ثبت في فؤاده واستقر في أعماقه وبات من السهل عليه استرجاعه ومراجعة ما فيه. [الأستاذ / الطاهر أحمد الزاوي الطرابلسي - مختار القاموس ص٣٩٩/٤٠٠ ج١ ط. عيسى الحلبي وشركاؤه ط١٤ سنة ١٩٦٤م]

(٢) الدكتور محمد صالح - الظاهرة تعريفها ودلالاتها ص٣٥ طبعة دار المشرق ١٩٧٧م ويعرف لدى علماء النفس بأنها « أمر عارض لا يمكن أن يستمر، وإنما يزول إذا زال سببه، باعتباره نزوعا نحو شيء ما دافع للعضوية ».[جان بلانش و ج ب بونتاليس - ترجمة الدكتور / مصطفى حجازي - المعجم العام لمصطلحات علم النفس والتحليل النفسي ص٣٢٢ - المؤسسة الجامعية للدراسات والنشر والتوزيع - ط أولى ١٤٠٥هـ/١٩٨٥م] وعند علماء الفيزياء بأنها « كل ما يبحث فيه العلم من الحقائق التجريبية أو على المعطيات التجريبية المباشرة من جهة ما هي مشتملة على المدرك ».[دكتور/ جميل صليبا - المعجم الفلسفي ج٢ من الطاء إلى الياء ص٣٠ - مطبعة دار الكتب - بيروت عام ١٩٨٢م] كما تعرف بأنها حركة منقولة في الفضاء تعمل متلقيها كلما كان قريبا منها بدرجة أكبر مما لو كان بعيدا عنها، ويظهر ذلك بوضوح في علم الطبيعة .[لويس دباب وآخرون - الموسوعة العلمية الميسرة ص١٥٠/١٥١ - مطبعة مكتبة اليونان ١٩٨٥ - طبع في لبنان على مطابع تروبرس]

كما أن الفلسفة تحتاج العلم؛ لأنه الذى يحول التفكير الفلسفى من صورته الذهنية إلى صورة واقعية، فكل عمل عقلى مجرد، متى أمكن تطبيقه فى المجال العملى، فإنه يكشف عن احتياج الفلسفة للعلم، كما يبين عن العلاقة التى تربط بين العالم والفيلسوف، مع ضرورة الالتفات إلى أن طريق الفيلسوف هو التأمل العقلى الخالص تماما عن أية عناصر خارجية.

بيد أن الفيلسوف يبدأ طريقه من العمليات العقلية البسيطة، حتى يبلغ قمة التجريد، أما العالم فإن طريقه يبدأ من الحواس الظاهرة، حتى يبلغ التعميم[١]، ومما يمكن الالتفات إليه أيضا هو أن كلا منهما – الفلسفة والعلم – فى مسألة الاحتياج للآخر، ليسا على قدم واحدة، أو قدر ثابت، وإنما قد يكثر احتياج العلم للفلسفة فى بعض الأحيان بأوسع مما تحتاج الفلسفة للعلم، بدليل أن الفلسفة تبحث فى الكون كله، من حيث المبدأ والمنتهى، ويتعلق بذلك نظرية الوجود أو الانطولوجيا أيضا[٢].

كما تبحث فى العقل الإنسانى ومعارفه وكيفية اكتسابه لها، أو كيفية الوصول إلى كون بعضها بدهيا فى العقل، بينما يكون البعض الآخر فطريا أو كسبيا أو نقليا، وهو ما يتعلق به نظرية المعرفة[٣]، كما أن الفلسفة تبذل جهدها فى بحث الخير والحق والعدل والجمال، من حيث الحقيقة، وتقوم به نظرية القيم، أما العلم فإنه فى الجانب العملى يتعلق بالتجربة والملاحظة، وهما عمليتان حسيتان، أما فى الجانب النظرى، فإنه يتعلق بالمعارف التى يقدمها له الفيلسوف، ومن ثم فاحتياج العلم للفلسفة يكون أكثر اتساعا من احتياج الفلسفة للعلم، لكن لا مانع من القول بأن العلم فلسفة جزئية، وأن الفلسفة علم بالمبادئ الكلية والأصولية الأولية[٤].

ب- الاستقلال والتمايز:

من المؤكد أن الفلسفة أو الحكمة تلتقى مع العلم والمعرفة فى شكل من أشكال الترادف والتوارد، وتبادل المواقع، كما يحدث نوع من ذلك فى العموم والخصوص، واحتياج كل منهما للآخر[٥].

---

(١) الدكتور يوهان كالفن – طريق الفيلسوف ص٥١ – ترجمة هناء صبرى ١٩٥٧م.

(٢) الدكتور فوزى محمد الحوت – الفلسفة والعلم ص٦٧ طبعة أولى ١٩٦١م.

(٣) الدكتور يوهان كالفن – طريق الفيلسوف ص٥٧ – ترجمة هناء صبرى ١٩٥٧م.

(٤) ويذهب السيد الشريف الجرجانى إلى أن الفلسفة هى التشبه بالإله حسب الطاقة البشرية لتحصيل السعادة الأبدية كما أمر الصادق صلى الله عليه وسلم فى قوله تخلقوا بأخلاق الله أى تشبهوا به فى الإحاطة بالمعلومات والتجرد عن الجسمانيات. [التعريفات ج١ ص٢١٦ رقم:١٠٩٩]

(٥) الدكتور فوزى محمد الحوت – الفلسفة والعلم ص٧٣ .

لكن ذلك لا يمنع من القول بوجود نوع من الاستقلال والتمايز بينها، يمكن التقاط بعض صوره فيما يلي:

❊ أ- التسمية:-

تختلف الفلسفة أو الحكمة عن العلم في الإطلاق الاسمي، أو كما يقول العلماء: الوصف العنواني، فكل من الحكمة والعلم يطلق على اسم خاص به دلت عليه المفردات اللغوية، ومن ثم فإن أي دارس متى نظر إلى مادة الكلمة (ح ك م) أو مادة الكلمة (ف ل س ف)، الدالتين على معنى واحد، ونظر إلى مادة الكلمة (ع ل م) فإنه سيرى فارق لغويا كبيرا بينهما في المادة الصرفية، والمعاني التي يحملها اللفظ نفسه، مما يثبت استقلال كل منهما عن الآخر في المنطوق اللغوي، وتمايزه عنه في الدلالة الاسمية.

❊ ب- الموضوع[1]:

موضوع الفلسفة يشمل العالم المشاهد وغير المشاهد، المرئي والمعقول، إنه عام متسع إلى أبعد مدى، فعموم الموضوع في الفلسفة ليس محل جدل بين العلماء، صحيح هي بحث عقلي حر، لكنه غير مقيد بحدود عالم معين، وإنما هو منطلق في كل الأرجاء، حتى ما يمكن تخيله، أو يجيء على سبيل الاحتمال، وبالتالي فموضوع الفلسفة يقع فيه ما هو بالفعل وبالقوة.

أما موضوع العلم فمهما اتسع، فإنه لا يخرج عن نطاق جزئية مبحوثة، أو واقعة تحت الدراسة، فعالم الفلك مثلا يبحث الظواهر الفلكية وحدها بالغرض، وإن تعرض لموضوعات أو جزئيات أخرى تخدم علم الفلك، فإنه يكون متوجها إليها بالعرض[2]، والفرق بين ما يجيء فيه القصد، وما يجيء فيه الارتجال أو العشوائية كبير لمن تأمله، ونفس الحال مع العالم في مجال البصريات أو الهندسة الوراثية، أو غيرها من العلوم.

❊ ٢- المنهج[3]:

لما كان المنهج هو الطريقة التي يتبعها الباحث في دراسته للمشكلة لاكتشاف الحقيقة، وللإجابة على الأسئلة والاستفسارات التي يثيرها موضوع البحث، وهو البرنامج الذي يحدد لنا السبيل للوصول إلى تلك الحقائق وطرق اكتشافها[1]..

---

(١) وضع: الموضع المكان والمصدر أيضا و وضع الشيء من يده يضعه وضعا و موضعا و موضوعا، ووضع الرجل في تجارته و أوضع على ما لم يسم فاعله فيهما أي خسر يقال وضع في تجارته فهو موضوع فيها و التواضع التذلل.
[مختار الصحاح - باب الواو - ص ٧٠٥/٤٠"].

(٢) الدكتور حسن محمد أبو سالم - الفلسفة ومناهج البحث ص٩٣ ط ١٩٦٥م.

(٣) المنهج : كلمة منهج مشتقة من نهج، أي سلك طريقا معينا، وبالتالي فكلمة المنهج تعني الطريق، ولذلك كثيرا ما يقال : طرق البحث كمرادف لمناهج البحث - [راجع البحث العلمي مناهجه وتقنياته ص٤٨ - الدكتور محمد زيان عمر - طبعة دار الشروق - جدة - السعودية ط٤ عام ١٤٠٣هـ/١٩٨٣م]

فمما لاشك فيه هو أن الفلسفة غير مقيدة بمنهج ثابت سوى المنهج العقلي التأملي المحرر
الكلي(٢)، ولو أن منهج الفلسفة وقف عند موضوع بعينه، أو جزئية واقعة في دائرة بحث بذاتها، لما
كان منهجا فلسفيا؛ لأن طبيعة المنهج الفلسفي تحتم عليه ألا يتقيد بموضوع بحثي واحد يظل قائما
فيه، وإلا خرج عن دائرة البحث العقلي الحر.

أما منهج العلم، فإنه جزئي، يخضع لطبيعة كل فرع من فروع المعرفة، بحيث يتناسب مع
الموضوع المدروس، فعلم التاريخ مثلا يستخدم المنهج التاريخي السردي(٣)، وعلم الفيزياء يستخدم
المنهج التجريبي العملي، وعلم الرياضة يستخدم المنهج البرهاني، وعلم النفس النظري يستخدم المنهج
الحكوي الاستفراغي الذاتي(٤)، وعلم النفس العملي يستخدم المنهج التجريبي المشترك، وهكذا تتعدد
المناهج في فروع العلم بتعدد موضوعاتها الجزئية.

✽ ٤- المعطيات:

الفلسفة تعنى بدراسة أصول الأشياء وعلاقتها بعضها على الحقيقة الذاتية، بغرض التعرف
على العلل القائمة بينها، فهي تكشف طرائق جديدة في البحث العلمي(٥)، كما تمهد لاستحداث
المزيد، إنما تعطي تصورات صحيحة عن كيفيات عديدة، من خلال الاستنباط مختلف الأنواع، وفوق
ذلك فهي تتجاوز حدود المعقولات، إلى ما هو متخيل على ناحية من النواحي(٦)، فتفتح أفاقا جديدة
للعلوم والمعارف المختلفة، كما أن طبيعتها السعي الحثيث للدفع بأسئلة مستجدة، ثم تطلب الإجابة
عليها.

أما العلم فإنه يعطي نتائج برهانية في الرياضة، احتمالية في العلوم التطبيقية، ظنية في العلوم
التي لم يتوقف البحث العلمي فيها(٧)، إن معطيات العلم التطبيقي يتحكم في صحتها للتجربة،
ومعطيات العلم النظري يتحكم في صحتها للواقع التاريخي، إذن فما يعطيه العلم من نتائج كثير، لكنه
يبحث عن غيرها، إذ مازال الطريق أمامه طويلا، وينتظر منه بذل المزيد.

---

(١) البحث العلمي – الخطوات المنهجية لإعداد البحوث الاجتماعية ص٨٦ – الدكتور / محمد شفيق – المكتب الجامعي الحديث ١٩٩٤م.

(٢) الدكتور برهان كالفن – طريق الفيلسوف ص٦١.

(٣) الدكتور علي محمد فوزي – مناهج البحث العلمي ص١٥٧ ط١/١٩٦١م.

(٤) الدكتور عبدالعظيم محمود طلب – مناهج البحث ص٦٥ ط١/١٩٥٧م.

(٥) الدكتور علي محمد فوزي – مناهج البحث العلمي ص١٥٨.

(٦) الدكتور عبدالعظيم محمود طلب – مناهج البحث ص٦٧.

(٧) الدكتور عبدالرحمن حسن الموم – الفلسفة والعلم ص٧٥ ط دار المدى ١٩٥٧م.

وفى تقديرى: أن الفلسفة أشبه بالمصباح الذى ينطلق فى الفيافى والمجاهيل، حتى يشكف مجاهلها، والعلم هو الذى يسير خلف ذلك المصباح ينقل من تلك المخبآت ما أمكنه حمله، ثم يعاود السير فى ذات الطريق، عله يحمل مكتشفات أخرى جديدة.

✽ هـ الغاية[١]:

الغاية من الفلسفة معرفة حقيقة الحقائق لذاتها، ثم التعرف على الحقائق المختلفة، والكشف عن العلاقات القائمة بين ذوات الحقائق المختلفة[٢]، ومعرفة الأصول التى تربط بينها، أما إذا خرجت عن تلك الغايات إلى الجدل والعبث والإلحاد، فإنها لا تكون فلسفة.

أما الغاية من العلم فهى وضع تلك المعرفة موضع التنفيذ العملى، والاستفادة منها على ناحية من النواحى، مع الأخذ بعين الاعتبار أن هذه الغايات تتكامل فيما بينها، ولا تتخالف، إلا إذا خرج العلم عن حقيقته المنوطة به، إلى مجال الخرافات والأساطير[٣]، فحينئذ لا يسمى علما، ولا يصح أن ينسب القائم بها إلى زمرة العلماء.

مما سلف اتضح أن مصطلح فلسفة العلم معناه : الفلسفة التى تبحث فى قضايا العلم، ويذهب الدكتور حسن رشدى إلى تعريف فلسفة العلم بأنها :

الفلسفة العلمية التى تفيد م العلم فى عصرها، بحيث لا تظل تلك الفلسفة مجرد تأمل عقلى منقطع الصلة بما يجرى فى أرض الواقع، مع الأخذ بعين الاعتبار قيمة العلم وما ينتج عنه[1].

كما أن مصطلح فلسفة العلم، أو الفلسفة العلمية لم يظهر له استقلال أو وجود إلا بعد ظهور المشتغلين بالفلسفة الحديثة، وبناءً عليه فقد تعددت فلسفات العلم، بقدر تعدد المذاهب الفلسفية.

ونحن نرى أن فلسفة العلم إنما هى وجهة نظر الفيلسوف فيما يتعلق بالمادة الخام أو الموضوع الذى يخضع للبحث الفلسفى على سبيل الممارسة، بمعنى أن الفكر الفلسفى إنما يخدم قضايا العلم، كما أن قضايا العلم يجب أن تكون فى إطار النظرة العقلية الحرة المتجردة من الأحكام المسبقة.

غير أننا لا نذهب إلى اعتبار الفلسفة وصية على العلم أو أن العلم سيد لها، وإنما نقصد بفلسفة العلم انحصار التفكير العقلى الحر فى نطاق العالم المادى المرتبط بالتجارب المعملية.

ويبدو لنا أن فلسفة العلم يراد بها الخروج عن إطار حبس الفيلسوف فى حدود النظريات السالفة التى عاشت الفلسفة فيها فترات طويلة، وما تزال هى القواعد المعمول بها، وأعنى بها :

١- نظرية الوجود – الأنطولوجيا.

٢- نظرية المعرفة – الابستمولوجيا.

٣- نظرية القيم – الاكسمولوجيا.

لأن فيلسوف العلم ليس ملزماً بأن يكون فى إطار تلك النظريات الثلاثة، وإنما له اختيار ما يراه من نسق فلسفى يخدم الاتجاه الذى يقوم عليه، ونحن نرى أن فلسفة العلم تمثل انفتاحاً معرفياً على العلوم المختلفة، لكن من خلال اتجاه

---

١) الدكتور : حسن رشدى : فلسفة العلم، ص١٤، ط أولى، ١٩٨٤م.

تجريبى خالص محكوم بالنتائج المعملية، ويخدم الاستقراء العلمى، ومن خلال نزعات عقلية يخدمها المنطق العقلى أو التحليل المنطقى.

وما من شك فى أن فلسفة العلم بالمعانى التى سبقت لم تكن مطلقة، وإنما ارتبطت بأيدلوجيات مختلفة، ومن هنا كان سعى العلماء لتقيد هذا الانطلاق المنفلت الذى راح يكتسب فى المعامل الثقة، ومن الناس الرؤوس، حتى بات فى كثير من الأحيان يمثل انفلاتات غير محسوبة ظهرت آثارها السلبية على اعتقادات الكثير من الناس حتى صرنا نسمع عن العلم واللاعلم، المعقول واللامعقول، فإذا كان العلم هو ما يقدم حقيقة فى موضوعه وهدفه وغايته، فإن اللاعلم أو اللامعقول يمثل انفلاتات فى المنهج والموضوعات، ويرسخ فى بعض النفوس رغبة الاعتداء على القواعد العامة والقيم الثابتة، بجانب العقيدة الإلهية، ومن ثم كان دورنا بحث العلاقة بين العقيدة وفلسفة العلم ومعرفة ما فى فلسفة العلم وتقدير مواقفها، وما إذا كانت هناك إيجابيات أو سلبيات على ناحية موضوعية.

مع الأخذ فى الاعتبار أن فلسفة العلم تأخذ فى حسبانها المنطق الطبيعى، كما تأخذ طريقها أيضاً الفاعليات التى أنتجتها الفلسفة العلمية، وهو ما يمثل بعض الصعوبة بالنسبة لنا كباحثين، نعنى بنتائج الأبحاث العلمية، ونسعى لأن تكون فى خدمة العقيدة الدينية.

الفصل الثاني

سمات وخصائص العقيدة الإسلامية وفلسفة العلم

الفصل الثاني

سمات وخصائص العقيدة الإسلامية وفلسفة العلم

من الواضح أن العقيدة وفلسفة العلم قد يحدث بينهما تباعد فى المفاهيم، كما هو قائم فى الألفاظ اللغوية على أساس أن العقيدة أصولها تنزيل من الخالق جل علاه، بينما فلسفة العلم إنما هى منتج عقلى، مصادره مما أنتجت العقول، وقد يظن ظان أن بينهما تباعداً فيأتى آخر ويعتقد أن بينهما تقاربا، وحيث أن هذه الدراسة تسير خطى منهجية محددة، فقد رأيت ضرورة وضع سمات وخصائص العقيدة الإسلامية، وكذلك وضع خصائص وسمات فلسفة العلم، بحيث يكون القارىء أو الدارس على بيّنه مما هو مقبل إلى دراسته، لأن العقيدة الدينية، إنما هى عمل قلبى، وتأكيد معرفى، وممارسة فى سلوك منظم يفضى بالإنسان إلى تحقيق السعادة فى الدنيا والآخرة.

بينما فلسفة العلم تعتبر نوعاً من الثقافة ذات منهج له خصائصه يقوم على القضايا العملية، لأن الفكر هو حركة العقل فى عملية المعرفة بغية الوصول إلى حقيقة ما[1]، ففلسفة العلم إنما هى نوع من الثقافة لا يزيد على ذلك؛ ويمكن للمرء التخلى عنها متى رأى غيرها أفضل منها، وهو شأن كافة الثقافات الإنسانية التى تقوم فى موضوعات إنسانية أيضاً.

يقول الأستاذ / أحمد فكرى : ان العقيدة الدينية مصدرها إلهى، وبالتالى فالعقل لا يفحصها، وإنما يتفهم ما جاءت به[2]، ومعنى هذا أن الاستفادة من العقيدة على جانب الثقافة يعد أمراً مقبولاً، ويطلق على المتميز فيها أنه فقيه أو مفسر، أو غير ذلك مما يجىء فى هذا النطاق المقيد بأنه تنزيل رب العالمين، أما فلسفة العلم، فهى اتجاه مخالف تماما لما هو قائم فى العقيدة الدينية، يقول الدكتور / محمد زيتون

---

١) العلامة : مالك بن نبى : مشكلة الثقافة والفكر، ص٥٧.

٢) الأستاذ : أحمد فكرى، دستور العلماء، جـ٣، ص٢١.

: ان فلسفة العلم ما هى إلا منتج ثقافى يقوم على طرح الآراء والتمسك بالعلم ونتائجه المعملية، فإذا أبى دارس الوقوف على هذا المعنى اعتبر ممن يرفضون فلسفة العلم(١).

من ثم فإن فلسفة العلم لا تكون إلا قائمة فى نطاق العلم المعملى، ومن المؤكد أن العلماء قد صنفوا العلوم تصنيفاً يؤكد أن فلسفة العلم ليست هى العقيدة ولا جزءً منها، وان كانت الشريعة قد حثت عليها ونبهت إليها وأمرت بها، وآية ذلك : التصنيف العلمى ما ذهب إليه الفارابى من قوله : ان علم اللسان عند كل أمة ينقسم سبعة أجزاء عظمى :

١- علم الألفاظ المفردة.

٢- علم الألفاظ المركبة.

٣- علم قوانين الألفاظ عندما تكون مفردة.

٤- قوانين الألفاظ عندما تركب.

٥- قوانين تصحيح الكتابة.

٦- قوانين تصحيح القراءة.

٧- قوانين تصحيح الأشعار(٢).

والفارابى إنما كان يحصى فى كتابه العلوم التى كانت لها شهرة فى زمانه، لأنه يقول : قصدنا فى هذا الكتاب أن نحصى العلوم المشهورة علماً علماً، وبالتالى فإن من الأصناف السبعة التى ذكرها إنما كانت تخص علم اللسان على وجه العموم، بدليل : أنه لم يتناول العلوم المندرجة فى العلوم اللسانية أيضاً، ومنها : النحو، والصرف، والبلاغة، واللغة، والآداب، وما دام تصنيف العلوم قاعدة عامة، فإن فلسفة العلوم تدخل فى هذا النطاق التصنيفى.

---

١) الدكتور / محمد زيتون : فلسفة العلم، ص١٣، ط أولى، ١٩٩١م.

٢) أبو نصر الفارابى : إحصاء العلوم، ص٥٩.

فى نفس الوقت فإن إخوان الصفا، هم الآخرون قسموا العلوم التى يتعاطاها الناس إلى أقسام ثلاثة تقول رسائلهم : اعلم أن العلوم التى يتعاطاها البشر ثلاثة أجناس :

١- العلوم الرياضية.
٢- العلوم الشرعية الوضعية.
٣- العلوم الفلسفية الحقيقية[١].

والواضح أنهم يقصدون بالعلوم الشرعية الوضعية : ما تم استخراجه من لسان الشرع، ثم وضع فى مجموعات تتعلق بها أغراضها، فمثلاً :

- علم أصول الفقه : علم شرعى لكنه لم يتنزل بمفرداته من قبل الله عز وجل[٢]، وإنما تواضع عليه المعنيون به، بدليل : ظهور كتاب الأم للإمام الشافعى، والرسالة أيضاً، وظهور الوريقات للجوينى، وكذلك المحصول والمنخول للغزالى، واحكام الأحكام للآمدى، والاحكام فى أصول الأحكام لابن حزم، وغيرها مما لم يتوقف البحث فيه حتى الآن، فهو علم شرعى من حيث الخدمات التى يقوم بها، وهو أيضاً وضعى من حيث القائمين عليه، ومن ثم يعرف علم أصول الفقه بأنه : علم كلى ينهض فى استنباط الأحكام الشرعية من النصوص الإلهية[٣].

- أما علم الفقه : فهو علم الفروع، وهو الذى تطبق عليه أحكام علم أصول الفقه، بمعنى أن علم أصول الفقه يضع المبادىء العامة، ثم يجىء علم الفقه، فيكون هو الميدان الذى تطبق فيه تلك القواعد العامة[٤]، ومن ثم

١) إخوان الصفا وخلان الوفا : الرسائل، جـ١، ص٢٦٦.

٢) لأن قواعده إنما هى باتفاق المعنيين فيه ولا يجادل فى ذلك مجادل، بدليل أن قواعده ومنها الضرورة تقدر بقدرها، الضرورات تبيح المحظورات، فإنها جميعا لم تنزل فى القرآن، ولم تجىء فى السنة، وإنما هى مستقاة من فهم هؤلاء للقرآن والسنة، راجع د. على حسب الله : أصول التشريع الإسلامى، ص١٠٠-١٠١.

٣) راجع الدكتور : عبد الباسط محمود سليم : أصول الفقه، ص١٣، ط أولى، ١٩٥٣، وأيضا للدكتور : عبد الوهاب خلاف : أصول الفقه، ص٥٨، والشيخ محمد أبو زهرة، أصول الفقه، ص١٣-١٤.

٤) ومن هنا تكون حاجة علم الفقه إلى علم أصول الفقه ضرورة من ضرورات البحث العلمى، بدليل أن أصحاب الفروع كانت لهم اتجاهات سابقة فى علم الأصول.

نسب كل فرع إلى رأسه، أو الذين انتسبوا إليه، فهو شرعى من حيث تعلقه بأحكام الشريعة، وضعى من حيث القائمين على تأليفه[١].

كذلك تظهر معارف عقلية لها ارتباطات شرعية بعضها يتعلق بالعقيدة، وبعضها يتعلق بالجوانب العملية، ومن هنا تبرز الصلة بين العقيدة كعلم، وبين الفقه كعلم أيضا، يقول عبد المجيد النجار : ان العلوم العملية فى المفهوم الإسلامى ليست إلا وجها تطبيقيا للعلوم النظرية على نحو ما يتضح من صلة علم الفقه بعلم التوحيد، فهو ليس امتداداً له فى مستوى التطبيق[٢].

من ثم يتضح ان هناك فارقا بين العقيدة وبين الثقافة، وكذلك توجد فوارق عديدة بين العقيدة من ناحية أنها عمل قلبى، وبين العقيدة من ناحية أنها علم نظرى[٣].

مما سبق أرى ضرورة وضع السمات التى تخص العقيدة فى مجموعة بعينها، وكذلك أصنع مع فلسفة العلم على النحو التالى :-

أولاً : خصائص العقيدة الإلهية وسماتها :

الأولى : الاتجاه لله :

العقيدة الإلهية تتعلق بالله عز وجل، والتصديق بما أنزل فى كتبه أو جاء على لسان رسله، وبناءً عليه فلا يتجه المرء بقلبه إلا إلى الله عز وجل، فيوقن بأنه الخالق الرازق، الموجود، المعدم، المحيى المميت، لا شريك له، ومن هنا : كانت هذه العقيدة متجهة إلى الله عز وجل، وقد جاءت آيات القرآن الكريم على هذا الجانب كثيراً، منها قوله تعالى : ﴿هُوَ الَّذِي يُسَيِّرُكُمْ فِي الْبَرِّ وَالْبَحْرِ حَتَّى إِذَا كُنتُمْ فِي الْفُلْكِ وَجَرَيْنَ بِهِم بِرِيحٍ طَيِّبَةٍ وَفَرِحُوا بِهَا جَاءَتْهَا رِيحٌ عَاصِفٌ وَجَاءَهُمُ الْمَوْجُ مِن كُلِّ

---

١) وهذا المعنى لا يختلف فيه أحد من أصحاب التخصص الدقيق ولا غيرهم، لأن تلك العبارات واضحة الدلالة، محددة المفهوم، تكشف الصلة بين علمى أصول الفقه والفقه.

٢) الأستاذ / عبد المجيد النجار : مباحث فى منهجية الفكر الإسلامى، ص٥١، ط دار الغرب الإسلامى، بيروت، ١٩٩٢م.

٣) لأن العقيدة لما كانت عملاً من أعمال القلوب فقد تساوى فيها الناس جميعاً متى عدت فطرية، بينما علم العقيدة لما كان علما كسبيا فلم يتمكن منه إلا المتخصصون فيه.

مكَانٍ وَظَنُّوا أَنَّهُمْ أُحِيطَ بِهِمْ دَعَوُا اللَّهَ مُخْلِصِينَ لَهُ الدِّينَ لَئِنْ أَنجَيْتَنَا مِنْ هَـذِهِ لَنَكُونَنَّ مِنَ الشَّاكِرِينَ﴾[1].

فالإنسان إنما يدعو من يعتقد قدرته على دفع الضر عنه، وإمكانيته في تلبية نداءاته، ولا يكون ذلك المدعو من آحاد الناس لعجز الجميع عن بلوغ تلك الغاية، وإنما يتجه الداعي إلى مدعو بعينه هو القادر على تغيير المواقف، دليل ذلك قوله تعالى : ﴿ وَإِذَا مَسَّ النَّاسَ ضُرٌّ دَعَوْا رَبَّهُم مُّنِيبِينَ إِلَيْهِ ثُمَّ إِذَا أَذَاقَهُم مِّنْهُ رَحْمَةً إِذَا فَرِيقٌ مِّنْهُم بِرَبِّهِمْ يُشْرِكُونَ﴾[2].

وقوله تعالى : ﴿ فَإِذَا رَكِبُوا فِي الْفُلْكِ دَعَوُا اللَّهَ مُخْلِصِينَ لَهُ الدِّينَ فَلَمَّا نَجَّاهُمْ إِلَى الْبَرِّ إِذَا هُمْ يُشْرِكُونَ﴾[3].

---

١) سورة يونس، الآية ٢٢. فذكر ريح الرحمة بلفظ الإفراد لوجهين أحدهما لفظي وهو المقابلة فإنه ذكر ما يقابلها ريح العذاب وهي لا تكون إلا مفردة ورب شيء يجوز في المقابلة ولا يجوز استقلالا نحو ومكروا ومكر الله الثاني معنوي وهو إن تمام الرحمة هناك إنما تحصل بوحدة الريح لا باختلافها فإن السفينة لا تسير إلا بريح واحدة من وجه واحد فإن اختلفت عليها قولا وتصادمت كان سبب الهلاك والغرق فالمطلوب هناك ريح واحدة ولهذا أكد هذا المعنى فوصفها بالطيب دفعا لتوهم أن تكون عاصفة بل هي ريح يفرح بطيبها، البرهان في علوم القرآن، جـ٤، ص١١.

٢) سورة الروم، الآية ٣٣، قول تعالى ذكره وإذا مس هؤلاء المشركين الذين يجعلون مع الله إلها آخر ضر فأصابتهم شدة وجدوب وقحوط دعوا ربهم يقول أخلصوا لربهم التوحيد وأفردوه بالدعاء والتضرع إليه واستغاثوا به منيبين إليه تائبين إليه من شركهم وكفرهم ثم إذا أذاقهم منه رحمة يقول ثم إذا كشف ربهم تعالى ذكره عنهم ذلك الضر وفرجه عنهم وأصابهم برخاء وخصب وسعة إذا فريق منهم يقول إذا جماعة منهم بربهم يشركون، تفسير الطبرى، جـ٢١، ص٤٣.

٣) سورة العنكبوت، الآية ٦٥، يقول تعالى ذكره فإذا ركب هؤلاء المشركون السفينة في البحر فخافوا الغرق والهلاك فيه دعوا الله مخلصين له الدين يقول أخلصوا لله عند الشدة التي نزلت بهم التوحيد وأفردوا له الطاعة وأذعنوا له بالعبودة ولم يستغيثوا بآلهتهم وأندادهم ولكن بالله الذي خلقهم فلما نجاهم إلى البر يقول فلما خلصهم مما كانوا فيه وسلمهم فصاروا إلى البر إذا هم يجعلون مع الله شريكا في عبادتهم ويدعون الآلهة والأوثان معه أربابا، تفسير الطبرى، جـ٢١، ص١٣.

وقوله تعالى : ﴿ قُلْ مَن يُنَجِّيكُم مِّن ظُلُمَاتِ الْبَرِّ وَالْبَحْرِ تَدْعُونَهُ تَضَرُّعاً وَخُفْيَةً لَئِنْ أَنجَانَا مِنْ هَذِهِ لَنَكُونَنَّ مِنَ الشَّاكِرِينَ ﴾ [١].

إلى غير ذلك من الآيات التى بيّنت اتجاه المرء إلى دعاء من يعتقد قدرته على تلبية ما يرجو، وفى نفس الوقت ثقته فى أن من يعتقده يسمع نداءه، ويجيب رجاءه متى كان ذلك على وفق مراده.

الثانية : فطرية العقيدة :

خلق الله الناس جميعاً مفطورين على معرفته، وتوحيده، يستوى فى ذلك توحيد العبادة، وتوحيد الربوبية، لأن هذه التفضيلات – الألوهية والربوبية – إنما هى من المنتجات الثقافية، وهذه العقيدة الفطرية جاءت بها الآيات القرآنية، منها قوله تعالى : ﴿ فَأَقِمْ وَجْهَكَ لِلدِّينِ حَنِيفاً فِطْرَةَ اللَّهِ الَّتِي فَطَرَ النَّاسَ عَلَيْهَا لا تَبْدِيلَ لِخَلْقِ اللَّهِ ذَلِكَ الدِّينُ الْقَيِّمُ وَلَكِنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ لا يَعْلَمُونَ ﴾[٢].

فهذه العقيدة يتساوى فيها من الناحية الفطرية كل العقلاء، ساكن القصور مع ساكن القبور وساكن الصحراء مع المقيم بناطحات السماء، بل يتساوى فيها الحفاة العراة مع أهل العلم والثقافة والنباهة، لأن الخالق للجميع واحد هو الله عز وجل، وقد أودع فى قلوبهم جميعاً معرفته، فصارت معقدة فى قلوبهم لا يبرحونها إلا بعد غلوهم، يدل على ذلك قوله ﷺ : ما من مولود يولد إلا يولد على الفطرة بأبواه يهودانه أو ينصرانه أو يمجسانه كما تنتج البهيمة بهيمة جمعاء هل تحسون فيها من جدعاء"[٣].

---

١) سورة الأنعام، الآية ٦٣، وجمع الظلمات على أنه يعني ظلمة البر وظلمة البحر وظلمة الليل وظلمة الغيم أي إذا أخطأتم الطريق وخفتم الهلاك دعوتموه لئن أنجيتنا من هذه أي من هذه الشدائد لنكونن من الشاكرين أي من الطائعين فوبخهم الله في دعائهم إياه عند الشدائد وهم يدعون معه في حالة الرخاء غيره بقوله ثم أنتم تشكرون، تفسير القرطبى، جـ٧، ص٨.

٢) سورة الروم، الآية ٣٠، أي لا تبدلوا فطرت الله ودعوا الناس على فطرتهم، وفي صحيح مسلم عن عياض بن حماد قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم قال الله عز وجل إني خلقت عبادي حنفاء فجاءتهم الشياطين فاجتالتهم عن دينهم وحرمت عليهم ما أحللت لهم ثم قال تعالى ومن يتخذ الشيطان وليا من دون الله فقد خسر خسرانا مبينا أي فقد الدنيا والآخرة وتلك خسارة لا جبر لها ولا إستدراك لفائتها، تفسير ابن كثير، جـ١، ص٥٥٧.

٣) صحيح البخارى، جـ١/ ص٤٥٦.

وحيث أن هذه العقيدة فطرية يشترك فيها الناس جميعاً، فقد دل الأمر على تساويهم فى الثواب والعقاب، المترتب على أداء ما يتعلق بهذه العقيدة وهو التقوى، لقوله تعالى : ﴿يَا أَيُّهَا النَّاسُ إِنَّا خَلَقْنَاكُم مِّن ذَكَرٍ وَأُنثَى وَجَعَلْنَاكُمْ شُعُوباً وَقَبَائِلَ لِتَعَارَفُوا إِنَّ أَكْرَمَكُمْ عِندَ اللَّهِ أَتْقَاكُمْ إِنَّ اللَّهَ عَلِيمٌ خَبِيرٌ﴾ [1].

وحيث ان العقيدة الإلهية فطرية فى النفوس فقد جاءت رسالات الله جميعاً إلى بنى الإنسان تشرح هذه العقيدة وتوضح الأجزاء المترتبة عليها، كما توضح طرائق عرضها، والدفاع عنها.

دليل ذلك : ان القرآن الكريم تعرض للعقائد الفاسدة والواحدة تلو الأخرى، وبين وجه فسادها حتى استقر أمر التوحيد على الناحية المعرفية العقلية، كما هو ثابت من الناحية الفطرية[2].

كما ان القرآن الكريم وهو يعرض العقائد الفاسدة إنما يوقظ فى الإنسان رصيده الإلهى وهو العقيدة الفطرية التى قد يحدث عليها قفز ثقافى، ثم يخاطب قدراته العقلية التى قد يحدث لها تداخل فى المنتجات الثقافية، وحينئذ يخلصه القرآن الكريم مما لحق به، ثم يعيده إلى الأصل الأول، وهو فطرية العقيدة.

دليل ذلك : ان القرآن الكريم أبطل عقيدة التثنية فى الإله فقال تعالى : ﴿وَقَالَ اللَّهُ لاَ تَتَّخِذُوا إِلَـهَيْنِ اثْنَيْنِ إِنَّمَا هُوَ إِلَهٌ وَاحِدٌ فَإيَّايَ فَارْهَبُونِ﴾[3].

فمن كان يعتقد فى إلهين على سبيل اختلاط الفكر أرجعه القرآن إلى الفطرة، وهى المحكومة بعد الضرورة العقلية، إذ لو كان هناك إلهان لكان أحدهما هو المعبود بحق، ومن ثم تقع له الرهبة فى النفوس، والخوف داخل العقول، كما يقع له الترهيب والترغيب بقدر سواء.

---

١) سورة الحجرات، الآية ١٣، أى : وجعلناكم متناسبين فبعضكم يناسب بعضا نسبا بعيدا وبعضكم يناسب بعضا نسبا قريبا فالمناسب النسب البعيد من لم ينسبه أهل الشعوب وذلك إذا قيل للرجل من العرب من أي شعب أنت قال أنا من مضر أو من ربيعة، تفسير الطبرى، ج٢٦، ص١٣٨.

٢) راجع كتابنا : المدخل التام فى علم الكلام، ص٤٤٤-٤٨٦.

٣) سورة النحل، الآية ٥١.

وحول إثبات القرآن الكريم إبطال التعدد فى الآلهة المثلثة جاء قوله تعالى : ﴿لَقَدْ كَفَرَ الَّذِينَ قَالُوا إِنَّ اللهَ ثَالِثُ ثَلاثَةٍ وَمَا مِنْ إِلَـهٍ إِلاَّ إِلَـهٌ وَاحِدٌ وَإِن لَّمْ يَنتَهُوا عَمَّا يَقُولُونَ لَيَمَسَّنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا مِنْهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ﴾[1].

ولا شك أن إبطال القرآن الكريم لوجود إله آخر مع الله يأتى معه إبطال الهين من باب أولى، وبناءً عليه فأصحاب العقيدة التى تقوم على التثنية فى الآلهة

---

١) سورة المائدة، الآية ٧٣. وما من إله إلا إله واحد وكما قال في آخر السورة المذكورة وإذ قال الله يا عيسى ابن مريم أأنت قلت للناس إتخذوني الآية وقال في أولها لقد كفر الذين قالوا إن الله هو المسيح ابن مريم الآية والنصارى عليهم لعائن الله من جهلهم ليس لهم ضابط ولا لكفرهم حد بل أقوالهم وضلالهم منتشر فمنهم من يعتقده إلها ومنهم من يعتقده شريكا ومنهم من يعتقده ولدا وهم طوائف كثيرة لهم آراء مختلفة وأقوال غير مؤتلفة ولقد أحسن بعض المتكلمين حيث قال لو اجتمع عشرة من النصارى لافترقوا عن أحد عشر قولا ولقد ذكر بعض علمائهم المشاهير عندهم وهو سعيد بن بطريق بترك الإسكندرية في حدود سنة أربع مئة من الهجرة النبوية أنهم اجتمعوا المجمع الكبير الذي عقدوا فيه الأمانة الكبيرة التي لهم وإنما هي الخيانة الحقيرة الصغيرة وذلك في أيام قسطنطين باني المدينة المشهورة وأنهم اختلفوا عليه إختلافا لا ينضبط ولا ينحصر فكانوا أزيد من ألفين أسقفا فكانوا أحزابا كثيرة ثم خمسين منهم على مقالة وعشرون على مقالة ومئة على مقالة وسبعون على مقالة وأزيد من ذلك وأنقص فلما رأى منهم عصابة قد زادوا على الثلاث مئة بثمانية عشر نفرا وقد توافقوا على مقالة فأخذها الملك ونصرها وأيدها وكان فيلسوفا داهية ومحق ما عداها من الأقوال وانتظم دست أولئك الثلاث مئة والثمانية عشر وبنيت لهم الكنائس ووضعوا لهم كتبا وقوانين وأحدثوا فيها الأمانة التي يلقونها الولدان من الصغار ليعتقدوها ويعمدونهم عليها وأتباع هؤلاء هم الملكية ثم إنهم اجتمعوا مجمعا ثانيا فحدث فيهم اليعقوبية ثم مجمعا ثالثا فحدث فيهم النسطورية وكل هذه الفرق تثبت الأقانيم الثلاثة في المسيح ويختلفون في كيفية ذلك وفي اللاهوت والناسوت على زعمهم هل اتحد أوما اتحدا أو امتزجا أو حل فيه على ثلاث مقالات وكل منهم يكفر الفرقة الأخرى ونحن نكفر الثلاثة ولهذا قال تعالى إنتهوا خيرا لكم أي يكن خيرا لكم إنما الله إله واحد سبحانه أن يكون له ولد أي تعالى وتقدس عن ذلك علوا كبيرا له ما في السموات وما في الأرض وكفى بالله وكيلا أي الجميع ملكه وخلقه وجميع ما فيهما عبيده وهم تحت تدبيره وتصريفه وهو وكيل على كل شيء فكيف يكون له منهم صاحبة وولد كما قال في الآية الأخرى بديع السموات والأرض أنى يكون له ولد الآية وقال تعالى إتخذ الرحمن ولدا لقد جئتم شيئا إدا إلى قوله فردا الآيات. تفسير ابن كثير، جـ١، ص٥٩٢.

كالحال مع أصحاب النيرين[1]. وأصحاب الضدين، وأعنى بهما الليل والنهار، أو النور والظلمة، فإنه كذلك أبطل التثليث على كل ناحية، يستوى فى ذلك أن يكون التثليث متعلقاً بالأقانيم وهى :

١- أقنوم الإله الأب.

٢- أنوم الإله الابن.

٣- أقنوم الإله الروح القدس.

يقول القس : يسى منصور : وكل واحد من الثلاثة إله كامل، مساو للآخر فى جميع الصفات الإلهية واستحقاق العبادة، مع التمجيد والتقديس، وكلها تسمى : الطبيعة الإلهية، مع أن كلاً من الثلاثة يتساوى مع الآخر ويأتى بأعمال محددة.

فالإله الأب : إليه ينتمى الخلق بواسطة الإله الابن.

والإله الابن : ينتمى إليه الفداء تكفيراً عن خطايا البشر.

والإله الروح القدس : ينتمى إليه التطهير.

فهى ثلاث شخصيات متميزة فى أدائها، غير منفصلة عن بعضها، متساوية، فائقة التصور الإنسانى، لأنها تعلو عليه[2].

وفكرة الأقانيم ترد كثيراً فى المصادر التى تعتقد التثليث، يقول القديس يوحنا الرسول الذين يشهدون فى السماء ثلاثة :

الأب، والكلمة، والروح القدس.

وهؤلاء الثلاثة واحد[3].

ويتحدث المثلثة عن هذا كثيراً، يقول القديس متى : اذهبوا وتلمذوا جميع الأمم وعمدوهم باسم الأب والابن والروح القدس[4].

---

١) هم عبدة القمر والشمس، فهما نيران والبعض يعبدهما معاً، أو يعبد واحد منهما على سبيل الاستقلال.

٢) القس : يسى منصور : رسالة التثليث والتوحيد، ص١٥٧، ط الكنيسة القبطية، ١٩٢١.

٣) انجيل يوحنا : الإصحاح الخامس، ٧.

٤) انجيل متى / الإصحاح ١٩/٢٨.

فإذا أدركنا هذا التثليث الذى يقول بـه أصحابه تبين أنهم يؤكدون عليـه، ويسعون لتثبيته فى عقول الناس، يقول القس صموئيل مشرقى : ان العقيدة الدينية عندنا تؤكد على هذا الثالوث[1].

وهذا التعدد المتوحد كما يقولـون يخالف القاعدة الفطرية التى خلق الله الناس عليها، ولذا فكان القرآن الكريم يعرض هذه القضايا الفاسدة والاعتقادات المتضاربة ثم يأتى عليها ويبين أن هذه العقيدة الإلهية فطرية، ولا يمكن القفز فوقها، قال تعالى : ﴿يَا أَهْلَ الْكِتَابِ لاَ تَغْلُواْ فِي دِينِكُمْ وَلاَ تَقُولُواْ عَلَى اللّهِ إِلاَّ الْحَقِّ إِنَّمَا الْمَسِيحُ عِيسَى ابْنُ مَرْيَمَ رَسُولُ اللّهِ وَكَلِمَتُهُ أَلْقَاهَا إِلَى مَرْيَمَ وَرُوحٌ مِّنْهُ فَآمِنُواْ بِاللّهِ وَرُسُلِهِ وَلاَ تَقُولُواْ ثَلاَثَةٌ انتَهُواْ خَيْراً لَّكُمْ إِنَّمَا اللّهُ إِلَـهٌ وَاحِدٌ سُبْحَانَهُ أَن يَكُونَ لَهُ وَلَدٌ لَّهُ مَا فِي السَّمَاوَات وَمَا فِي الأَرْضِ وَكَفَى بِاللّهِ وَكِيلاً﴾[2].

فى نفس الوقت جاءت آيات القرآن لتزيح عن العقول فكرة الآلهة المتعددة اكثر من الثلاثة، وبين أنه متى وقع التعدد بأكثر من ثلاثة فإنه يكون كالحال مع التعدد فوق الواحد ابتداءً لأن الفطرة الصحيحة لا تعترف إلا بوجود إله واحد، قال تعالى : ﴿لَوْ كَانَ فِيهِمَا آلِهَةٌ إِلَّا اللَّهُ لَفَسَدَتَا فَسُبْحَانَ اللَّهِ رَبِّ الْعَرْشِ عَمَّا

---

١) القس : صموئيل مشرقى : الإلهايات / وحدانية اله، ص٤٦.

٢) سورة النساء، الآية ١٧١، أي إنما هو عبد من عباد الله وخلق من خلقه قال له كن فكان ورسول من رسله وكلمته ألقاها إلى مريم أي خلقه بالكلمة التي لرسل بها جبريل عليه السلام إلى مريم فنفخ فيها من روحه بإذن ربه عز وجل وكانت تلك النفخة التي نفخها في جيب درعها فنزلت حتى ولجت فرجها بمنزلة لقاح الأب الأم والجميع مخلوق لله عز وجل ولهذا قيل لعيسى إنه كلمة الله وروح منه لأنه لم يكن له أب تولد منه وإنما هو ناشئ عن الكلمة التي قال له بها كن فكان والروح التي لرسل بها جبريل قال الله تعالى ما المسيح ابن مريم إلا رسول قد خلت من قبله الرسل وأمه صديقة كانا يأكلان الطعام وقال تعالى إن مثل عيسى عند الله كمثل آدم خلقه من تراب ثم قال له كن فيكون وقال تعالى والتي أحصنت فرجها فنفخنا فيها من روحنا وجعلناها وابنها آية للعالمين وقال تعالى ومريم ابنة عمران التي أحصنت فرجها إلى آخر السورة وقال تعالى إخبارا عن المسيح إن هو إلا عبد أنعمنا عليه الآية وقال عبد الرزاق عن معمر عن قتادة وكلمته ألقاها إلى مريم وروح منه هو كقوله كن فكان، تفسير ابن كثير، جـ١، ص٥٩١.

يَصِفُونَ﴾(١)، وقوله تعالى : ﴿ قُل لَّوْ كَانَ مَعَهُ آلِهَةٌ كَمَا يَقُولُونَ إِذًا لَّابْتَغَوْا إِلَىٰ ذِي الْعَرْشِ سَبِيلًا سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ عَمَّا يَقُولُونَ عُلُوًّا كَبِيرًا ﴾ (٢).

ومن هنا تبين أن العقيدة الإلهية فطرية خلق الناس جميعاً عليها واستقروا فيها، وما حدث بعد ذلك فإنما هو مما يعتبر فى العقول ولا يعتبر فى القلوب على ناحية من النواحى.

السمة الثالثة : المصدر الإلهى :

لما كانت العقيدة الإلهية متجهة إلى الله – عز وجل – فإن المرء يولد مزوداً بها، وبالتالى يأتى السؤال عن مصدرها، ومن البديهى القول بأن مصدرها هو الله – عز وجل – لأنها تتعلق به، وتتجه إليه، كما تعرف المخلوقين بما هو قائم على الناحية التى ترضيه، والملاحظ أن هذه العقيدة قد جاءت نصوصها محددة تحديداً دقيقاً، أما لماذا؟

فلأنها من الناحية الشرعية تقوم على الإيمان بالله وملائكته، وكتبه ورسله واليوم الآخر والقدر خيره وشره(٣)، وهذه العقيدة التى تقوم فى الأجزاء على النحو الذى سلف لا يكون مصدرها إلا الله عز وجل على أساس أن الجزئيات التى تتناولها إنما تكون منزلة، وحينئذ تكون توقيفية، فالعقيدة الإلهية لا تثبت إلا بدليل من الشارع الحكيم، ولا مجال فيها للرأى، ولا يقع حولها الاجتهاد فى مصادرها، بدليل أن ما جاء فى القرآن الكريم بشأن العقيدة قد جاء قطعياً فى دلالته، كما هو قطعى فى وروده(٤).

---

١) سورة الأنبياء، الآية ٢٢.
٢) سورة الإسراء، الآية ٤٢-٤٣.
٣) الدكتور / صالح بن فوزان بن عبد الله الفوزان : عقيدة التوحيد، ص٥.
٤) الدكتور / محمد حسينى موسى الغزالى : أوراق منسية فى النصوص الفلسفية، حيث عرض لذلك فى الفصل الأول، وذكر آراء العلماء حول فكرة النص ودلالته، وما يتعلق بقطعى الدلالة وقطعى الورود.

وحينئذ تكون مصادر العقيدة الإلهية هى القرآن الكريم والسنة النبوية الصحيحة المتواترة، يقول الشيخ محمد منصور مدكور : ان العقيدة الإلهية توقيفية فى مصادرها حيث تقتصر على ما جاء فى الكتاب والسنة، لأنه لا أحد أعلم بالله وما يجب له وما ينزه عنه من الله، كما لا أحد بعد الله أعلم بالله من رسول الله ﷺ الذى لا ينطق عن الهوى، وحيث ان صحابة رسول الله ﷺ عدول كلهم بتعديل الله لهم فإن فعلهم واعتقادهم ينضم إليه وهو المعبر عنه بمنهج السلف الصالح[1].

فما دل عليه الكتاب والسنة فى حق الله تعالى يجب الإيمان به، والاعتصام بما فيه والعمل بمقتضاه، أما ما لم يرد فى الكتاب والسنة فيجب رده وعدم الاعتداد به، ويكون إهماله هو القاعدة الشرعية.

يقول الشيخ الفوزان : عقيدتنا أن ما دل عليه الكتاب والسنة يجب الأخذ به، والإيمان والعمل إذ لا يكفى الاعتقاد فقط، لأن السلف الصالح كانوا فى تلقى العقيدة مقصورين على الكتاب والسنة، فما دل عليه الكتاب والسنة فى حق الله تعالى آمنوا به واعتقدوه، وعملوا به، وما لم يدل عليه فى الكتاب ولا السنة نفوه ورفضوه، ولهذا لم يقع بينهم اختلاف فى الاعتقاد، وإنما كانت عقيدتهم واحدة، وجماعتهم واحدة، واتجاههم إلى الله قائماً على قوله تعالى : **﴿وَاعْتَصِمُوا بِحَبْلِ اللَّهِ جَمِيعاً وَلاَ تَفَرَّقُوا وَاذْكُرُوا نِعْمَتَ اللَّهِ عَلَيْكُمْ إِذْ كُنْتُمْ أَعْدَاءً فَأَلَّفَ بَيْنَ قُلُوبِكُمْ فَأَصْبَحْتُمْ بِنِعْمَتِهِ إِخْوَاناً وَكُنْتُمْ عَلَىَ شَفَا حُفْرَةٍ مِّنَ النَّارِ فَأَنقَذَكُم مِّنْهَا كَذَلِكَ يُبَيِّنُ اللَّهُ لَكُمْ آيَاتِهِ لَعَلَّكُمْ تَهْتَدُونَ﴾**[2].

---

١) الشيخ / محمد منصور مدكور : العقيدة الإسلامية وأصولها النقلية، ص١٣-١٤، ط أولى، ١٩٤١.

٢) سورة آل عمران، الآية ١٠٣، وفي صحيح مسلم عن أبي هريرة قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم إن الله يرضى لكم ثلاثا ويكره لكم ثلاثا يرضى لكم أن تعبدوه ولا تشركوا به شيئا وأن تعتصموا بحبل الله جميعا ولا تفرقوا ويكره لكم ثلاثا قيل وقال وكثرة السؤال وإضاعة المال فأوجب تعالى علينا التمسك بكتابة وسنة نبيه والرجوع إليهما عند الإختلاف وأمرنا بالإجتماع على الإعتصام بالكتاب والسنة إعتقادا وعملا وذلك سبب اتفاق الكلمة وإنتظام الشتات الذي يتم به مصالح الدنيا والدين والسلامة من الإختلاف وأمر بالإجتماع ونهى عن الإفتراق الذي حصل لأهل الكتابين، تفسير القرطبي، جـ٤، ص١٦٤.

وكان رائدهم فى ذلك قوله تعالى : ﴿ قَالَ اهْبِطَا مِنْهَا جَمِيعاً بَعْضُكُمْ لِبَعْضٍ عَدُوٌّ فَإِمَّا يَأْتِيَنَّكُم مِّنِّي هُدًى فَمَنِ اتَّبَعَ هُدَايَ فَلَا يَضِلُّ وَلَا يَشْقَى ﴾[1].

ومن هنا كانوا هم الفرقة الناجية ويستشهد لذلك بأن النبى ﷺ قال : ستفترق الأمة إلى ثلاث وسبعين فرقة، كلها فى النار إلا واحدة، فلما سئل رسول الله ﷺ عن الواحدة قال : هى من كان على مثل ما أنا عليه اليوم وأصحابى[2].

والملاحظ أن هذا الاستدلال بالحديث الشريف قد وظف لغاية بعينها هى إثبات أن الفرقة الناجية هم أهل السلف الصالح ومن كان معهم، والحديث إنما يؤكد أمرين :

أحدهما : وقوع الاختلاف في تابعى الأمة الإسلامية وبيان أن من بين المختلفين فرقة واحدة هى الناجية.

ثانيهما : أن هذه الفرق سيضرب بعضها بعضاً، ويطعن بعضها بعضاً، لأن الأهواء هى التى تكون رائدهم، أما الفرقة الناجية، فإن كتاب الله وسنة رسوله ﷺ يعصمانها عن الوقوع فيما وقع فيه غيرها.

ودليل ذلك : ورود الحديث من طرق مختلفة :

١- منها ما روى عن أبى هريرة رضى الله عنه قال : قال رسول الله ﷺ : افترقت اليهود على احدى وسبعين فرقة، وافترقت النصارى على اثنين وسبعين فرقة، وتفترق أمتى على ثلاث وسبعين فرقة[3].

---

١) سورة طه، الآية ١٢٣، يقول تعالى ذكره قال الله تعالى لآدم وحواء اهبطا جميعا إلى الأرض بعضكم لبعض عدو يقول أنتما عدو إبليس وذريته وإبليس عدوكما وعدو ذريتكما . تفسير الطبرى، جـ١٦، ص٢٢٤.

٢) الشيخ / محمد الفوزان : العقيدة والسلف الصالح، ص٣١، ط أولى، ١٩٥٧م.

٣) ويلاحظ أن راوى الحديث هو سيدنا أبو هريرة – رضى الله عنه – الصحابى الجليل / عبد الرحمن بن صخر المتوفى عام ٥٧هـ، من أكثر رواة الحديث.

٢- ما روى عن عبد الله بن عمر بن العاص : قال : قال رسول الله ﷺ : ليأتين على أمتى ما أتى على بنى إسرائيل تفرق بنو إسرائيل على اثنين وسبعين ملة، وستفترق أمتى على ثلاث وسبعين ملة تزيد عليهم ملة كلهم فى النار إلا ملة واحدة، قالوا يا رسول الله وما الملة التى تتغلب؟ قال ما أنا عليه وأصحابى[١]، فدل الحديث على أن هناك ملة واحدة تتغلب على باقى الملل، وهى التى يكون عليها القائم على كتاب الله وسنة رسول الله ﷺ.

٣- ما روى عن سيدنا أنس بن مالك رضى الله عنه عن النبى ﷺ أنه قال : ان بنى إسرائيل افترقت على احدى وسبعين فرقة، وان أمتى ستفترق على اثنين وسبعين فرقة كلها فى النار إلا واحدة وهى الجماعة[٢].

والذى يتضح أن الاستدلال بما فى أيدى الفرقة الناجية إنما هو أخذ بما جاء به الأمر من الله عز وجل على لسان رسوله ﷺ، ولذا كانت مصادر العقيدة الإلهية هى المصادر الشرعية لقوله ﷺ : "تركت فيكم ما ان تمسكتم به لن تضلوا بعدى أبداً : كتاب الله وسنتى"[٣]، وكلما أمسك المرء بكتاب الله وسنة رسوله نجا، أما إذا أمسك بغيرهما ضل وغوى، وهذا يمثل فارقاً جوهرياً بين مصادر العقيدة الإلهية وغيرها من صنوف العلوم المختلفة.

---

١) ويلاحظ أن راوى الحديث الأعلى هو عبد الله بن عمر بن العاص الصحابى الجليل الصالح، عبد الرحمن بن صخر المتوفى عام ٥٧هـ من أكثر رواة الحديث، كان رضى الله عنه ورعا كثير العلم، كبير القدر، وكان يلوم أباه على دخوله فى الفتنة بين علىّ ومعاوية، ولكنه كان يبره ويطيعه للأبوّة، ت٦٥هـ، راجع العبر، جـ١، ص٧٢.

٢) والواضح أن الراوى الأعلى هو سيدنا : أبو حمزة أنس بن مالك بن النضر الأنصارى، قدم على النبى ﷺ وسنه عشر سنين، وخدم رسول الله ﷺ عشر سنين، ومات فى عام ٩٣هـ، وهو ممن دعا له رسول الله ﷺ بالبركة فى ماله وولده وعمره، راجع / المقدسى : البدو والتاريخ، جـ٥، ص١١٧.

٣) صحيح مسلم، جـ٢، ص٨٩٠.

وأود التنويه إلى الفرق بين العقيدة وعلم العقيدة :

فعلم العقيدة : علم نظرى يقوم على قواعد متى أتقنها إنسان ما تمكن منها، ومن ثم فعلم بجانب المؤلفين والشراح، ومن ثم يعرف علم العقيدة بتعريفات متغايرة منها :

أنه علم يقوم على تقرير العقيدة الإيمانية وعرضها، ودفع الشبه عنها مع بيان أن الله واحد فى ذاته وصفاته وأفعاله، وأنه أرسل رسلا، وأنزل كتبا، وسوف يحاسب الخلق على ما كلفهم به، فمن أوفى بما عاهد عليه الله فقد فاز، ومن نقض خسر وكان مآله الخسران[١].

كما أن موضوع علم العقيدة هو المعلومات الدينية المتعلقة بذات الله تعالى وملائكته وكتبه ورسله واليوم الآخر والقضاء والقدر، كل فيما يخصه، ويتعلق به، كما أن علم العقيدة له منهج وغايات وسمات، ومن ثم فليس هو العقيدة القلبية ولكنه علم العقيدة النظرى[٢].

والواضح أن العقيدة غير علم العقيدة، والنحو غير علم النحو، وكذلك الفقه وعلم الفقه، ومن هنا فإن الغيرية تكون أمراً مهماً وبحثها يبقى حقيقة واقعة، ولذلك كان العلماء يقومون على هذا الجانب شرحاً وتوضيحاً.

السمة الرابعة : القدم :

لما كانت العقيدة الدينية يتجه صاحبها إلى الله عز وجل، ومصدرها هو الله عز وجل، والله عز وجل قديم، وقد غرس هذه فى قلوب عباده منذ القدم، فإنها تكون عقيدة قديمة لقوله تعالى : ﴿وَإِذْ أَخَذَ رَبُّكَ مِن بَنِي آدَمَ مِن ظُهُورِهِمْ ذُرِّيَّتَهُمْ وَأَشْهَدَهُمْ عَلَى أَنفُسِهِمْ أَلَسْتُ بِرَبِّكُمْ قَالُوا بَلَى شَهِدْنَا أَن تَقُولُوا يَوْمَ الْقِيَامَةِ إِنَّا كُنَّا عَنْ هَذَا غَافِلِينَ﴾[٣].

---

١) راجع كتابنا : المدخل التام لعلم الكلام، ص٢١.

٢) راجع المؤلفات الكلامية فى هذا الشأن تراها كثيرة عند أهل السنة والجماعة، وغيرهم من أهل الفرق وكلها تجيء على هذا الجانب المعرفى، راجع كتابنا : المدخل التام، ص٢١-٢٦.

٣) سورة الأعراف، الآية ١٧٢.

كما أن هذه العقيدة قديمة فى نفس صاحبها أيضاً على أساس أنه يولد بها، ثم تستمر معه حتى وإن أنكرها لسانه، لأن ما يقع على سبيل الإنكار باللسان، ان لم يصاحبه اعتقاد لهذا الإنكار، فلا قيمة له، ولذا فقد ورد أن المرء عندما يأتيه ملك الموت ويدرك أنه لا محالة هالك، متى كان خروجه من الدنيا على الإلحاد صاح وقال : لم أضعت نفسى وجحدت فطرتى[1].

وفوق ذلك فإن آيات القرآن الكريم قد حدثت عن أولئك الذين يغالبون فطرهم ويلحدون فى آيات الله، وأنهم حين يأتيهم أمر الله ويقع عليهم العذاب يستصرخون ولا مجيب، قال تعالى : ﴿ أَن تَقُولَ نَفْسٌ يَا حَسْرَتَى عَلَى مَا فَرَّطتُ فِي جَنبِ اللَّهِ وَإِن كُنتُ لَمِنَ السَّاخِرِينَ ﴾[2].

وهذه العقيدة القديمة الفطرية يتبعها نداء علوى من الحق للخلق، إذ ما دام المرء عاقلاً سيظل يسمع نداء الإيمان فى قلبه، بل يقول أهل العرفان :

ان النداء الداخلى يطرق باب قلب العبد، ما دام حياً، قائلاً له : أننى أنا الله لا إله إلا أنا فاعبدنى وأقم الصلاة لذكرى، كأن الله عز وجل يقول لعبده : انى على صلة مستمرة بك أرزقك وأحييك وأجيب نداءك وأخفف عندك، فصلنى ببعض ما أنعمت عليك به، كما يصل العبد الكريم سيده الجليل[3].

الخامسة : الخصوصية الذاتية :

أجل : ان العقيدة الدينية تتجه إلى الله وحده، ومصدرها هو الله وحده، لكنها تخص كل فرد على حدة، ومن ثم فالعقيدة الدينية ذاتية فى كل فرد، بحيث تنمو لديه أو تخبو، فنماءها إنما يكون بالاستدلال المشروع عليها، وإقامة المزيد من الأدلة

---

١) الشيخ / محمود عبد العظيم الطنطاوى : العقيدة الإلهية والفطرة الإنسانية، ص٢٢، ط أولى، المطبعة الحسينية، ١٣٣١هـ.

٢) سورة الزمر، الآية ٥٦، وقوله أن تقول نفس يا حسرتي على ما فرطت في جنب الله وهذا أشد ما يكون من التحذير من التفريط البرهان فى علوم القرآن، جـ٣، ص٢٢٩.

٣) الشيخ / منصور محمود العريان : أهل الله فى الدنيا والآخرة، ص٤٣، ط أولى، ١٣١٤.

حولها، بجانب التزام الطاعة التى شرعها الله – عز وجل – من خلال الأعمال التى ترضيه، وحينئذ تكون تلك الخصوصية متنامية فى الأجر كما هى متنامية فى الاعتقاد.

يشهد لذلك قوله ﷺ : "والله لن تؤمنوا حتى تحابوا"[١]، وقوله ﷺ : "أفشوا السلام بينكم"[٢]، وقوله ﷺ : "والله لا يؤمن أحدكم حتى يحب لأخيه ما يحب لنفسه".

أما ما ينقص ثوابها، أو يضيع أجرها، فهو الخروج بها عن القواعد الشرعية بما يفضى إلى الإلحاد فى الله بآياته باسم العلم أو باسم الدين أو غير ذلك، فإن عقابهم النار، قال تعالى : ﴿إِنَّ الَّذِينَ يُلْحِدُونَ فِي آيَاتِنَا لا يَخْفَوْنَ عَلَيْنَا أَفَمَن يُلْقَى فِي النَّارِ خَيْرٌ أَم مَّن يَأْتِي آمِناً يَوْمَ الْقِيَامَةِ اعْمَلُوا مَا شِئْتُمْ إِنَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ بَصِيرٌ﴾[٣].

فى نفس الوقت فإن هذه العقيدة لما كانت ذاتية تخص كل فرد على حدة لم يجعل الله أى امرىء مسئولاً عن غيره، كما جعل المرء إذا نطق بما يخالف العقيدة من غير إكراه ملوماً واقعاً فى نطاق الكفر ان لم يكن قصد الخروج عن العقيدة، أما إذا كان قد قصد الخروج عنها فإنه يكون كافراً، وبذا تكون عقيدته فاسدة، وهو معنى ذاتية العقيدة ووقوعها فى دائرة الإختصاص الشخصى[٤].

---

١) صحيح مسلم، جـ١، ٧٤.

٢) شرح النووى على صحيح مسلم، جـ١٤، ص٣٢.

٣) سورة فصلت، الآية ٤٠، قال ابن عباس الإلحاد وضع الكلام على غير مواضعه وقال قتادة وغيره هو الكفر والعناد وقوله عز وجل لا يخفون علينا فيه تهديد شديد ووعيد أكيد أي أنه تعالى عالم بمن يلحد في آياته وأسمائه وصفاته وسيجزيه على ذلك بالعقوبة والنكال ولهذا قال تعالى أفمن يلقى في النار خير أم من يأتي آمنا يوم القيامة أي أيستوي هذا وهذا لا يستويان ثم قال عز وجل تهديدا للكفرة اعملوا ما شئتم، تفسير ابن كثير، جـ٤، ص١٠٣.

٤) راجع كتابنا : المدخل التام لعلم الكلام، ص١٧-٢١.

والذى أراه أن العقيدة الدينية تظهر آثارها فى سلوكيات أصحابها أو المعتقدين لها، وكلما كانت له سلوكيات سلبية كانت عقيدته نسبية، بدليل قوله ﷺ : "لا يزنى الزانى حين يزنى وهو مؤمن، ولا يسرق السارق حين يسرق وهو مؤمن"[(١)]، وهكذا، كما أنه ﷺ رأى رجلاً يتحرك فى صلاته من غير سكينة فلما خرج سئل رسول الله فيه فقال ﷺ : "لو سكن قلبه لسكنت جوارحه"، ومن هنا قال لعلماء : ا السلوكيات تكون دالة على صحة الاعتقادات.

ويقول ابن الجوزى : ان العقيدة الصحيحة تظهر على صاحبها فى عملياته، فمن أصلح سريرته فاح عبير فضيلته، وعبقت القلوب بنشر طيبه، فالله الله فى السرائر، فإنه ما ينفع مع فسادها صلاح الظاهر[(٢)]، وقديما قيل :

وكان البر فعلاً دون قول ... فصار البر نطقاً بالكلام

وساد بينهم عُرف التفاضح ... فاسترخت أياديهم عن التصافح[(٣)].

والذى أراه أن سمات العقيدة الإيمانية إنما هى منضبطة مع القواعد الشرعية، وتلتزم بما جاءت به النصوص الإلهية، وإلا ما كانت عقيدة إلهية، ومن هنا أيضاً يتبين وجود الكثيرين ممن يتحدثون عن عقائد يصوغون فى وصفها جملاً مدبجة يحاولون إحاطتها بهيئات مزخرفة، وصور مزركشة، لا يعنون إلا بالظاهر وهم يخربون كل باطن، فلا هم صحت لهم عقيدتهم ولا ابتعدوا عن تضليل الناس، وإنما وقعوا فى الأمرين واستحقوا الطرد من رحمة رب العالمين.

---

١) شرح النووى على صحيح مسلم، جـ١، ص١٤٦.

٢) الشيخ / عبد الرحمن بن الجوزى : صيد الخاطر، ص٢٦٧.

٣) الشيخ / عبد العزيز محمود الوكيل : بين الحقيقة والشريعة، ص٤٤٦.

ثانياً : سمات وخصائص فلسفة العلم :

سلف القول بأن فلسفة العلم إنما هى نوع من البحث العلمى التجريبى، وأنها التى تفلسف تلك المعارف وتسعى إلى استحداث مناهج جديدة، غير أن فلسفة العلم تحتاج إلى تناولها من جهات عديدة :

الأولى : الاتجاه المعرفى :

يمثل العلم أمراً يجعل له تمايزاً عن الجهل، بدليل : أن العلم يفيد شيئاً، بينما الجهل يبعد شيئاً، فأحدهما وهو العلم مفيد، وثانيهما وهو الجهل ضار، وقد عرف العلم بأنه : الاعتقاد الجازم المطابق للواقع[1]، وهذا العلم ينقسم إلى ثلاثة أقسام باعتباره علماً محدثاً :

القسم الأول : البديهى :

وهو ما لا يحتاج فى الوصول إليه إلى مقدمات، كما لا يحتاج إلى أسباب كالعلم بوجود الإنسان نفسه، وأن الكل أعظم من الجزء، وكذلك تقدم بدن الإنسان على نفسه وعقله ومعارفه واحساساته كلها، فهذا كله من متعلقات القسم الأول، وهو العلم البديهى[2]، وهذا القسم البديهى يختلف عن الضرورى من أوجه كثيرة أفاض العلماء فى بيانها والحديث عنها.

القسم الثانى : العلم الضرورى :

وهو ما لا يحتاج فيه إلى تقديم مقدمة، كالعلم الحاصل بالسمع مثلاً، أو الشم أو الذوق، فضلاً عن السمع والبصر، فإنها جميعاً علوم ضرورية حتى وان جاءت عن طريق حواس ظاهرة، كما أن العلم الضرورى يعرف بما لا يقع الإنكار

---

١) السيد الشريف الجرجانى : التعريفات، باب العين.

٢) الشيخ / منصور خطاب : العلم والفلسفة، ص١٢٦، ط أولى، ١٩٤١م.

فيه، إلا من فاقد القدرة على تصوره[1]، وعلى هذا فكل علم ضرورى يحتاج فيه إلى عقل يستطيع التقاط ما ترد مظاهره على الحواس الخمس، ثم تقوم بترجمته إلى وقائع عملية أو صور نظرية.

القسم الثالث : العلم الاستدلالى :

وهو الذى يحتاج إلى تقديم مقدمات يتم اكتسابها عن طرائق مختلفة، كالعلم بثبوت الصانع وحدوث الأعراض، وغيرها، فإنها جميعاً تدخل فى نطاق العلم الاستدلالى، كما يسمى العلم الكسبى بناء عليه فإن كل معرفة تتعلق بالإستدلال كالعلم بثبوت الصانع، وحدوث الأعراض، واحتياجها للجواهر وأن الجواهر تتنوع إلى غير ذلك، فإنما يسمى بالعلم الإستدلالى.

وقد ذكر الشريف الجرجانى تقسيمات للعلم وتنوعات كثيرة عن العلم الفعلى، والعلم الإنفعالى، وكذلك العلم الإلهى، والعلم الإنطباعى والحضورى، بجانب العلم الطبيعى، والإكتسابى وهى كل تدل على اتساع نطاق الاستعمال، وكثرته[2].

والعلم بهذا المعنى يقدم معرفة بلا شك، وإلا كان جهلاً، وأى نوع من أنواع المعرفة فإنما يمثل صورة للعلم نفسه، وتاريخ العلم قديم منذ قدم الإنسانية، يستوى فى ذلك العلم المتعلق بالقضايا العقدية، والآخر المتعلق بالمسائل الدنيوية، وحيث ان العلم الدنيوى قد جاء فى صور متعددة، مع الأنبياء والمرسلين، مما يتعلق بمنافع الناس، ومخاوفهم، فقد الأمر على قدم العلم واتجاهه ناحية المعرفة حتى اعتبر البعض العلم والمعرفة من الألفاظ المترادفة التى تأتى على معنى احد.

ومتى لوحظ تاريخ العلم منذ بدء الخليقة أدركنا ذلك التوجيه القرآنى فى قوله تعالى : ﴿ وَعَلَّمَ آدَمَ الأَسْمَاءَ كُلَّهَا ثُمَّ عَرَضَهُمْ عَلَى الْمَلائِكَةِ فَقَالَ أَنبِئُونِي

---

١) الشيخ / زكى عبد العظيم : النجدى : قوانين الفكر، ص٢٣، ط أولى، ١٣٥١هـ.

٢) السيد الشريف الجرجانى : التعريفات، ص١٣٦-١٣٧.

بأسماء هؤلاء إن كنتم صادقين﴾[١]، حيث كان آدم عليه السلام قد تعلم الأسماء التى يستطيع أن يستفيد بها فى حيات العملية، كما يستفيد بها فى حياته الدينية، يقول الشيخ السعدى : علم الله آدم أسماء الأشياء، وما هو مسمى لها، ومعناه : أن الله تعالى علمه الاسم والمسمى، الألفاظ والمعانى، حتى المصغر منها والمكبر، وأن ذلك قد تعلق بما ينفعه[٢].

وآدم عليه السلام قد علم أبناؤه ما تعلمه هو، ثم أضافوا إليه مكتسباتهم، وما جاء فى تراكماتهم الذهنية، وتتحقق به المنافع المختلفة لهم، فى دينهم ودنياهم، حتى إذا كان الموقف مع نبى الله نوح عليه السلام علمه الله صناعة السفينة، ففتح بذلك باباً جديداً للعلم المعملى المهنى على أساس أن بناء السفن أكسب الإنسان معرفة علمية تحولت إلى جوانب تجريبية حدثت عليها التطورات المختلفة[٣].

وقد كان ذلك بتوجيه إلهى جاء ذكره فى آيات كثيرة من القرآن الكريم، ويتعلق بأمر الله لسيدنا نوح حتى يصنع سفينته التى أنجاه الله من الغرق بها، ومن آمن بالله معه، قال تعالى : ﴿ وَاصْنَعِ الْفُلْكَ بِأَعْيُنِنَا وَوَحْيِنَا وَلاَ تُخَاطِبْنِي فِي الَّذِينَ ظَلَمُوا إِنَّهُم مُّغْرَقُونَ وَيَصْنَعُ الْفُلْكَ وَكُلَّمَا مَرَّ عَلَيْهِ مَلأٌ مِّن قَوْمِهِ سَخِرُوا مِنْهُ قَالَ إِن تَسْخَرُوا مِنَّا فَإِنَّا نَسْخَرُ مِنكُمْ كَمَا تَسْخَرُونَ فَسَوْفَ تَعْلَمُونَ مَن يَأْتِيهِ عَذَابٌ يُخْزِيهِ وَيَحِلُّ عَلَيْهِ عَذَابٌ مُّقِيمٌ حَتَّى إِذَا جَاءَ أَمْرُنَا وَفَارَ التَّنُّورُ قُلْنَا احْمِلْ فِيهَا مِن كُلٍّ زَوْجَيْنِ اثْنَيْنِ وَأَهْلَكَ إِلاَّ مَن سَبَقَ عَلَيْهِ الْقَوْلُ وَمَنْ آمَنَ وَمَا آمَنَ مَعَهُ إِلاَّ قَلِيلٌ﴾[٤].

---

١) سورة البقرة، الآية ٣١.

٢) الشيخ / عبد الرحمن بن ناصر السعدى : تيسير الكريم الرحمن فى تفسير كلام المنان، ص٣١.

٣) فظهرت السفن عابرة القارات، ذات الأحمال المختلفة، التى يمكنها أن تقطع مسافات طويلة فى أوقات قصيرة، وكذلك أنواعها المختلفة من السفن الناقلة إلى المقاتلة، ومن التى تسبح فوق المياه إلى الغواصات، وغيرها مما هو ناتج العلم والمعرفة.

٤) سورة هود، الآيات من ٣٧-٤٠.

وسيدنا داوود عليه السلام، علمه الله صناعة الحديد، فكان يطوعها للأغراض المدنية، التى يتحقق له بها الدفاع عن القضايا العقدية، وقد حكى القرآن الكريم ذلك فى آيات كثيرة : منها قوله تعالى : ﴿وَلَقَدْ آتَيْنَا دَاوُودَ مِنَّا فَضْلاً يَا جِبَالُ أَوِّبِي مَعَهُ وَالطَّيْرَ وَأَلَنَّا لَهُ الْحَدِيدَ أَنِ اعْمَلْ سَابِغَاتٍ وَقَدِّرْ فِي السَّرْدِ وَاعْمَلُوا صَالِحاً إِنِّي بِمَا تَعْمَلُونَ بَصِيرٌ﴾[1].

ومن الملاحظ أن تاريخ العلم بناء على ذلك قديم، واستعمال المادة الخام وبخاصة الحديد قديم أيضا، صاحب وجود الإنسان وتوجيه هداية الرحمن إليه، دليل ذلك قوله تعالى : ﴿لَقَدْ أَرْسَلْنَا رُسُلَنَا بِالْبَيِّنَاتِ وَأَنْزَلْنَا مَعَهُمُ الْكِتَابَ وَالْمِيزَانَ لِيَقُومَ النَّاسُ بِالْقِسْطِ وَأَنْزَلْنَا الْحَدِيدَ فِيهِ بَأْسٌ شَدِيدٌ وَمَنَافِعُ لِلنَّاسِ وَلِيَعْلَمَ اللَّهُ مَنْ يَنْصُرُهُ وَرُسُلَهُ بِالْغَيْبِ إِنَّ اللَّهَ قَوِيٌّ عَزِيزٌ﴾[2].

فالمادة الخام لا يستطيع الباحثون فى العلم تقديم تاريخ محدد لاستعمالها من ناحية علمية، كل ما يقومون به إنما هو محاولة منهم للبحث فى أمر مضى وتاريخ لم يكن لهم به علم، وإنما يعتمدون على بعض التقديرات التى تجيء فى أغلبها تخمينات، يقول كلوثر : ان هناك دائما سؤالا يطرح نفسه على عقل الإنسان هو : كيف انبثق العلم؟

والإجابة على هذا السؤال تأتى كثيرا مضطربة ومتناقضة إذ تعتمد كلها على تقديرات ظهور حفريات تشير إلى كائنات عاشت قبلنا بمليون سنة على الأقل، اتخذت من الحجارة مادة تصنع منها أدواتها[3]، ومنذ حوالى نصف مليون سنة عاد أحفاد هؤلاء فاستخدموا حجر الصوان لقدح الشرر وتوليد النار[4].

---

١) سورة سبأ، الآيتان ١٠، ١١.

٢) سورة الحديد، الآية ٢٥.

٣) ألا ترى معى أن الكاتب استخدم كلمة تضع الدالة على العلم والمعرفة مع أنه يعترف بأن المنطقة السابقة فى عقل الإنسان لم تكن قائمة على العلم أو توجد فيها منطقة له.

٤) ج. ج. / كراوثر : قصة العلم، ص١٥، ترجمة د / يمنى طريف الخولى، ودكتور / بدوى عبد الفتاح، ١٩٩١م.

فتاريخ العلم بناءً على ذلك ليس محدداً، كما أن معرفته ليست أكيدة، وكلما حاول الإنسان الوقوف على تاريخ العلم من غير الاستناد إلى النصوص الشرعية ضل وغوى، أما إذا حاول الوقوف على تاريخ العلم من خلال ما تدع به القواعد الشرعية أمكنه القول فى المسألة على وجه الصواب، وهنا نقول :

ان من خصائص فلسفة العلم الاتجاه إلى المعرفة التجريبية أو الاتجاه إلى الجوانب التطبيقية، ومن ثم تكون فلسفة العلم صورة يتم من خلالها تحويل القضايا النظرية إلى تطبيقات عملية بحيث يمكّن إدراك المعرفة اليقينية. يقول ارايشباخ : ان البحث الفلسفى المعرفى يمكن اقتصاره على التحليل المنطقى لجميع أشكال الفكر الإنسانى من خلال الوضعية المنطقية تاركة للعلم مهمة تفسير الكون على أن تؤسس نظرية المعرفة فيما بعد حيث تقوم على نتائجه[١].

ففلسفة العلم تسعى دائماً للمعرفة سعياً دؤوباً وليس لديها رغبة فى الانفصال عن تلك المعرفة سواء أوصلت فى خطواتها إلى المعرفة اليقينية التى تدعيها أم لم تصل.

وفى تقديرى أن فلسفة العلم حينما تتجه إلى المعرفة فليس ذلك بدعاء أو أمراً غريباً، وإنما اتجهت إلى المعرفة التجريبية وزعم أصحابها أن نتائجها يقينية، فقد خانهم التوفيق، لأن المباحث التجريبية نتائجها احتمالية عكس القضايا الرياضية.

يقول برونفسكى : ان قضايا العلم احتمالية، ولذا فهى لا تعرف الكلمة الأخيرة، وفلسفة العلم إنما هى نوع من تنظيم معرفتنا بالطريقة التى من شأنها أن تتسلط على أكثر مما هو قائم فى الطبيعة، فالعلم والمعرفة يسيران فى اتجاه واحد[٢].

---

١) هانز رايشباخ : نشأة الفلسفة العلمية، ص٢٦٨، ترجمة : د. فؤاد زكريا، دار الكتاب العربى.

٢) برونفسكى : العلم والإنسان، ص١٣، ترجمة : راشد زهنى، ١٩٩١م.

كما أن برنال هو الأخر أكد على أن فلسفة العلم إنما تتجه للمعرفة الواقعية وتخوض غمارها من خلال استخدام الوقائع الموجودة فى الكون المادى، ثم تحكم على هذه الوقائع بالصحة أو الفساد[١].

والذى أميل إليه أن فلسفة العلم حينما تتجه ناحية المعرفة يجب أن تخطو إليها فى خطوات منتظمة وتتخذ الوسائل الكفيلة التى تعين على بلوغ تلك الغاية، لا أن تصرف نفسها إلى جانب بعيد عن المعرفة أو أن تحبس نفسها فى إطار محدد لا يلتمس طريقاً آخر سوى الوجود المادى.

يقول البير بابيه : ان فلسفة العلم يجب أن تكون متجهة إلى المعرفة اتجاهاً كلياً، وكذا فيلسوف المعرفة، لأن الرجل الذى يعرف نفسه وأنه يعمل ثم يكتشف أنه الذى ينتفع بما اخترع يقع له قبول نفسى، كما يقع له التنامى المعرفى[٢].

ومعنى هذا أن يخرج فيلسوف المعرفة من رحلته بنتائج إيجابية تكون فلسفة العلم قائمة فى نطاق استخدام المعرفة أو على الأقل تخطوا ناحية البواعث التى تنفع فى التطبيق العملى.

ومن ثم كان توجه فلسفة العلم إلى نوع من المعرفة هى المعرفة التجريبية، وعندما يقارن المرء بين العقيدة الدينية حيث يراها متجهة إلى الله تعالى فإنها تقدم تطمينات قلبية، ومعارف عقلية شاملة تحقق المصالح للمستفيدين منها فى الدنيا والآخرة.

أما فلسفة العلم، فإنها تتجه إلى نوع واحد من المعرفة وهو المعرفة الحسية، فتكون النتائج المترتبة عليها منحصرة فى جملة من التجارب القليلة الاحتمالية، ومن ثم فيجب أن تكون فلسفة العلم خاضعة فى اتجاهها إلى نفس الاتجاه الذى تجيء عليه العقيدة الدينية، وإلا ضلت فلسفة العلم الطريق، وخاب مسعى القائمين عليها، وفى نفس الوقت أعقبتها النتائج السلبية.

---

١) د. برنال : تاريخ الفلسفة والعلم، ص٤، ترجمة : السيدة عبد المقصود، ط أولى، ١٩٩٣م.

٢) البير بابيه : دفاع عن العلم – أخلاق العلم – ص٤٠، ترجمة : د. عثمان أمين.

السمة الثانية : تجريبية العلم :

من المعروف أن العلم الحادث الذى يقع بطريق الاكتساب تتم فيه عمليات مختلفة، لكنها تجيء من بدايتها داخل نطاق حسى خالص، على أساس أن المعارف التى يكتسبها الإنسان تكون مصادرها فى المحسوسات الحس، وفى المعقولات العقل، كما أن الحس يسبق العقل فى التعرف على الأشياء الموضوعة تحته أو التى تكون خاضعة له، حتى اعتبرت هذه الموضوعات حسيات وحقائق حسية أيضا[١].

فى نفس الوقت صارت المعلومات التى يكون مصدرها الحس متميزة بمنهج بحثى خالص هو المنهج الحسى التجريبى فى صورة من صوره إذا ما أمكن استخلاص قواعد عامة منها صارت تلك القواعد المستخلصة بمثابة المنهج العلمى، يقول أنتونى باير : ان أكثر الخصائص تميزاً للمنهج العلمى هى طبيعته الدورية، فهو يبدأ بالحقائق وينتهى بها، والحقائق التى تنتهى بها دورة ما تشكل نقطة البداية، ولذا فإن العالم يحمل نظرياته على محمل تجريبى مؤقت، وهو دائم الاستعداد للتخلى عنها إذا جاءت الوقائع على غير ما جرت به التكهنات[٢].

ونظراً لكون فلسفة العلم تقوم على الجانب التجريبى عند المحدثين، والتحليل المنطقى للأشياء عند الوضعيين فإنها تكون فلسفة تجريبية تنزع هذا المنزع دون أن تقيم لأية فرضية أخرى مكاناً، انها تعنى بالاستقراء وهو يشكل نظرية تقوم على تقليل الحقائق القائمة على المشاهدة، ومن ثم عرف الاستقراء[٣]. بأنه : العملية التى يشكل العالم بواسطتها نظرية تعلل الحقائق المشاهدة، ومن ثم فإن فلسفة العلم تتم فيها خطوتان، أو اتخاذ خطوتين هما :

---

١) جورج فودس : نظرية الأخطاء، ص١٢٢، ط أولى، ترجمة : رشدى خيرى.

٢) انتونى باير : تاريخ العلم، ص١٣٤، ترجمة : زهدى خير الله، ط أولى، ١٩٩١م.

٣) جون كيمنى : الفيلسوف والعلم، ص١٤٤، ترجمة : الدكتور / أمين الشريف، بيروت، ١٩٦٥م.

١- تشكيل النظريات الممكنة تشكيلاً علميا تجريبيا.

٢- اختيار واحدة من بين تلك النظريات الممكنة ليقع التفاعل بينها مباشرة.

ومت صح افتراض كون فلسفة العلم من التجريبيات فلا شك أن دراستها تتجه إلى التعليلات

ودراسة العلاقات الكائنة بين الأشياء الموجودة طبقًا للهدف الأساسى من فلسفة العلم، يقول الدكتور / السيد طه رزق : ان الهدف الأساسى من فلسفة العلم هو تشكيل النظريات العلمية التى تعلل حوادث هذا الكون، وتفحص طبيعة هذه التعليلات، وما إذا كانت وقتية منقطعة أم أبدية مستمرة[١].

ربما نتسائل : ما معنى تجريبية فلسفة العلوم، وكونها تبحث عن التعليلات القويمة؟

والجواب : أنه ما دامت فلسفة العلم هى التى تقوم على منهج تجريبى خالص غايته تنحية الفروض الكاذبة، والعبارات الخاوية عن المعنى فإن المسألة تكون قد احتكمت إلى القوانين الطبيعية والأحكام الاستقرائية من جهة، ثم ناتج العمليات العقلية التى تمت البرهنة على صحتها من جهى ثانية، وهذا يستلزم الوقوف مليا أمام التعليلات العلمية لمعرفة أسرارها وسبر أغوارها وكيفية الحكم على كون فلسفة العلم تجريبية، وذلك لا يتضح إلا بمثال :

فمثلاً : إذا أرونا أن نبحث تعليلاً قويماً، سنفترض قيامنا بسؤال احد العلماء عن السبب فى وقوع قلم ما على الأرض إذا كان بأيدينا، ثم أفلتناه، لماذا لم يرتفع إلى أعلى؟ وإنما سقط إلى الأرض؟

هنا يأتى جواب العالم فى الفيزياء : بأن القلم أثقل من الهواء، وان كل ما كان أثقل من الهواء فإنه يقع على الأرض إذا لم يجد ما يحمله.

---

١) الدكتور / السيد طه رزق : المنهج التجريبى فى الوقت المعاصر، ص٤٤، ط أولى، ١٩٨٢م.

ولا شك أن هذه الإجابة قد تقنعنا، لكن بالنسبة للعالم الفيزيائى فإنه لا يقنع بتلك الإجابة النظرية إلا إذا قام فعلاً بإحداث تلك التجربة بحيث يتسنى له تعليل الحادث تعليلاً علمياً، ومن هنا كانت فلسفة العلم تتجه نحو التجربة، فى الوقت الذى تتجه العقيدة الإلهية نحو الفطرة، والفرق بينهما كبير جداً.

كما أن فلسفة العلم إنما تبحث النظريات التى تم الوقوف عليها، ثم تعمل جاهدة للاستفادة منها، بحيث تكون تلك النظريات التى تم التجريب عليها هى ذاتها المبادىء العامة أو النظريات العامة المقبولة، يقول كيمنى : أن فلسفة العلم تعتمد على التعليلات العلمية والتعليلات العلمية فى كل نظرية أنها مفتاح يسمى بمفتاح التعليل.

مثال ذلك : القول بأن كل ما كان أثقل من الهواء يقع على الأرض إذا لم يجد ما يحمله، وهذا القول نظرية عامة برهنت على صحتها الخبرة الطويلة، لذلك فهى نظرية مقبولة، لكن يبقى التدليل عليها بصفة دائمة من خلال التجربة المتكررة بل والمتواصلة أيضاً[1].

ويقرر روبرت تسيون أن فلسفة العلم فلسفة تعليلية تحاول معرفة الوقائع ثم تعلل هذه الوقائع من خلال التجربة الطويلة، والممارسة المستمرة[2].

والمثال على ذلك مما يقع فى الاستقراء هو : قولنا بأن هند مثلاً فتاة شقراء جميلة طويلة القامة وجميع الشقراوات من هذا النوع يجذبن الرجال، فلا شك أن هذا المثال قد لوحظ فى الشكل المنطقى لكنه لم يتخذ الجانب العملى، فإذا وضع هذا المثال على موضع يقع فيه التقسيم العلمى وأمكن فعلاً فحص عدد من الرجال وتبين أنهم ينجذبون إلى هذا النوع من الفتيات تبين أن المثال صحيح، وإلا كان جملة خالية المعنى، ويقرر أيضاً العالم الاحيائى أندرسون : أن فلسفة العلم تعتمد

---

١) جون كيمنى : الفيلسوف والعلم، ص٢٣٢.

٢) روبرت تسيون : الفلسفة والتجربة أو الفيزيقا والميتافيزيقا، ص٨١، ترجمة الدكتور / سعد صبرى، ط أولى، ١٩٨١م.

على فحص التعليلات القائمة بين الأشياء الموجودة تعليلاً علمياً يعتمد على التجربة.

مثال ذلك : مادة المورفين، فالطبيب يربح جائزة عالية إذا استطاع أن يقدم تفسيراً لآثار مادة المورفين التى تجعل المرء فى سبات عميق[١].

لا شك أنه سيقول : ان جميع المخدرات تسبب السبات العميق، وان المورفين من المخدرات، إذن فهو يسبب السبات شأنه شأن باقى المخدرات، والملاحظ أن الجملة الأولى فى هذا التعليل – جميع المخدرات تسبب السبات – تمثل النظرية العامة بينما تمثل الجملة الثانية حقيقة معروفة أمكن التأكد منها عن طريق التعليل العلمى التجريبى.

ويذهب أنتونى هارفى : إلى أن فلسفة العلم ليست فطرية، بمعنى أن يولد المرء وهو عالم بها، وإنما هى تحصيلية تقع للمرء من خلال التجربة العلمية التى تقوم على عوامل أربعة تؤثر تأثيراً كلياً فى الاتجاه العام لهذه النظرية، ويمكننا أن ننظر فى هذا الجانب التجريبى بالنسبة لفلسفة العلم من خلال عوامل أربعة تؤثر تأثيراً كلياً فى هذا الجانب وهذه العوامل هى :

١- القوانين المتوافرة : إذ يجب أن يكون لهذه القوانين ما هو قائم فى الطبيعة نفسها لأن هذا جزء من تاريخ الكون وبالتالى لابد من الإمساك به.

٢- الحقائق المتوافرة : لأن الآراء متباينة والحقائق المتوافرة هى القاعدة التى يحتكم إليها جميع هذه الحقائق[٢].

٣- القوى العاقلة المتوافرة، لأنها تمثل قدرتنا على التحليل واستخلاص النتائج من الوقائع القائمة فى نطاق الطبيعة.

---

١) مادة المورفين : إحدى المواد المصنفة من جملة المخدرات المختلفة، وهى تعطى لتقوم بدور فعّال بالنسبة للجهاز العصبى الإرادى بحيث تعطل عمله من خلال الضغط على مراكز الإحساس فى المخ، وهى تعمل عكس مادة الأندروفين، راجع للدكتور جمال عز الدين : المواد المخدرة وأثرها على الجهاز العصبى، ص١٥١-١٥٢، ط أولى، دار العلم.

٢) كالحال مع مبدأ التباس اليقين فى الظواهر الذرية وما دون الذرية.

٤- الوقت المتوافر : ونعنى به عامل الزمن، فإنه يؤثر فى الناحية العملية تأثيرا كليا(١).

ويلاحظ أن فلسفة العلم قد وقفت لدى الجوانب الطبيعية لا تبرحها، لأن الفيلسوف حين يقوم بهذا النوع من التفكير فإنه لا يتجاوز الحدود المرسومة بمعنى أنه لا يستطيع القول بأيها الذى يقع له التمسك، وأيها الذى يقع له التخلى والانعدام.

ومن البين أن فلسفة العلم فى كل ما مضى إنما تنزع إلى ما يقع عليه الاكتساب، وتتم فيه المبادلات التى تخضع للعوامل الطبيعية، وحينئذ يمكن استعمال صيغ وألفاظ لتدخل بها إلى فلسفة العلم، ومن السهل أيضا اختزال تلك الفلسفة فى مجموعة من النظريات أو التعليلات التى تجيء فى النهاية معبرة عن فلسفة العلم لا عن علم الفلسفة.

السمة الثالثة : المصدر :

عرفنا فيما مضى أن العقيدة مصدرها الله - عز وجل - وأن مسائل العقيدة توقيفية، لأنها تتعلق بالله وملائكته وكتبه ورسله، كما تتعلق باليوم الآخر والقضاء والقدر، وبالتالى أمكن القول بأن العقيدة الإلهية ذات مصدر محدد وهو النقل المنزل، وأن الفطرة تنبيء عن هذه العقيدة، كما ان العقل والإلهام يستطيعان الوقوف على بعض أسرار تلك العقيدة.

أما فلسفة العلم فإن مصادرها تتركز فى :

أ - القوانين العلمية القائمة.

ب- التجارب التى أمكن التطبيق عليها.

جـ- التكهنات التى ينتج عنها تفكير جديد.

د - العقل ومهام الخبرات السابقة.

---

١) الدكتور / جورج تاون : الحقيقة والمشكلة، جـ٢، ص٤٣، ترجمة : عبد الصبور صالح، ط أولى، ١٩٨٢م.

فإذا نظرنا إلى الجانب الأول من هذه الأربعة، وجدنا أن التجارب السابقة تمثل رصيداً لا يمكن لفلسفة العلم أن تتجاوزه أو تهمل الأخذ به، لأن هذه القواعد أو القوانين العلمية صارت تشيء العالم بما سبق تقريره فى وقائع بعينها، كالحال مع الكتلة العطالية، وأعنى به التصور الذاتى، وهى تلك الخاصية من خصائص الأجسام التى تجعلها تستمر على حالتها من السكون أو السير فى خط مستقيم، إلا إذا وقعت تحت تأثير قوة خارجية تجعلها تتحرك من سكونها أو تغير من اتجاه سيرها[١].

كما أن الكتلة الإنجذابية هى الأخرى يقع بينها وبين العطالية تشابه كبير، ثم تلاشى هذا التشابه وصار الفرق واضحاً، يقول كيمنى: ان التميز بين الكتلة العطالية والكتلة الإنجذابية دقيق لدرجة لم يمكن معها إدراكه إلا لعبقرية القرن العشرين[٢].

والظواهر الفيزيائية تقدم معطيات على قدر عالٍ من القبول مما يجعل فلسفة العلم تقف عندها فى كثير من الاهتمام، وتعول تعويلاً كبيراً عليها حين تنزع إلى الانفصال عن النتائج والقضايا أو المصطلحات والألفاظ الجدلية.

وفى تقديرى: ان فلسفة العلم فى اعتمادها على القوانين العلمية لا تمثل مخالفة وإنما تمثل نوعاً من التجاوب بين القاعدة والقمة، غير أن مشكلة فلسفة العلم تكمن حينما يظن العلميون أن الكون صار بأيديهم، وأنهم قادرون على إحداث كافة التغيرات فيه بأنفسهم دون الرجوع إلى قوة عليا هى قوة القادر جل علاه.

وقد أعلن كبلر شيئاً من ذلك حين قال: ان الهندسة والناتج عنها انعكاس لعقل الرب، ثم اعتقد أنه باكتشافاته للعلاقات العددية بين نسب النظام الشمسى إنما يكتشف المخطط، كما أن فلسفة العلم تقف بمصدرها عند حافة الحواس لا تبرحها، وأعنى بها: الحواس الخمس التى يحتكم إليها وهى:

---

١) جورج جرفن: القوانين العلمية وعلاقتها بالميتافيزيقا، ص٧١، ط أولى، ترجمة الدكتور / فوزى محمد رزق، ١٩٧٢م.

٢) جون كيمنى: الفيلسوف والعلم، ص٣٦٣.

١- السمع :

وهو قوة مودعة فى العصب المفروش فى مقعر الصماخ يدرك بها الأصوات بطريق وصول الهواء المتكيف بكيفية الصوت إلى الصماخ، بمعنى أن الله تعالى يخلق الإدراك فى النفس عند ذلك[١].

ومن ثم فالأذن ليست هى التى يتم بها سماع المسموعات وإنما يتم ذلك عند المحققين بقوة مودعة على ما هو قائم فى أن كل حاسة من الحواس الظاهرة إنما تقوم على ملكة يعبر عنها بالقوة أو بالملكة على حد سواء، ودليل ذلك : ما ذهب إليه الشيخ ياسين من أن وصول الهواء المتكيف بكيفية الصوت الحاصل بالقرع وهو الحاسة الشديدة أو التقريع بكيفية ذلك الصوت من شدة وضعف وغيرها، ثم يذهب هذا الصوت بخرق الأغشية حتى يصل إلى ذلك العصب فيقرعه فتدركه تلك القوة، وحينئذ يقع للمرء السمع[٢].

ويذهب العلماء المحققون أيضاً فى قول يعتبرونه المختار : إلى أن عملية السمع إنما تتم من خلال القوة المودعة فى العصب المفروس بطريق وصول الهواء الذى يلى الصوت حيث يتكيف بكيفيته، فالواصل إلى الصماخ الهواء الذى يلى الصماخ لا الذى يلى الصوت، لأنه مندفع بما وراءه، فلا يصل إلى الصماخ وتكيفه لا ينتقل إلى ما يليه حتى ينتقل إلى الصماخ ذاته، لأن العرض لا ينتقل عن محل إلى آخر[٣].

والواضح أن هؤلاء قد نظروا إلى السمع فأكدوا أنه حاسة وملكة، وأن الحاسة يمكن الوقوف عليها أما الملكة فلا يمكن ذلك وهو الفارق الكبير بين فكر الماديين وفكر غيرهم.

---

١) شيخ الإسلام : زكريا الأنصارى : فتح الرحمن شرح متن لقطة العجلان وبلة الظمان، ص١١-١٢، المطبعة الأزهرية، وبهامشه حاشية الشيخ ياسين.

٢) الشيخ ياسين بن زيد الدين العليمى الحمصى : حواشى على كتاب فتح الرحمن للشيخ : زكريا الأنصارى، ص١١.

٣) الشيخ / محمود العتر : قراءات على بلة الظمان، ص٣.

٢- البصر :

وهو قوة مودعة فى العصبتين اللتين تتلاقيان ثم يفترقان فيتأديان إلى العينين يدرك بها الأضواء والألوان والأشكال، والمقادير والحركات والحسن والقبيح، وغير ذلك مما يخلق الله تعالى إدراكها فى النفس عند استعمال العبد تلك القوة[١].

ومعنى هذا أن البصر كحاسة يتعلق به قوة وراء تلك الحاسة، وهذه القوة غير محسوسة، ومع هذا آثارها قائمة فى إدراك الأشكال والأضواء والألوان بجانب المقادير والحسن والقبيح، وليس هذا وحده متعلق بالبصر، بدليل أن فلاسفة العلم متى نظروا إلى البصر فإنما يركزون على الحاسة بينما أهل الإسلام يركزون على الحاسة والقوة معاً، بدليل أنهم أثناء بحثهم للرؤيا يقررون القطع بها لا على أساس الحاسة، وإنما على أساس القوة المدركة.

ويذهب فريق إلى أن طريق الإبصار هو خروج شعاع من حدقة العين يمتد إلى البصر وطلاقته ويصير ذلك الخارج من الرائى كيد اللامس يدرك ما أصابه[٢].

وهنا يقع التساؤل : إلى أى ناحية تنحاز فلسفة العلم؟

ألِلحاسة؟ أم للقوة والحاسة مدركة بذاتها، والقوة إنما تدرك بآثارها، فهل تقف فلسفة العلم عند المظهر الخارجى وتترك الحقائق الأولية؟

والجواب : أن فلسفة العلم يختلف أصحابها فى الإجابة على هذا التساؤل : بين أصحاب الاتجاه الحتمى والاتجاه العلمى بجانب أصحاب النظريات المتعلقة بالسببية أو القائمة على فكرة الضرورة بينما يقف لها على سبيل الرفض أصحاب فكرة سريان العادة وإمكان تخلفها.

---

١) الشيخ / زكريا الأنصارى، فتح الرحمن، ص١٢.

٢) الشيخ / ياسين الحمصى : حاشية على فتح الرحمن، ص١٢.

٣- الذوق.

وهو قوة منبثة فى العصب المفروش على جرم اللسان يدرك لها المطعوم بمخالطة الرطوبة اللعابية التى فى الفم، ووصولها إلى العصب[١].

ومعنى هذا أن ما يقع داخل هذه الملكة يكون من قبيل القوى الداخلية التي تجرى فيها فكرة العرضية والجوهرية، وبناءً عليه يكون مفكروا الإسلام قد نبهوا إلى ضرورة استعمال الحواس الظاهرة على ناحيتين :

- إحداهما : ناحية الملكة.
- الثانية : ناحية الآلة.

بينما فلسفة العلم تسعى نحو الآلة ولا تعير الأذن الصاغية إلى ما يتعلق بالملكة، يقول الشيخ عبد الوهاب سعيد : ان الذوق قوة لها تأثير خارج نطاق العقل من حيث الحكم عليها، وإنما تحكم عليها ذاتها واعنى بها ما هو مرتبط بالجملة العصبية ذات التأثير المنعكس والمطرد[٢].

ومعنى هذا أن الذوق كقوة عصبية يمثل حالة لصاحبها لها تعلق بالملكة والآلة، فكأن الذوق كحالة أو كحاسة له ثلاثة ارتباطات :

- أحدهما : متعلق بالآلة من حيث هى آلة اللسان.
- ثانيها : ما يتعلق بالملكة وهى القوة المودعة فى العصب على سبيل الانبثاث المفروش على جرم اللسان.
- ثالثهما : ما يتعلق بأثر تلك القوة.

---

١) الشيخ / زكريا الأنصارى : فتح الرحمن، ص١٢.

٢) الشيخ / عبد الوهاب سعيد : وسائل الحس فى العقل والقرآن أو النقل والعقل، ص٢٣، ط اولى، الدار الميمنية، ١٣١١هـ.

- ولا شك أن أصحاب فلسفة العلم حين يتجهون إلى المصدر تقع لهم اضطرابات عديدة من أبسطها : عدم القدرة على تقييم ما يترتب على أثر تلك الملكة، وحينئذ تفقد فلسفة العلم مساحة كبيرة من أرضية الأفكار التى تدعى وقوفها عليها وتملكها لها، يقول هاينزبرج : ان فلسفة العلم تسعى دائماً إلى الوقوف على النضج المتقدم فى العلم الإنسانى، لكنها فى ذات الوقت تقف عاجزة أمام المبادىء الثابتة وهى تنهار على أصلها بانهيار العلية والحتمية فى نظرهم[1].

فإذا عدنا إلى العقيدة الدينية وجدناها تعتبر الذوق حاسة مسئولة عن تقييم ما يرد عليها كآلة وقوة وأثر، وهو ما يميز كل الذى يتعلق بالعقيدة الإسلامية على سبيل هذا المصدر.

٤- الشم :

وهو قوة مودعة فى الزائدتين الثابتتين من مقدم الدماغ المشبهتين بحلمتى الثدى، يدرك بها الروائح عن طريق وصول الهواء المتكيف بكيفية فى الرائحة إلى الخيشوم[2].

ويعلق الشيخ ياسين على حاسة الشم هذه قائلاً، وفى الهواء الواصل فى الشم يتحلل من ذى الرائحة جزء لطيف يختلط بالهواء فيصل إلى الخيشوم فيدرك رائحته[3].

من المؤكد أن الشم يستخدم الأنف كآلة، لكن لا تغنى عن القراءة المودعة فى داخل الزائدتين وهذه القوة رغم أنها تتعامل مع محسوسات إلا أنها غير محسوسة، ومع ذلك فهى تدرك من بعيد وتتعلق بأشياء عديدة، ولا يمكن أن تتقدم

---

١) هاينزبرج : فكرة العاجز الأقصى، ص٧١-٧٢، ترجمة : وفاء رضا، ط دار الجيل، ١٩٩٢م.

٢) الشيخ / زكريا الأنصارى : فتح الرحمن، ص١٢.

٣) الشيخ / ياسين الحمصى : حاشية على فتح الرحمن، ص١٢.

فلسفة العلم نحوها بإثبات أو إبطال، وإنما تقف عاجزة عن تقييم هذه الآثار ما لم يتحدث بها صاحبها، أو يتم التجريب عليه من خلال الاختبارات العديدة.

يقول روكس : من المؤكد أن فلسفة العلم تقوم على تقييم المواقف واستدعاء الخبرات بجانب أنها تسعى دائما لإبراز موقفها بحيث تقدم معطيات جديدة، أو تسوق إلى أسباب يظن الرائى لها أنها أيضا جديدة فإذا فحصت لم يظهر عليها سوى جزء هزيل من المكاسب التى تدعيها[١].

٥- اللمس :

وهو قوة منبثة فى جميع البدن يدرك بها الحرارة والبرودة والرطوبة واليبوسة، ونحو ذلك عند التماس والاتصال به[٢]، ومعنى هذا أن اللمس ليس متحيزاً أو منحصراً فى آلة بعينها أو جارحة من الجوارح، وإنما هو ممتد فى الجسم كله بحيث يقع الحس به على أية ناحية تجيء، ومن ثم ذهب العلماء إلى أن وظيفة اللمس إدراك الحرارة أو الرطوبة واليبوسة وما يتعلق بها على ناحية عملية تجريبية تظهر لها آثار يقع بها التماس والاتصال[٣].

وفى تقديرى أن هذه الحواس التى تلعب عليها فلسفة العلم وتعتبرها هى الأصل فى المعرفة يمكن قبولها متى كانت فهما لوظيفة معرفية، أو لمصدر معرفى بحيث تعين على التنبؤ من خلال الخبرات السابقة، يقول ماكس بلانك : من السهل الحكم على فلسفة العلم بأنها الفهم الوظيفى للمعرفة، لكنها لا تقدم ما يشير إلى كون هذه المعرفة قابلة للتطبيق على الجهات المختلفة أم لا؟[٤].

---

١) تساميدر روكس : الموضوعية واللامعقول فى فلسفة العلم، ص٣١ط أولى، ترجمة : فؤاد أبو ذكرى.

٢) الشيخ / زكريا الأنصارى : فتح الرحمن، ص١٢.

٣) الدكتور / فوزى محمد شعلان : الوسائل المعرفية، ص٤٣-٤٤، وراجع لهاينزبرج : المشاكل الفلسفية للعلوم الطبيعية، ص٤٣-٤٤.

٤) ماكس بلانك العالم والطبيعة، ص٥٣، ط أولى، ترجمة عبد الصبور خليل.

فإذا كان بلانك صاحب نظرية الكوانتم التى تشير إلى قلب التنبؤ بالأحداث عن طريق العلية قد رأى فلسفة العلم حصرت وظيفتها فى الفهم الوظيفى للمعرفة، فمعنى هذا أن الحواس كوسائل معرفية يقع الاهتمام بها من الجانب الوظيفى فقط، وهو ما يسميها بالعجز الشديد، كما يجعل المصادر التى تقوم عليها أقل من أن تقدم صوراً إيجابية لحقائق واقعية.

غنى عن البيان القول بان علماء الإسلام قد ذهبوا إلى وجود حواس خمس باطنة، يقول العلامة الزركشى عنها : انها خمس باطنة وهى الحس المشترك والصورة، والمتخيلة، والوهمية، والحافظة[1].

والذى يبدو لى أن ارتسام الحواس الخمس في المحسوسات على سبيل التصوير لها يمثل قاعدة معرفية ليس من السهل اغفالها، كما يجب الأخذ بها، وفلسفة العلم من هذه الناحية تتمسك بشيء واحد هو فحص الموضوعات المطروحة وحدها أو تقييم المواقف المتعلقة بها، وبناءً عليه فإن فلسفة العلم تجيء فى جانب واحد معرفى و المتعلق بالاستقراء العلمى.

ومن البين أن الاستقراء العلمى هو : تتبع الجزئيات المبحوثة بغية الوصول إلى نتيجة أو حكم كلى يشمل ما تم تتبعه وما لم يتم[2].

كما أن هذا الجانب المتعلق بالمصدر فى فلسفة العلم يهمل جانباً آخر أكثر منه عموماً واتساعاً بدليل أن فلسفة العلم متى اعتمدت على الجانب العملى فقدت الجانب النفسى والعقلى والقلبى الوجدانى، كما عجزت عن تفهم قضايا الميتافيزيقا، وكأنى بهم وقد عناهم الشيخ الجكنى فى قوله :

وان كلام المرء فى غير كنهه ... كالنبل تهوى ليس فيها نصالها[1].

---

١) العلامة الزركشى : لقطة العجلان وبلة الظمآن فى فن الأصول، ص١٢-١٣.

٢) الشيخ / رفعت محمد رفعت : المنطق القديم والحديث، ص١٧٥، الدار النعمانية، ١٣٦٥.

مما سبق تبين أن فلسفة العلم تعتمد على مصدر واحد وليس على مصادر متعددة، وقد ترتب على ذلك نقص كبيرة فى المعارف التى تجيء عنها، ومن ثم اعتبرت فلسفة علمية ناقصة.

السمة الرابعة : الحدوث :

العقيدة الإلهية قديمة، لأنها تتعلق بالله جلا علاه، وصفاته، وما يستتبع ذلك، أما فلسفة العلم فإنها حادثة على كل ناحية، انها حادثة بحدوث أفرادها، موضوعاتها وتعريفاتها كما هى حادثة فى الصور التى تجيء معها، إذ أن تاريخ ظهور فلسفة العلم كعلم له موضوعه ومسائله إنما كان ذلك فى عصر النهضة الحديثة، حيث ظهرت كلمات قليلة تعبر عن هذا الاتجاه الذى أخذ فى التنامى وشيوع أخباره، على أنه علم مستقل عن باقى العلوم الأخرى، وإن كان له عند مفكرى المسلمين سبق باعتبار الجانب الإيجابى الخاص وليس الجانب العام، وربما يتساءل المرء عن سبب ذلك ويحتاج الدليل عليه.

والجواب : أن مفكرى المسلمين تحدثوا عن العلية والحتمية بجانب الضرورة كل ذلك أثناء حديثهم عن العقيدة وطرائق إثباتها من خلال بيان أوجه فساد ضدها، ويكف المرء الوقوف على الأمور العامة التى تركها أهل الإسلام، ومنها ما يتعلق بالقضايا العقدية والفقهية والأخلاقية أيضاً.

دليل ذلك : ما ذكره الشيخ الأنصارى أثناء حديثه عن تقدم الشيء على غيره، وبين أن تقدم الشيء على غيره منحصرة فى خمسة أقسام :

الأول : التقدم بالعلية بمعنى أن وجود المتأخر يجب بوجود المتقدم كتقدم حركة الإصبع على حركة الخاتم، وتقدم حركة اليد على حركة المفتاح، وتقدم الشمس على ضوئها.

---

(١) الشيخ / محمد أمين الجكنى الشنقيطى : دفع ايهام الاضطراب عن ايات الكتاب، ص١٢، مطبعة المدنى، ونسب القول إلى هبيرة ابن وهب المخزومى.

الثاني : التقدم بالطبع والذات : بمعنى أن المتقدم يوجد بدون المتأخر ولا يوجد المتأخر بدونه ولا يكفي في وجوده وجود المتقدم، ولا يكون المتقدم علة تامة له[١]، كتقدم الواحد على الاثنين، وتقدم الجزء على الكل[٢].

الثالث : التقدم بالزمان : ومعناه أن المتقدم حصل في زمان لم يوجد فيه المتأخر، كتقدم الأب على الابن، وتقدم الأمس على اليوم، وتقدم حادثة بعينها سبق وجودها على حادثة أخرى جاءت لاحقة لها[٣].

الرابع : التقدم بالرتبة : إما حساً في الطبع : كتقدم الرأس على الرقبة، أو في الوضع كتقدم الإمام على المأموم، أو عقلاً : في الطبع كتقدم الجنس على النوع، أو وضعاً : كتقدم بعض مسائل العلم على البعض.

ومن هنا فإن هذا الرابع – التقدم الرتبي – أربعة صور :

أ – الحسي الطبيعي.

ب- الحسي الوضعي.

جـ- العقلي الطبيعي.

د – العقلي الوضعي.

وهي الصور التي تجيء في التقدم الرتبي على ما سلف بيانه، وتؤكد وجود علاقات متبادلة بين المتقدم والمتأخر من خلال هذا الاتجاه الواعي.

الخامس : التقدم بالشرف : بمعنى أن المتقدم أشرف من المتأخر، كتقدم العالم على المتعلم، والكريم على البخيل، والعاقل على السفيه أو المجنون[١].

---

١) تعددت العلل وتنوعت بين الموحدة، والتامة، والفاعلة، والمادية، والغائية، والصورية، والناقصة، راجع لابن سينا : الإشارات والتنبيهات : النمط الرابع في الوجود وعلله، تحقيق : د. سليمان دنيا، ط دار المعارف.

٢) يخرج بهذا التقدم بالشرف، لأن التقدم بالشرف لا يستلزم العلية.

٣) ويسمى هذا بالتقدم الإضافي أيضا لوجود العلاقة بين الأب والابن على سبيل التضايف.

فإذا لوحظ أن أقسام تقدم الشيء على غيره قد بذل فيه جمهور المتكلمين مجهودات عديدة، وانتهوا إلى آراء فيها الجدة، فإن فلسفة العلم تكون حادثة بحدوث موضوعاتها ونتائجها بجانب مباحثها، ويكون أمرها متعلقاً بالقاعدة العامة وهى :

وقوعها بين القضايا الترجيحية التى تتعلق غالباً بنتائج احتمالية، وقد أكد تلك النتيجة الكثيرون من أصحاب هذا الاتجاه نفسه، كما دعمت القواعد العامة نفس الفكرة، بدليل : ان النظرية الكينماتية[٢] التى حاولت التأكيد على الصور المجردة من القوة المحدثة لها بجانب الطاقة التى تجيء فيها والسرعة المصاحبة لها، وارتباط ذلك بالحركة، فإذا كان أصحاب فلسفة العلم قد اعتبروا أن النظرية الكينماتية تمثل صورة من صور العبث فى التفكير فإن فلسفة العلم قضت باعتبار قضاياها هى الأخرى واقعة فى نطاق عبثية التفكير، أو على الأقل صارت فى نطاق الحركة المصورة بالصور المجردة[٣].

أجل : نتج عن فلسفة العلم وجود العديد من الأفكار، بعضها له اتجاه مشروع وبعضها غير مشروع، لكن كل هذه النظريات التى تجيء مصاحبة لفلسفة العلم تعبر عن نقلة نوعية مضطربة، وتكشف رغبة أصحابها فى إنكار القضايا الميتافيزيقية المتعلقة بالميتافيزيقا التأملية على أقل تقدير.

لقد ذهبت فلسفة العلم إلى ترسيخ قواعدها، وتثبيت أركانها من خلال مصطلحات ومفردات لغوية، لكنها لم تنجح فى الوصول إلى الغاية عندما هدمت الميتافيزيقا التأملية وأمسكت بالنقدية وحدها، والمعروف أن التأملية هى التى تتعلق بالقضايا الغيبية وهى سابقة حتماً فى الوجود على غيرها، بينما الميتافيزيقا النقدية

---

١) الشيخ / زكريا الأنصارى : فتح الرحمن، ص٦٩-٧٠.

٢) هى النظرية التى تقتصر فى حديثها على وصف الحركة فقط دون التعرض للقوى المحدثة لها، ومن المؤكد أن هذه النظرية كانت فى الماضى من فروع الميكانيكا ثم انتهى أمرها.

٣) تيمونز روبرتس : من الحداثة إلى العولمة، ص٩٥، ترجمة : سمر الشيشكلى، ٢٠٠٤م.

التى تتمسك بها فلسفة العلم إنما تسعى إلى الجانب التجريبى من خلال مناهج مستحدثة بجانب طرائق استنتاجية قد تكون مرفوضة فى أغلب الأحيان.

دليل ذلك : من الناحية العملية : لجوء بعض النساء العاملات إلى المتخصصين فى علاج أمراضهن، وعند التردد تبين أن بعض النساء العاملات يحتجن من آن لآخر إلى استراحات هرمونية، وقد بين العلماء[1] كيف استخدمت النساء العاملات المهاجرات فى بريطانيا استراتيجيات منوعة مثل : مناسبات الزفاف والقيام بحمام أطفالهن لكى يسيطرن على التفاعل فوق أرضية المعمل[2].

ومن هنا تبين أن فلسفة العلم حديثة من كل ناحية، وان حداثتها تعتبر من الصلات الوثيقة بها، كما تعبر فى نفس الوقت عن حاجتها المتسمرة فى تقبل المزيد من الأفكار والتمسك بها بغية تحقيق نتائج إيجابية أو على الأقل نتائج لها قبول إيجابى.

من الواضح أن فلسفة العلم تعتمد على مجموعة أو حزمة من القوانين متى قامت عليها، وفى نفس الوقت فإنها تعتمد على التجارب التى تفرزها المعامل والخبرات، يستوى فى ذلك أن يكون القائمون عليها من أصحاب الفلسفة التجريبية أو فلسفة العلوم بالمعنى الأخص، ومن الواضح أيضاً أن العالم متى أراد السير فى فلسفة العلوم نراه قد جعل أمامه جملة من المسلمات ثم يرتب بعدها مجموعة من الوقائع المدروسة يطلق عليها اسم الحقائق، ثم يسعى إلى استخلاص نتائج منها، وتكون هى الأخرى حادثة، كما تسمى حقيقة علمية أيضا.

والمعروف أن الحقيقة العلمية ليست هى الوقائع بذاتها، وإنما هى التى تقرر شيئاً عما هو واقع موضوعى، أو عبارة أخرى هى التى تعرض ما يقرره العلماء عن هذا الواقع والوقائع العلمية الأخرى[3].

---

١) منهم : سالى وستود، ١٩٨٥، بارمانيدر باكو، ١٩٨٨، وهوسفيلد، ١٩٩٨.

٢) تيمونز روبرتس: من الحداثة إلى العولمة، جـ٢، ص٢٠١، ترجمة اليشكلى، ٢٠٠٤م.

٣) الدكتور / محمود شكرى : فلسفة العلم، ٣١-٣٢.

ويبدو لى أن فلسفة العلم يمكن الحكم عليها بالحدوث من خلال مجموعة روافد كلها تؤدى ذات النتيجة، فهى :

أولا : حادثة بحدوث أفرادها الذين يتناولونها بالدراسة، ويقدمون لها كل دعم علمى أو فكرى أو غير ذلك.

ثانيا : أنها حادثة بحدوث الزمان الذى وجدت فيه، فليس اليوم هو أمس، ولا هو الغد، وإنما هناك فوارق كثيرة واتجاهات متباعدة بين هذه المفاهيم الثلاثة أمس، واليوم، والغد، ومن المؤكد أن هذه الفترات الزمانية غير ثابتة، وإنما هى متحركة تأتى وتزول، وهى فى حركتها كاتجاه ماء البحر، لا يغرب عنه، ولا يمكنه أن يظهر فى غيره، كما أن فكرة حدوث فلسفة العلم ليس معناه طعنها مع سبق الإصرار والترصد، وإنما معناه : توجيه البحث المعرفى فى شأنها تعريفاً يؤكد عدم عبث العقل البشرى، كما يؤكد قدرة هذا العقل على اختراق الحجب المحيطة به.

ومهما يكن من أمر فلسفة العلم متعلقا بالحدوث فإن ذلك لا يطعن فيها، إنما الطعن يكون من خلال القضايا التى تتعرض لها، والنتائج التى تتوصل إليها، ثم المواقف المضادة التى تعتمدها.

السمة الخامسة : محاولة التعميم :

مسائل العقيدة توقيفية، وهى أيضا ذاتية لتعلقها باعتقادات كل فرد على حدة، من ثم يتمايز الناس فى هذه العقيدة، حتى ذهب العلماء إلى أن مدارك الحق أربعة : الكتاب والسنة وإجماع الأمة والقياس[١]، ثم ذهبوا أيضا إلى أن هذه المدارك للحق إنما تستند إلى الكتاب والسنة، وبالتالى يمكن لهم أن يقيموا على تلك المدارك أدلتهم الشرعية، حتى رأينا ذلك غاية الوضوح فى ذكرهم مسائل العقيدة وغيرها، وكذلك اجتماعهم على قاعدة تظهر منها أقدار الخلفاء الأربعة، وإجماع العشرة[٢].

---

١) ويذهب البعض إلى أن الأحكام التشريعية خمسة : حلال، وحرام، ومكروه، ومندوب، ومباح.

٢) وهؤلاء العشرة المبشرون بالجنة وهم : أبو بكر الصديق، وعمر، ثم عثمان، وعلى ابن أبى طالب، ثم طلحة والزبير، بجانب سعد وسعيد، وعبد الرحمن بن عوف، وأبى عبيدة بن الجراح. راجع : الرياض النضرة فى مناقب العشرة.

والقاعدة العامة قاضية بضرورة اخذ النصوص الشرعيه من لهم ضبط صدر وضبط كتاب، لأنهم الذين ينقلونها.

أما فلسفة العلم فإنها تعطى نتائج عامة يمكن تطبيقها على أحوال بعينها، كما يمكن السير بها حتى تبرز لناحية بعينها، وأعنى بها : عملية النقد للمبادىء والأسس العلمية وحدها، بجانب أنها قد تعرج على النظريات والنتائج المترتبة عليها، وحينئذ تكون قواعدها العامة قد إرتدت إلى الخلف فصارت خاصة بدل أن كانت عامة.

أضف إلى ما سبق أن فلسفة العلم تقف عند مناهجه وتصوراته ومبادئه من خلال التجربة العلمية أو التجربة الذاتية التى يمكن أن تمهد لقواعد عامة، ويبدو لى أن فلسفة العلم من هذه الناحية فيها شيء من العموم النسبى، وليس العموم المطلق والمقارنة بينها وبين غيرها لم تكون لصالح الميتافيزيقا النقدية وبخاصة عندما يلجأ أصحابها إلى تجاوز الشقة وتضييق الفجوة.

مما سبق يتضح أن العقيدة الإلهية وفلسفة العلم تقوم كل منهما على جهة بعينها فالعقيدة الإسلامية تتجه إلى الله – تعالى – بينما فلسفة العلم تتجه إلى القضايا التجريبية كما أن العقيدة الإلهية فطرية من حيث هى، ويقع الاستدلال عليها بالطرق المختلفة[1].

بينما فلسفة العلم كسبية تقوم على المنتج العقلى، وتخضع لقاعدة الاحتمال الأصلية، كما أن نتائجها تجيء بين الترجيح والرجحان، كما هو الشأن فى كل القضايا الاحتمالية.

من ثم قد بان أن العقيدة الإلهية مصدرها هو الله نفسه، والنصوص الحاملة لها هى الكتاب والسنة، بينما مصادر فلسفة العلم : المنتج التجريبى الذى يخضع للخبرات والتجارب السابقة، وحينئذ تتسم مصادر العقيدة بالثبات واليقين، بينما تتسم مصادر فلسفة العلم بالتقلب كما يخضع للترجيح والرجحان، ومن ثم

---

١) العقلية والنقلية بجانب الطرق الأخرى ومنها الأدلة النظرية

مصادرها غير يقينية، وهو ما يجعل أمر المصدر في العقيدة هو الذي يجب اتباعه وعدم التنازل عنه، بل ويجب التمسك به.

أضف إلى ما سبق أن العقيدة الإلهية قديمة بقدم الله تعالى، قديمة أيضا باعتبار الفطرة، بينما فلسفة العلم حادثة على كل النواحي وقاعدة الثبات في المصادر والعقيدة تعطى لأى دارس انطباعاً أحرى به إلتزامه، بينما يجب أن يكون تعامله مع فلسفة العلم من خلال النتائج المترتبة عليها دون زيادة أو نقصان، أو تجاوز يدفع إلى الافتتان.

تبقى نقطة أخيرة وهى : أن العقيدة الإلهية يمارسها كل كائن والإنسان بصفة خاصة على أساس أنه المكلف بمتابعتها والتعبير عنها، ومن ثم يمكن لأى دارس الوقوف على طبيعة عقيدته الدينية بجانب الوقوف على ما إذا كان بإمكانه المحافظة على تلك العقيدة أم أنه يسقط أو ينتكس بينما فلسفة العلم تقوم على جانب معرفى يخضع للقاعدة العامة بالنسبة للقبول أو الرفض.

وبناءً عليه فلا يتمكن من فلسفة العلم إلا من لديه إلمام بها، بينما العقيدة الإلهية يتمكن منها كل مكلف بها، وإن اختلفت درجاتها، من فرد لآخر.

الفصل الثالث

العلاقة بين الدين والعلم

الفصل الثالث
العلاقة بين الدين والعلم

الدين الإلهى منزله هو الله تعالى الذى تعبد الناس به ودانوا إليه من خلاله، ولذا فهو قديم أبد الدهر، يؤكد ذلك أن الدين الصحيح ينسب إلى الله عز وجل على أساس أنه الذى أنزله وهو الذى فرضه وهو الذى أمر به، وفوق ذلك فهو الذى ارتضاه، ولما كان الدين الإلهى بهذه الصفات فإن المسلم يجد نفسه قائماً فى رحاب الدين آمناً معه، قادراً على مغالبة الحياة ومشكلاتها به على أساس القاعدة القاضية بأن الله سبحانه وتعالى ما تعبد الخلق بعبادة إلا وفيها مصالحهم كما أقدرهم على القيام بها فى أشكال ترضية جل علاه.

والعلم الصحيح يكون هو الآخر مرضياً عنه من قبل الله، لأن الله تعالى لما خلق الخلق دلهم على ذاته فعرفوه، ثم بيّن لهم ما ينفعهم فى دنياهم وأخراهم، ومن الرسل اكتسبوه، ولذا جاءت آيات كثيرة فى القرآن الكريم تتحدث عن العلمُ وتحث عليه، وتدعو المسلمين إلى الأخذ به دون تخصيص لعلم من العلوم أو جماعة من الناس، وبيّن الله عز وجل أن هذا العلم يكون مرضياً عنه من قبل الله عز وجل، قال تعالى : ﴿ وَمِنَ النَّاسِ وَالدَّوَابِّ وَالأَنْعَامِ مُخْتَلِفٌ أَلْوَانُهُ كَذَلِكَ إِنَّمَا يَخْشَى اللَّهَ مِنْ عِبَادِهِ الْعُلَمَاءُ إِنَّ اللَّهَ عَزِيزٌ غَفُورٌ ﴾[1].

والملاحظ أن العلم والدين قد جاء كل منهما من عند الله عز وجل، غير أن الدين جاءت نصوصه محددة ومصادره هى الأخرى منصوص عليها، بينما جاء الحديث عن العلم فى نصوص عامة يمكن أن تفهم منها أنواعه المقبول منها وغير المقبول.

فما هو الدين؟ ذلك ما سوف أعرض له فيما يلى :

---

١) سورة فاطر، الآية ٢٨. وقوله ﷺ في صحيح مسلم : من يرد الله به خيرا يفقه في الدين ولا تزال عصابة من المسلمين يقاتلون على الحق ظاهرين على من ناوأهم إلى يوم القيامة، تفسير القرطبى، جـ٨، ص٢٩٧.

أولا :- تعريف الدين الألهى :-

عرف الدين الإلهى بتعريفات منها :

١- تعريف الإمام محمد عبده الدين : وضع إلهى يحسن الله تعالى به إلى البشر على لسان واحد منهم لا كسب له فيه . ولا يصل إليه بتلق ولاتعلم (١) " ان هو الا وحى يوحى " (٢) ولذلك فهو دين إلهى . ولو جاء أولى تعريفه بأنه شرع إلهى لكان أولى . لأن الوضع مشترك لفظى يقع بين المتواضعين فى العلوم التى يتناولونها وتصير بالنسبة لهم نوعا من الاصطلاح الخاص .

٢- تعريف الإمام الاكبر الشيخ / مصطفى عبدالرازق : الدين " وضع إلهى يحسن الله تعالى به الى البشر على لسان واحد منهم لاكسب له فيه ولا صنع . ولا يصل اليه بتلق ولا تعلم . وإنما هو وحى وتعلم من الله تعالى يلقيه الله إلى عبده " إن هو الا وحى يوحى " (٣) .

والتعريفان من معين واحد والمعنى واحد . كل ما فى الأمر أن التعريف الثانى فيه تفصيل بعد إجمال ويدفع الى القول بمن علم الوحى ؟ وكيف تعلم ؟ وطرق الوحى إلى أخر هذه التمحلات التى يلجأ إليها المتشدقون كنوع من الهرب المقنع عن مواجهة القضايا الرئيسة أنن كلا التعريفين صواب .

---

(١) الامام محمد عبده - تفسير المنار ج٢ صـ٦٩ .

(٢) سورة النجم الآية ٤ .

(٣) الامام الاكبر شيخ الجامع الأزهر مصطفى عبدالرازق - الدين والوحي والإسلام صـ١٠ ط عيسى الحلبى .

٢- تعريف الدكتور / عوض الله حجازى :-

عرف الدين الألهى بأنه : " تعاليم إلهية من وضع الله تعالى ، وإرشادات سماوية من لدن العليم الخبير بنفوس العباد وطبائعهم وما يحتاجون إليه فى اصلاح حالهم فى المعاش والمعاد والدنيا والأخرة . إنه مجموعة التعاليم والأوامر والنواهى التى يجئ بها رسول من البشر أوحى الله تعالى بها إليه " (١) وهو تعريف واف لكنه طويل ليس من السهل استيعابه بشكل كبير.

وقد يعرف الدين السماوى بأنه الذى يأتى " عن طريق الوحى الألهى . على يد نبى من الانبياء (٢) والمعروف أن " الاديان السماوية كل ما جاء به الانبياء والرسل من عند الله عزوجل " (٣) هداية لأقوامهم . وتعبيدهم لخالقهم وبيان أمور الدنيا والأخرة . وقد ابتدأ الدين السماوى بآدم عليه السلام وختم بسيدنا محمد بن عبدالله ﷺ.

التعريف الذى أميل إليه

بعد إستعراضنا لما سبق من تعريفات للدين السماوى أستطيع تقديم تعريف له وهو أن الدين السماوى هو: توجيه إلهى يحسن الله تعالى به إلى المخلوقين . ويكلف من بني أجناسهم من يقومون بابلاغه لهم . اصطفاء منه سبحانه وتعالى . لاكسب فيه للنبى ولاتعليم ولاصنع . بل تفضلا من الله . ويصدقه الله فى أنه نبى "

---

(١) الدكتور عوض الله حجازى - مقارنة الأديان ص١٩ ط ٤ دار الطباعة المحمدية .

(٢) الدكتور صفوت حامد مبارك - مدخل لدراسة الاديان جا ص٥ سنة ١٩٨٧ مطبعة الفحالة الجديدة .

(٣) الدكتور / محمد رجب الشتيوى - النصرانية ص ٢٤ ط أولى دار الطباعة المحمدية ١٩٨٩ م .

وهذا التعريف الألهى المحسن به شامل أمور الدنيا والدين المعاش والمعاد مع كافة المخلوقين ممن نعلم وما لانعلم . على أن يكون المبعوث لكل امه من بنى جنسها . ويقوم لهم بتبليغ ما أمره الله به . ولأن الله اصطفاه فهو صادق ذكى فطن . أمين طاهر عف . ثم تأتى مسّألة تأييد الله له . فتضدقه المعجزة .

على أن هذا الدين السماوى له خصائص وسمات . لابد من ذكرها حتى يستبين الفرق بينه وبين غيره ممن يشتركون معه فى مجرد التسمية كالدين الفطرى . والدين العقلى . والدين الوضعى والدين الوجدانى . وغيرها مما يشترك معه فى اسم الدين .

ثانيا : سمات الدين الألهى .

للدين الألهى سمات وخصائص يفترق بها عن كافة مشاركيه فى الاسم . من هذه الخصائص والسمات مايلى :

١- التسمية :

الدين الألهى يوصف بأنه من عند الله تعالى . وبالتالى ينسب . فيقال دين الهى . ودين سماوى . لأنه من عند الله أنزل . وبأحكامه وتعاليمه عرف . ووفائه لكل المتطلبات استوفى وتركيزه على الأيمان بالله ورسله واليوم الآخر والغيب كله .

٢- تنزيه البارى جل وعلا :

اثبات وجود الله تعالى مع تنزيهه جل علاه . واثبات كافة الكمالات الالهية له جل علاه . مع الايمان به . يمثل حجر الاساس فى الدين الالهى . إنه تصديق بوجوده تعالى وجودا مطلقا لا أول له ولا أخر . يده فى كونه مطلقة وارادته نافذة

. وعلمه محيط شامل . وكل ما فى الكون بارز امامه سبحانه لا يغيب عنه شئ . ولا يعزب عن علمه شئ .

ومع هذا فهو منزه عن المشابهة لأى من مخلوقاته . انه متعال فوق الجميع . لايشبه أحدا من خلقه . ولا يشبهه واحد منهم لا فى ذاته . ولا فى صفاته . ولا فى افعاله (١) قال تعالى : " قل هو الله أحد . الله الصمد . لم يلد ولم يولد ولم يكن له كفوا أحد " (٢)

إن تنزيه البارى عن المماثلة فيه اثبات الكمال المطلق له جل علاه . لأن كافة المخلوقات محتاجة إلى خالق . وبالتالى ففيها احتياج ونقص . وهى بعد احتياجها ونقصها تكون غير متكاملة . ومن ثم . فالله لا يشبه واحدا منها ولا يماثله .

والدين الألهى يقدم صورة مثلى ضرورة " تصور الله فى ضوء التنزيه والتشبيه معا شريطة أن يفهم من التنزيه البعد بتصور الاله عما لا يليق . وان يفهم من التشبيه اثبات الايجابية وتحقيق فعاليه الله فى الوجود (٣) .

فليس الله سبحانه وتعالى بهذا التنزيه بعيدا عن العالم كما تصوره الفكر الاغريقى قديما عند أرسطو/ واليهودى فى وصف سليمان بن جبيرول لله بأنه " منزه عن الاتصال بالعالم تنزيها تاما (٤) " لأن هذا التنزيه غير فعال " إنه تنزيه يشبه التعطيل . إنما تنزيه الله تعالى دفع الاحتياج عنه . مع كمال الفاعلية عنده جل علاه .

---

(١) الدكتور / عوض الله حجازى - مقارنة الاديان صـ ٢٠ (٢) سورة الاخلاص

(٣) الدكتور / محمد كمال جعفر - الإسلام بين الأديان صـ ١٩٤ .

(٤) القس - صموئيل مشرقى - الالهيات صـ ٦٤ ط ٢ / ١٩٨٧ الكنيسة المركزية بالقاهرة .

وقد حاولت المسيحية تنزيه الله ،ولكن لأنها ديانة الأباء وعقيدة القسس والشمامسة . فلم تتمكن من تنزيه الله بما يليق به . وإنما الغت وجوده وعلمه تعالى " فيوحنا الدمشقي يصف الله فيقول : إن كانت معرفتنا تمتد إلى الأشياء الموجودة فقط ، فكيف نعرف ما يفوق هذا الوجود (١) " وهو بهذا يحاول إبعاد المعرفة بالله بغرض تنزيهه . وهذا التنزيه هو التعطيل بعينه .

إذن الدين الألهى ينزه البارى عن أى نوع من المماثلة . ويثبت له تعالى كل أنواع الكمال . وهذا المعنى لا مثيل له فى الاديان الوضعية : إنما هو إحدى سمات الدين السماوى . لأن منزله هو المتحدث عن ذاته الواصف لنفسه . الكاشف عن كل ما يجب له . وبهذا يتضح الفارق بينه وبين غيره .

٣- المبلغ به الوحى

الدين الالهى يقوم على أن المبلغ به هو الوحى الألهى إلى البشر بواسطة من يختاره الله من رسله ويصطفيه من ثم فالدين " السماوى هو الصادر عن الله - تبارك وتعالى - والداعى إليه هم الانبياء والرسل الذين هم وسطاء بين الله والناس . يتلقون مراد الله تبارك وتعالى . ويبلغونه إلى الناس . وليس للوسطاء أدنى حظ فى وضع الدين . ومهمتهم الأساسية إنما هى التبليغ والتوضيح والتبيان فقط . وحتى فى مهمتهم هذه التى هى التبليغ والبيان إنما يسيرون على هدى من أوامر الله . وأسلوب يوضحه لهم الله " (٢)

---

(١) المصدر السابق صـ ٦٧ .

(٢) الدكتور محمود محمد مزروعة - دراسات فى الملل والنحل جـ١ صـ١١

إن الدين الالهى تحمله كلمات الله بأسلوب تعبيرى يفهمه الملك المرسل من جهة الاله (١) بحيث تكون اللغة المرادة . والمعانى المقصودة . والتوجيهات المنقولة هى بعينها التى ينقلها ملك الوحى إلى الرسول نفسه . بحيث يتمكن الرسول الذى أمره الله من ابلاغ قومه بلاغا تاما . لانقص فيه . واضحا لا خفاء حوله ولا غموض يلحق به . وتلك مهمة ضرورية توقفك عند الدين الالهى . وتريك الفرق بينه وبين غيره .

كما أن الدين الالهى لا تكثر فيه الوسائط الذين ينقلون النص المنزل انها واسطة واحدة خلقها الله وأمرها بهذا الواجب . ولو كثر الوسطاء لتعددت الأفهام . وربما سقطت بعض التعاليم أو نالت منها عوادى الزمان كالحال فى الاديان غير الالهية . التى يضعها لهم بشر منهم . ثم ينقلها إليهم نقله . ثم يقوم كل من النقلة بابداء رأيه فيها بل انه ربما عدل فيها أو صحح . أو عول عليها أو تخلف . أما الدين الالهى فليس فيه إلا واسطة محددة واحدة كلفها الله بنقل تلك الرسالة إلى النبى ذاته . ونقلها النبى ذاته إلى الأمة التى أرسله الله إليها مباشرة .

إن الدين الالهى سليم المصدر . صحيح النسبة إلى الله تعالى . دقيق فى مراده . ويحمل الثواب والعقاب والقيم والاخلاق النبيلة فى جانبه . ومع كل هذا فهو حامل لصفات المنزل له . إن الدين الالهى رسالة من منزله إلى خلقه . إنه يحمل تنزيه الاله الخالق واثبات كافة الكمالات له بما يتناسب وذاته المقدسة مع بيان استغنائه تعالى عن كافة المخلوقين . وكل هذا يحمله المصدر نفسه الموحى به . المبلغ إلى الخلق من الخالق .

(١) وملك الوحى هو جبريل الأمين .

٤- فرض طاعة الخالق وحده .

الدين الالهى لا يفرض على المخلوقين طاعة أمثالهم الا فى حدود ما شرع الله تعالى . مثل طاعة النبى ومتابعته وجه فطاعة النبى من طاعة الله . ومحبة النبى جزء من محبة الله . " قل أطيعوا الله والرسول (١) " " قل إن كنتم تحبون الله فاتبعونى يحببكم الله ويغفر لكم ذنوبكم والله غفور رحيم (٢) بل رفع الايمان عن من لم يحكم رسول الله فى أى خلاف ينشأ بين القوم متى أعلنوا استظلالهم براية الاسلام قال تعالى " فلا وربك لا يؤمنون حتى يحكموك فيما شجر بينهم ثم لا يجدوا فى أنفسهم حرجا مما قضيت ويسلموا تسليما (٣) "

وجعل الإسلام طاعة الله وحده هى الواجبة ونفر من طاعة أصحاب المعاصى حتى ولوكان من أولى الأمر . وجعل طاعة رسوله كطاعته لأنه مبلغ عنه سبحانه وتعالى " فصح عنه ﷺ قوله " إنما الطاعة فى المعروف". وفى المسند عن أنس أن معاذ بن جبل ﷺ قال :

" يارسول الله أرأيت إن كان علينا أمراء لا يستنون بسنتك . ولا يأخذون بأمرك فما تأمر فى أمرهم ؟ فقال رسول الله ﷺ لا طاعة لمن لم يطع الله عزوجل" (٤)

---

(١) سورة آل عمران الآية ٣٢ " قل أطيعوا الله والرسول فإن تولوا فإن الله لا يحب الكافرين "

(٢) سورة آل عمران الآية ٣١ . "

(٣) سورة النساء الآية ٦٥ .

(٤) أخرجه الامام أحمد جـ٢ صـ٢١٣ .

وعن ابن مسعود ﷺ أن رسول الله ﷺ قال : " سيلى أموركم بعدى رجال يطفئون السنة بالبدعة ، ويؤخرون الصلاة عن مواقيتها . فقلت يارسول الله وإن أدركتهم كيف أفعل ؟ قال " لاطاعة لمن عصى الله (١) والروايتان معناهما واحد . هو أن الطاعة المفروضة لا تكون الا لله ورسوله والقائمين على شرع الله طبقا لما أخبر رسوله ﷺ .

" وعن معاذ بن جبل ﷺ قال : " قلت يارسول الله أخبرنى بعمل يدخلنى الجنة ، ويباعدنى عن النار ، قال لقد سألت عن عظيم ، وإنه ليسير على من يسره الله تعالى عليه .

تعبد الله لا تشرك به شيئا .

وتقيم الصلاة

وتؤتى الزكاة

وتصوم رمضان

وتحج البيت

ثم قال له : الا أدلك على أبواب الخير ؟ الصوم جنة ، والصدقة تطفئ الخطيئة كما يطفئ الماء النار ، وصلاة الرجل فى جوف الليل . ثم تلا تتجافى جنوبهم عن المضاجع - حتى بلغ - يعلمون . ثم قال : الا أخبرك برأس الأمر وعموده وذروة سنامه . قلت بلى يارسول الله قال : رأس الأمر الإسلام وعموده الصلاة وذروة سنامه الجهاد . ثم قال الا أخبرك بملاك ذلك كله ؟ قال بلى يارسول الله . فأخذ بلسانه ثم قال : كُفَّ عليك هذا . قلت يا نبى الله وأنا

---

(١) ابن ماجه جـ٢ صـ٢٨٦٥ .

لمؤاخذون بما نتكلم به فقال : ثكلتك أمك يا معاذ وهل يكب الناس فى النار على وجوههم أو قال على مناخرهم الا حصائد ألسنتهم ؟ (١).

وهكذا فإن الدين الالهى لم يفرض طاعة الا طاعة رسله . ولم يطلب من الخلق تعظيم بعضهم البعض . وإنما بين أنهم جميعا شركاء فى طاعة الاله الواحد . وشركاء فى عبادته وأنهم جميعا أمام مسؤلية واحدة . هى الالتزام بما أمر وحده . والانتهاء عما نهت عنه تعاليمه جل علاه .

إن الدين الالهى يرى المخلوقين طبقة واحدة أمام عدل الاله . وبالتالى فلم يفرض عليهم الا طاعته وحده و هذه الطاعة تعبير عن إيمان مطلق بوحدانيه الله تعالى . مع اختصاص هذا الواحد بالاعتقاد فيه وحده . والعبادة له وحده : فلا خضوع لغيره . إلا بحكم الشرع . وفى حدود ما أمر به الله ولا استعانه إلا به وحده فمنه العون ومنه السداد . إنه صاحب القدرة النافذة . والارادة الواسعة . والعلم الذى لا يحد . وكل ماله من صفات الجلال والكمال ومن ثم كان النداء " يا ابن آدم لا تخف من سلطان مادام سلطانى باقيا ."

بل إن هذا الدين الالهى يشعر المخلوق بعظمته أمام خالقه العظيم وبالتالى صنعته كذلك عظيمة وجاء فى الأثر " إن الله صانع كل شئ وصنعته " ولا توجد هذه المعايير الا فى الدين الالهى . الذى كشف الغطاء عن تواضع امكانيات المخلوقين أمام إرادة الخالق . وربما نستشهد بقوله ﷺ "واعلم أن الأمة لو اجتمعت على أن ينفعوك بشئ لن ينفعوك الا بشئ قد كتبه الله لك . ولو

---

(١) الامام ابن رجب البغدادى جامع العلوم والحكم صـ٢٤١ تخريج عصام الدين الصبابطى دار الحديث والحديث رواه الترمذى وقال حديث صحيح حه صـ٢٦١٦ .

اجتمعت على أن يضروك لن يضروك الا بشئ قد كتبه الله عليك رفعت الأقلام وجفت الصحف" (١) ولا يوجد هذا التوجيه الا فى الدين الالهى وحده.

٥- الشكل العام :

الدين الالهى قائم على أنه من عند الله " سواء فى جوهره وموضوعه وفى طريقة عرضه وأسلوب تبليغه (٢) أوامره ونواهيه عقيدته ، وشريعة ومعاملاته . والغاية التى تأتى منه . وكل ذلك فى سياق واحد يراعى الزمان والمكان وملاحظتهما من غير أن يحدث إخلال فى أى منها . إنه النظام الكامل . والشكل الذى لايدانيه أخر. وتلك خصيصة يجب أن تراعى . أثناء النظر الى الدين الذى ندرسه

إنه غير قابل للنسخ أو التعديل . ولا يطرأ عليه الحذف أو تأتيه الزيادة فى مسألة العقيدة الالهية . لأن عقيدة الرسل أجمعين فى الله تعالى واحدة " فيما يتعلق بالله تعالى وصفاته . والرسل وعصمتهم واليوم الآخر وما يكون فيه من ثواب أو عقاب . إن الخالق عند جميع الرسل واحد . وإن هذا الخالق تجب عبادته واختصاصه جل شأنه وحده بهذه العبادة . وإن هذا الاله يجب أن يثبت له جميع صفات الكمال . وأن ينزه عن جميع صفات النقص ـ وأنه سيحاسب الناس على أعمالهم . وكل هذا قدر مشترك بين جميع الاديان السماوية (٢).

---

(١) مختصر الزبيدى صـ٢٨ من حديث ابن عباس رضي الله عنه.

(٢) الدكتور محمود محمد مزروعة - دراسات فى الملل والنحل صـ١٢ .

(٣) الدكتور عوض الله حجازى - مقارنة الاديان صـ٢١ .

إن الدين الالهى يراعى القيم النبيلة حتى يغرسها فى نفوس المؤمنين به . وينهى عن الرذيلة حتى يقتلعها من سلوك المؤمنين به . إن الفضيلة خير والرذيلة شر . والشكل العام للدين الالهى يحافظ على الاولى ويقربها إلى النفوس بل ويدعو إلى ممارستها ، ويجعل ثوابها عنده سبحانه وتعالى . فالحب قاعدة أساسية طالما كان فى الله ورسوله . وفى المؤمنين . من خلال نصوص صريحة . حب الله أولا . وحب رسوله يتبعه حتى يكون حب الله ورسوله غالبا على كل مشاعر النفس وعواطف الوجدان . ثم ينتشر هذا الحب فيشمل حب المرء نفسه حتى لا يهلكها . وحبه والديه وأولاده وزوجه والمحيطين به من أخوانه المؤمنين بالله .

كذلك الايثار الذى يقوم على تفضيل الانسان شرع الله على هدى نفسه . وتغليب نواهى الاله الاعظم على الملذات الشخصية حتى ينتهى الامر به إلى ايثار تكون قاعدته أوامر الله ونواهيه . وقمته الرغبة فيما عند الله تعالى والتمسك به . ايثار ما شرع الله على ما تعلقت به النوازع . ايثار طاعته على معصيته . ايثار اخوانه فى الله على نفسه حتى ينتهى الامر بأن يكون الايثار فضيلة تتمكن من الانتشار فى كل المجتمع المؤمن بالله شكلا ومضمونا . وقس على ذلك كل الفضائل التى يحافظ عليها الدين الالهى فى شكله العام .

٦- الوفاء بالمتطلبات :

الدين الالهى نصوصه مرنة . إنه من عند الله سبحانه وتعالى . ولذا فهو يفى متطلبات المؤمنين به . من حيث نصوصه . ومن حيث أوامره ونواهيه . فضلا عن عقيدته وشريعته . تمر السنون والأيام والدين الالهى يفى كافة المتطلبات فلم يحرم الله شيئا ثم بان على مر الزمان أمر الحاجة إلى تعديله . كما لم يحل شيئا

فأتى زمان بانت الحاجة الى تحريمه . بل على العكس فإن ما حرمه الله يشعر المؤمنون به أنه فعلا حرام ، وهم يستشعرون ذلك فى سلوكياتهم.

فمثلا حرم الله على المؤمنين به مما حرم أكل الميتة ، وربما كان العقل أول الأمر يسأل لماذا الميتة ؟ إن الأمر كشف عنه العلم فقرر ، أن مادة البولينا مادة سامة ، وأنها موجودة فى جسم الحيوان بنسبة عالية ، وإن النسبة القليلة منها تفرز عن طريق التبول ، أما النسبة المركزة فإنها لا تفرز الا عن طريق الدم . فإذا مات الحيوان فإن نسبة البولينا السامة تبقى فى شرايين الحيوان وتضمر داخل أوردته ، وبالتالى تتحول إلى مادة سامة تضر بمن يأكلها . وبالتالى فإن تحريم الله أكل الميتة يمثل نوعا من الوفاء بمتطلبات الزمان وهذا لا يوجد الا فى الدين الالهى .

قال تعالى : " حرمت عليكم الميتة والدم ولحم الخنزير وما أهل لغير الله به والمنخنقة والموقوذة والمتردية والنطيحة وما أكل السبع الا ماذكيتم وما ذبح على النصب وأن تستقسموا بالأزلام ذلكم فسق اليوم يئس الذين كفروا من دينكم فلا تخشوهم واخشون اليوم أكملت لكم دينكم وأتممت عليكم نعمتى ورضيت لكم الإسلام دينا فمن اضطر فى مخمصة غير متجانف لاثم فإن الله غفور رحيم "(١)

٧- القواعد العامة

يتميز الدين الالهى بوضع قواعد عامة تطبق على كافة الأفراد متى كانوا يطبقونها فالاعتقاد قاسم مشترك وحقيقة ثابتة تطبق على الرجال والنساء الملوك والأجراء ، الأحرار والأرقاء ، الكل يعبد الاله الواحد المنزه الذى ليس كمثله

---

(١) سورة المائدة الاية ٣

شئ وهو السميع البصير . ولذلك كان النداء عاما " يا أيها الناس اتقوا ربكم الذى خلقكم من نفس واحدة وخلق منها زوجها وبث منهما رجالا كثيرا ونساء واتقوا الله الذى تساءلون به والارحام إن الله كان عليكم رقيبا "(١) وقوله تعالى " يا أيها الناس اعبدوا ربكم الذى خلقكم والذين من قبلكم لعلكم تتقون " (٢) قواعد عامة فى العقيدة تطبق على كافة المؤمنين بالله بغض النظر عن اماكن وجودهم ، وتقسيماتهم الجغرافية لا قيمة للون او المركز الاجتماعى والوضع الأدبى أو المالى إنها عقيدة إلهية الشرط الوحيد فيها سلامة العقل من آفاته . وقس على ذلك أمور العبادة .

الصلاة مثلا . يقف المصلون متجاورين الملك والأجير لابس الخشن ولفيف الحرير . إنها صلاة واحدة . نحو إله واحد . لقبلة واحدة ، فى كل أرجاء المعمورة : " إن الله لا ينظر إلى صوركم وأجسادكم ولكن ينظر إلى قلوبكم وأعمالكم " (٣)

إذن الدين الالهى يسقط حاجز التميز بأنواعه . وفى كافة الأمور التى تتعلق بالعقيدة والشريعة والأخلاق . ثم فى الوضع النهائى لاستقبال الأخرة - القبر - وهذه القاعدة العامة من خصائص الدين الالهى ولا توجد فى غيرة إن أمور الأخرة والتصديق بها بعد الاخبار عنها من سمات الدين الالهى .

---

(١) سورة النساء الاية ١

(٢) سورة البقرة الاية ٢١

(٣) متفق عليه

٨- العصمة من الخطأ.

ذلك أن الدين الإلهي مصدره الإله الاعظم جل علاه. وبالتالي فإن هذا الدين معصوم من الخطأ حيث عصمه مصدره وهو الله سبحانه وتعالى " ومن أصدق من الله حديثا (١) ومن أصدق من الله قيلا" (٢) وكون الدين معصوما من الخطأ يعطي ضمانات للمؤمنين به بلا حدود.

إنهم يعتقدون في إله منزه ليس كمثله شيء إنه كامل من كل وجه. وبالتالي فهو الضامن لصحة ما أرسل به الانبياء. وصدق ما كلف به المؤمنين. إنهم لن يقعوا في تجارب أفكار الأخرين. وإنما كان الدين الالهي معصوما من الخطأ متى روعيت قواعده وطبقت أحكامه.

ولعل ديكارت فيلسوف فرنسا كان لديه بعض من صدق التوجه حين قال إني أثق في صحة الأفكار لأن الضامن لها هو الله سبحانه وتعالى وبالتالي فالحقائق الدينية صادقة لأنها من الله منزلة. والبدهيات الرياضية لأنها يقينيات سلمت بها العقول ومن ثم فأفكارنا صحيحة وسليمة لأن الضامن لها هو الله صاحب الكمال المطلق.

أجل ما من دين غير إلهي الا وترى أصحابه تورطوا فيه بين مجرِّب ومجرَّب. وبين صاحب فكر ومجال تطبيق. حتى الافكار والقوانين التي يشيدها أصحابها نظريا متى حاولوا تطبيقها ظهرت سلبيات كثيرة واندفع المفكرون إلى اصلاح تلك الأفكار التي كانت مجرد خيال حالم. ولن يتمكنوا من الاصلاح. لأنه فكر بشري الخطأ يحيط به من كل جانب. والنقص يعتريه من كل وجه.

---

(١) سورة النساء الآية ٨٧ (٢) سورة النساء الاية ١٢٢

أما الدين الالهى فحق كله ، وصدق كله نتائجه يقينية ، ومقدماته صادقة ، وعقيدته يتمكن منها كل المكلفين بها ، وشريعته فيها من المرونة ما تستوعب كافة المناحى ، وتوجه كل عصر وزمان ، متى كانت الرسالة عامة خالدة ، دائمة ابدية ، وهى دين الإسلام : من ثم لكد بانت لنا بعض الفروق الجوهرية ، التى تمثل بعض خصائص الدين الالهى .

" إن الأديان السماوية معصومة من الخطأ دون الأديان الوضعية ، وذلك لأن الأديان السماوية تأتى عن طريق الوحى ، ومصدر الوحى هو الله ، والله هو الحق ولا يصدر عنه الاكل حق ، ولذلك كانت الأديان التى تأتى من هذا المصدر معصومة من الوقوع فى الخطأ " (١) إن مصدرها هو الله الذى أرسل النبى ، والنبى صادق لأنه مبلغ عن الله ، إذن الدين الالهى معصوم من الخطأ .

٩- بروز صورتى الترغيب والترهيب .

الترغيب والترهيب فى الدين الالهى يقومان على أمر واحد هو الاخافة من شئ معين يكون مظهرا لغضب الله تعالى ومعصيته ، أو سلب تلك الاخافة فيتحقق الأمان فى جانب شئ معين يكون مظهرا لرضوان الله تعالى وهو ما يسمى الترغيب والترهيب ، الذى يمثل صورة أخرى للثواب أو العقاب .

والثواب والعقاب فى الدين الالهى تراهما متلازمين بحيث ينظر إليهما العقل فيرى نفسه بين أمرين لا ثالث لهما ، إما ارضاء الخالق جل علاه ، وتزكية النفس ، والانتصار على العواطف الهشة والغرائز المندفعه وتحقيق الصالح العام للبشرية كلها ، وبالتالى ينال ثواب الله ويحظى برضوانه ، فيرى النعيم فى

---

(١) الدكتور / صفوت عائد مبارك - مدخل لدراسة الأديان ص١١

الاخرة رؤى العين فيها مالاعين رأت . ولا أذن سمعت . ولا خطر على قلب بشر " فيها حور عين كأمثال اللؤلؤ المكنون فيها من الوان النعيم وأفانين الجمال . ما يعوض اى حرمان طارئ أو يوجه بمتعة عرضية . بل ويفوق كل ذلك بمراحل لا تحد . ومن ثم يقبل رضوان الله فيعمل خيرا .

واما اغضاب للخالق جل علاه فيولى ظهره أوامر الله ويصم اذنيه . ويبعد عقله عن الالتفات لنواهيه . إنه يرى المتعة لحظة أن ولت لن تعوض . والغرائز نجواه إن لم يجبها صمتت . والخروج على شرع الله حقا له فما بال غيره يحاول ضبطه عليه وابعاده عنه . ومن ثم تراه إلى المعاصي ينقلب . وفى الوانها يتقلب دون أن يردعه ضمير فى حناياه يتحرك . أو يوقظه عقاب فى عقله ماثل .

من ثم رأينا الثواب والعقاب فى الدين الالهى يقع بينهما نوع من التلازم المضطرد . من أمثال قوله تعالى " فمن يعمل مثقال ذرة خيرا يره ومن يعمل مثقال ذرة شرا يره (١) وإذا كانت هذه الاية قد جاءت بالثواب والعقاب كنتائج ...لة فى الخير وعمله . والشر وفعله . فإن هناك أيات أخرى جاءت حامله بعض التفصيل لأمرى الثواب والعقاب من ذلك قوله تعالى " وقل الحق من ربكم فمن شاء فليؤمن ومن شاء فليكفر إنا أعتدنا للظالمين نارا أحاط بهم سرادقها وإن يستغيثوا يغاثوا بماء كالمهل يشوى الوجوه بئس الشراب وساءت مرتفقا "(٢) وهذا الوصف العام للنار . وأنها محاطة بسرادقات قوية وتحصينات منيعة . وأن أهل العقاب لن يفلتوا منها . بل إنا ضرب فيهم العطش الامه

---

(١) سورة الزلزلة الايتان ٧ ، ٨ .

(٢) سورة الكهف الاية ٢٩ .

واستغاثوا طالبين ما يروى ظمأهم فإنهم سوف يجابون إليه . لكنه ماء يغلى فإذا لامس الاكباد حرقها ، وإذا اقترب من الامعاء مزقها إنه لشده ما فيه من قسوه لو وضع على الجلود لاصابها بالتشوه . فما بالك بمن يشربه .

اما جانب الثواب فترى التهيئة له . والتزكية لأصحابه . قال تعالى " إن الذين آمنوا وعملوا الصالحات إنا لانضيع أجر من أحسن عملا . أولئك لهم جنات عدن تجرى من تحتهم الأنهار يحلون فيها من أساور من ذهب ويلبسون ثيابا خضرا من سندس واستبرق متكئين فيها على الأرائك نعم الثواب وحسنت مرتفقا "(١)

إنهم قد امتثلوا أوامر الله ففعلوها ، واجتنبوا نواهيه فابتعدوا عنها . ولذا كانت امارات الثواب بادية حتى فى لغة الخطاب الالهى ووصفهم بأنهم عملوا الصالحات . ثم بيان أن أجرهم مضمون وأن الضامن له هو الله سبحانه وتعالى الذى يجازى وما دام العطاء والجزاء من عند العظيم فلا شك أن هذا العطاء سيكون عظيما .

ثم فصل نوع الاجر الحسن هنا وبين أنه يشمل نعيما من الوانه أنها جنات عدن . فيها أنهار من تحتهم جارية وماء عذب رقراق . وفوق ذلك فإنهم لن يبذلوا مجهودات فى وصول النعيم اليهم . أنهم على أرائك فى الجنان يتكئون . إنها دار الثواب المقيم . والرفيق الأمين . والأجر الجزيل .

---

(١) سورة الكهف الايتان ٣٠ / ٣١

وهنا الثواب وتلك العقاب ملاحظ فيهما الابدية . فاعتبار المدة لا قيمة له قال تعالى " فأما الذين شقوا ففى النار لهم فيها زفير وشهيق خالدين فيها مادامت السموات والارض الا ما شاء ربك أن ربك فعال لما يريد . وأما الذين سعدوا ففى الجنة خالدين فيها مادامت السموات والارض الا ماشاء ربك عطاء غير مجذوذ فلا تك فى مرية مما يعبد هؤلاء ما يعبدون الا كما يعبد آباؤهم من قبل وأنا لموفوهم نصيبهم غير منقوص " (١).

ولا شك أن ظهور قاعدة فى الثواب والعقاب بهذا الشكل تجعل الاخافة محققة . والنعيم والعا . أنها اخافة دائمة ليس فيها مجال للتاقيت . فإن لم ينل الظالم جزاء ظلمه فى دنيا الناس فلا شك أنه أتيه يوم القيامة " ولن يفلت منه أبدا . وكذلك الطائع أن لم يحصل ثوابه له فى دنيا الناس فلا شك أنه ملاقيه فى الأخرة عند الله تعالى . وهذه من القيم التى لا توجد الا فى الدين الالهى .

إن مسألة الترغيب والترهيب فى الدين الالهى هادفة . أنها تصحح العقيدة فى نفوس المؤمنين بها . وتكشف جمال الالتزام الشرعى كما تحافظ على السلوك فلا يقع فى منحط درجات بل يعلو فوق الهامات . كما تدفع إلى تجنب الوقوع فى الخطاء . " ولذا نجد فى كثير من الأحيان أن بعض النصوص الدينية التى تتضمن الوعيد أو التهديد القوى يثير الخوف . تليها مباشرة نصوص أخرى مرغبة ومبشرة . بل قد نجد فى النص الدينى الواحد جانبى الاخافة والطمأنة(٢)

---

(١) سورة هود الايات ١٠٦ / ١٠٩ .

(٢) الدكتور / محمد كمال جعفر - الاسلام بين الاديان ص٣٦

فقد عرض النص الدينى الالهى صورة رهيبة من صور عذاب المشركين فى القرآن الكريم قال تعالى " قل الله أعبد مخلصا له دينى فاعبدوا ما شئتم من دونه قل إن الخاسرين الذين خسروا أنفسهم وأهليهم يوم القيامة الا ذلك هو الخسران المبين لهم من فوقهم ظلل من النار ومن تحتهم ظلل ذلك يخوف الله به عباده ياعباد فاتقون " (١)

والناظر للنص القرآنى الكريم يراه تحدث عن الخاسرين . ويبن أن خسرانهم جماعى إنهم خسروا أنفسهم وخسروا أهليهم معا . وكشف أن هذا الخسران غريب . لأنه كان الأولى لهم . والأجدر بهم أن يقوا أنفسهم شر النار . ويباعدوا أهليهم عنها فما بالهم قد خسروا وأضلوا أهليهم الذين التمسوا عندهم النجاة .

كما يرى وصف العذاب الخاص بهم وأن أرضهم وسماءهم . فرشهم وغطاءهم سيكون من النار وفى النار " لهم من فوقهم ظلل من النار ومن تحتهم ظلل " ثم انظر إلى قوله تعالى " ذلك الذى يخوف الله به عباده ترى صورة الترهيب واضحة وطريقة الاخافة جلية . والنظم القرآنى المحكم قد حمل هذه وتلك للمشاهد بعينه المتأمل بقلبه بحيث ينصرف عن الخسران إلى الايمان .

" ولكنه يعقب ذلك مباشرة بدعوة العباد الى التقوى لئلا يلقوا هذا المصير . وهنا نحس نسيم الحنان والرحمة ياعباد فاتقون . ثم يتبع ذلك بالتبشير والترغيب (٢) فيقول : " والذين إجتنبوا الطاغوت أن يعبدوها وأنابوا إلى الله لهم البشرى فبشر عباد الذين يستمعون القول فيتبعون أحسنه أولئك الذين هداهم الله وأولئك هم أولوا الالباب " (٣)

---

(١) سورة الزمر الآيات ١٤/١٦ . (٢) د/ محمد كمال جعفر الإسلام بين الاديان صـ ٣٦ .
(٣) سورة الزمر الآيتان ١٧/ ١٨ .

وبعض الآيات القرآنية ربما ابتدأت بذكر جانب الطمأنة مثل قوله تعالى " نبئ عبادى أنى أنا الغفور الرحيم " ثم يليها ذكر الاخافة والترهيب فيقول الله تعالى وأن عذابى هو العذاب الاليم (١) إن الأمر ليس متعلقا فى ترغيبه وترهيبه بالحياة الدنيا وحدها. إنما بها والتركيز على الحياة الآخرة.

وهذه الصورة الفنيية لا توجد بجمالها الا فى الدين الالهى الذى يسمو بأصحابه فى الدنيا والآخرة. إن الدين الالهى " رحمة الله إلى البشرية وهدايته لها من سار عليه نجا، ومن أعرض عنه هلك وخسر (٢) ومن ثم فإن الترغيب والترهيب من سمات الدين الالهى السماوى على ما سلف بيانه.

وهناك وجوه أخر أجدنى لو تناولتها فربما امتدت صفحات البحث أكثر، وربما اجتاحته المقارنة فى هذه الناحية، رغم كثرة الموضوعات، وقلة الوقت، فلنعد إليها فى وقت يكون أكثر سعة حتى نعرضها ونناقشها وندلل عليها.

ثالثا : الغاية من الدين الالهى.

للدين الالهى غاية سامية تقوم على : -

١- تعريف المخلوقين بخالقهم العظيم بما ينبغى له من جلال وكمال ومهابة.

٢- تبصير المكلفين بما يجب عليهم نحو هذا الخالق العظيم رب العالمين.

٣- تيسير أمورهم الحياتية بما يضمن لهم استقرارها وسلامتها.

٤- تعريفهم بكيفية إعمار هذا الكون باعتبارهم خلفاء فيه عليهم صيانته والقيام بأعبائها على الوجه اللائق شرعا.

---

(١) سورة الحجر الايتان ٤٩ /٥٠

(٢) د/ محمد رجب التبوى - النصرانية صـ٢٦ أولى ط ١٩٨٩ م دار الطباعة المحمدية.

٥- تعبيدهم نحو الله رب العالمين عبادة صحيحة قائمة على عقيدة حقة سليمة .

٦- ضبط نظم حياتهم الدنيوية حتى إذا صحت لهم سلمت لهم حياتهم الأخروية وهى هدف جميل . وأمر لاوجود له الا فى الدين السماوى وحده .

٧- شد انهامهم والأخذ بأذهانهم كأن هنالك دارا أخرى لها سمات عديدة ومواصفات محددة . وأن فيها نعيما مقيما لمن أطاع الله . وعذابا أليما لمن عصاه .

٨- تعريفهم بواجباتهم نحو بعضهم ابتدأ من علاقة الانسان بأخيه فى الإنسانية ومرورا بعلاقة الأنسان بالحيوان والجماد والنبات وكافة المخلوقات على ما يجب أن يكون فيما بينها من تعاملات وعلاقات .

٩- وضع قواعد أخلاقية تصان بها الألسنة وتحفظ الأعراض . ويتم الايثار وتحقق أوجه التعاون بحيث تزول من بينهم الفوارق والانانية . ولا يبقى للحقد فى الصدور مكان .

١٠- ضبط السلوك الانسانى وتوجيهه على نحو يرضى الله عزوجل فيحفظ للمؤمنين به أملا يرجونه وحلماكم حاولوا فى دنيا الأفكار تحقيقه .

وهذه الغاية السامية لا توجد الا فى الدين الإسلامى بحيث تمثل غاية عليا لا تدانيها غاية . ولذلك أخفقت المذاهب الفلسفية والاخلاقية . ولم تصل إلى غاية ومثلها الأديان العقلية ولم تفلح فى انقاذ البشرية الاديان التطورية . بينما نجح الدين الالهى وحده. لأن الغاية فيه تكميل المخلوقين وتجميلهم . حتى يصح لهم فى النهاية أمر رضى ربهم . الذى به تتحق سعادتهم . فتهدأ نفوسهم فما هى الأديان الوضعية من ناحية تعريفها وسماتها ؟

ب- الأديان الوضعية

سلف الحديث عن الدين الألهى - السماوى . من ناحية تعريفه وخصائصه التى تميزه عن الأديان الوضعية . كما بان لنا أن الغاية فى الدين الألهى سامية تعلو بالمؤمن درجات حتى يبلغ عندربه منزلة الرضوان . فيرى الانوار الألهية . ويشاهد المعانى الربانية . ويعيش فى صفاء وطمانينة بينما يعيش غيره من اتباع الأديان الارضية . حيرة لا يرون معها أمنا . وشكا لايعرفون من خلفه معالم يقين .

وها نحن أولاء نتعرض للأديان الوضعية من حيثيات عدة حتى نتعرف عليها . لا باعتبار أفكارها والقوانين . ولا مبادئها والتعاليم . فتلك شأن آخر نوليه عناية بعد الانتهاء من هذه المقدمات التى أراها ضرورية . وإنما سأعنى بها من حيث :

١- التعريف .

٢- السمات والخصائص .

٣- الغاية .

وأعد القارئ الكريم - إن أمد الله فى العمر وتحسنت الصحة - أن أستمر فى بيان تلك الأديان الأرضية بقدر ما يتيسر لى حتى يقف عليها وأضحة جليه بلغه عصرية . ومصطلحات فنية . فلنبدأ بالمرحلة الأولية .

١- التسمية .

تسمى الأديان الوضعية بعدة تسميات . منها ما هو شائع مشهور كالتسمية بالأديان الوضعية ومنها ما هو نادر كالتسمية بالأديان الأرضية فى مقابلة

الأديان السماوية . ومنها ما هو محل توارد كالتسمية بالأديان الانسانية . فى مواجهة الأديان الالهية .

وهذه الأديان الأرضية منها .

١- أديان بشرية خالصة.

وهى مجموعة المعانى والقوانين والتعاليم التى صاغها بشر توسموا فى أنفسهم ملكات القيادة والزعامة . وطالبوا الناس باعتناقها واعتقاد صحتها والقيام عليها بحيث تكون هى عقيدة وعبادة معا وهى بشرية خالصة لاعلاقه لها بوحى أو أصول دين سابق كالبوذية والبرهميه فإنها بشرية خالصة .

٢- أديان محرفة :

وهى التعاليم والمبادئ والمؤشرات التى قامت على تحريف الدين الألهى . بالاضافة إليه . والزيادة عليه والتبديل من أحكامه . بما يقضى على معالم التوحيد والتنزيه الالهى . ويوضح أنها من وضع بشرى وان تسمت بالسماوى كالمسيحية التى قامت على أنقاض النصرانية واليهودية التى قامت على أكتاف الموسوية .

٣- أديان ملفقة.

وهى التى قامت على مجموعة من المبادئ والقوانين الفكرية البشرية وفى بعضها ظواهر أو شواهد لتعاليم سماوية . فهى من حيث الأصل ليست سماوية . ومن حيث المظاهر والشواهد تدعمها سلوكيات فيها نغم سماوى على سبيل الاقتباس منه بغير اشارة إليه .

وربما نرى ذلك فى تعاليم كونفوشيوس " حكيم الصين الاكبر الذى كان يدعو إلى الأخلاق الفاضلـه و التسامح والاحسان والصفح والعفو وبر الوالدين

والاحسان إلى الفقراء ، والعطف على الضعفاء ـ ووضع مجموعة من النظم والتشريعات تتعلق باصلاح القوانين والتعليم ـ وكان يهتم بتهذيب الأخلاق ، وتقويم السلوك حتى يوجد مجموعة من الرجال ذوى الفضل "(١) وهو نوع من التلفيق إذ لم ينادى بمذهب فلسفي ، أو فكرة أخلاقية ، وإنما أعتبر نفسه صاحب دين يجب اتباعه حتى ولو خالفه الآخرون .

ومن هذا النوع الصهيونيه التى لفقت صورة للديانه اليهودية ، ويات الجميع لا يقبلون عليها أما لماذا ؟ فلأن "الصهيونيه يخفون الملابس الصهيونية القذرة والفجة تحت ثياب طاهرة ومقدسة ولذلك فإنهم لا يسيرون على هدى تعاليم الدين والشريعة اليهودية الحقة "(٢).

إذن الأديان الأرضية متعددة ، وذات انماط مختلفة ، وبعضها مذاهب فلسفية أو أخلاقية وبعضها تصورات عقلية ، وبعض أخر يمثل صورة لنواح سيكولوجية ، وكل هذا تحت اسم الاديان الوضعية يندرج ، وباسم الأديان الأرضية يصح أن يعلم ويخبر عنه .

وأقرب الأراء فى التسمية أنها ـ الأديان الأرضية الوضعية ـ التى يقوم بها ـ بعض من بنى البشر فى محاولة منهم لتحقيق مراكز على رؤس غيرهم بعيدا عن شرع الله ووحيه وإن اتسمت باسم الدين نفسه .

---

(١) د/ صفوت حامد مبارك ـ مدخل لدراسة الأديان صـ ٤٠ .

(٢) د/ رشاد عبدالله الشامى ـ القوى الدينيه فى إسرائيل صـ ١٢٥ سلسلة عالم المعرفة العدد ١٨٦

٢- تعريفها:

تعرف الاديان الارضية - الوضعية - بأنها :

أ- " مجموعة من المبادئ والقوانين العامة وضعها بعض الناس المستنيرين لأممهم ليسيروا عليها ، ويعملوا بما فيها ، والتى لم يستندوا فى وضعها إلى وحى سماوى ، ولا إلى الأخذ عن رسول مرسل ، وإنما هى جملة من التعاليم والقواعد العامة اصطلحوا عليها ، وساروا على منوالها ، وخضعوا فيها لمعبود معين أو معبودات متعددة " (١) لكنها فى جملتها من وضع بشر.

ب- الدين الوضعى هو الذى يضعه البشر، " وهو من اختراع العقل الانسانى "(٢) وحده دون الرجوع به إلى مصادر أخرى غير النظرة الأنسانية ، ثم يتواضع عليه من اتفقوا عليه .

جـ- الدين الوضعى : هو ما استوحاه عقل الانسان وخياله ، على مقتضى مصالحه وضروراته الراهنة " (٣) التى يرى الحاجة ماسة إليه .

والدين الوضعى طبقا لهذا لا تمثله قواعد ثابته ولا قضايا كليه يجمع عليها الناس جميعا ، وإنما هو حالات فردية ، وافكار خاصة ، طبقا لوجهة نظر معينه ، ومن خلال افكار معينة ، ذلك لأن واضعى هذه القواعد وتلك يتباينون فى ثقافاتهم واتجاهاتهم الفكرية ، كما يختلفون فى عقائدهم التى تنطوى عليها ضمائرهم ، فإذا وضعوا قوانين أو قواعد وطالبوا الناس اعتناقها فلا شك أنها لن تمثل إلا وجهة نظر مؤلفيها فقط .

---

(١) د/ عوض الله حجازى مقارنة الأديان صـ١٨ .

(٢) د/ محمود محمد مزروعة - الملل والنحل جـ١ صـ١١ .

(٣) د / رفقى زاهر - قصة الاديان صـ١٧ ط أولى ١٩٨٠ دار المطبوعات الدولية .

٢- سمات الأديان الوضعية:

للأديان الوضعية سمات وخصائص تميزها عن غيرها . من الدين الالهى . لأن المعروف هو أن الدين الالهى جوهره الوحى * والوحى ثابت لا يتغير لأنه يمثل التعبير الفعلى عن الارادة الالهية . كما يتضمن الحقائق الخالدة . ومن ثم فالوحى يبقى على القرون دون أن يخضع لأى تغير(١) لأنه من عند الله .

أما الأديان الوضعية فإن الاضطراب فيها والقلق قائم كله على قدم وساق . أنها لا تقوم على وحى . ولا تفى بحاجات البشر . ثم هى فوق ذلك كله ملئ بالنقص البشرى الذى يملأ آفاق مؤلفيها فى ذات الوقت . ومن هنا كانت الضرورة لبيان سمات الأديان الوضعية .

مع الأخذ فى الاعتبار أن الأديان الوضعية تتخالف فيها بينهما . فالهندوسية ليست كالبوذية والمانويه ليست كالزرادشتية . وإنما يقع بينهما جميعا انها قواعد نظرية وتطبيقات خيالية ومبادئ اولية بحيث يصعب الجمع بينها على جهة مقبولة . فما هى تلك السمات .

السمة الاولى: أنها ليست من عند الله .

وذلك بين من اسمائها فهى منسوبة إلى الأرض لا إلى السماء . إلى الوضع لا إلى الانزال الالهى . ولأنها من عند غير الله فقد طبعت بطابع من انشاها . فإن كانت ديانة تطورية حملت أفكار أصحابها . وإن كانت عقلية أصطبغت بنفس الصبغة أما إذا كانت ديانة طوطمية فإن مبادئها وعقيدتها وكافة طقوسها والشعائر تدل عليها مباشرة لأنها تحمل عادات معينة وتقاليد لا تبرحها أبداً .

---

(١) تراث الانسانية جـ٢ ص٥٠ ط٢ عالم المعرفة العدد ١٢

والدليل على أنها ليست من عند الله مايقع فيها من أوجه الاختلاف في المبادئ وطرق التطبيق والتناقض بين السلوك الواقعي والأفكار النظرية . وهذا الاختلاف كبير جدا لا يمكن الجمع بين أطرافه . ولعل هذه السمة قد نبه إليها القرآن الكريم حين تنزه عن الاختلافات القليلة أو الكثيرة . والمح إلى أن الاديان التي من عند غير الله سماتها الاختلاف البين قال تعالى " أفلا يتدبرون القرآن ولو كان من عند غير الله لوجدوا فيه إختلافا كثيرا " (١)

قال الشيخ البروسوي : " لو كان القرآن من كلام البشر كما زعم الكفار لوجدوا فيه اختلافا كثيرا تناقض المعنى . وتفاوت النظم وكان بعضه فصيحا وبعضه ركيكا . وموافقة العقل لبعض احكامه دون بعض . على ما دل عليه الاستقراء . لنقصان القوة البشرية " (٢) وبالتالي فإن وجود الاختلاف في الاديان الوضعية دليل على أنها ليست من عند الله .

الديانة الوضعية . إنك ترى الخلاف فيها على أشده بدء من تصور فكرة الغيب التي تشمل الاله وخلق الكون حتى نهاية المطاف . كما أنها تتعدد فيها الآلهة بشكل ملفت للنظر مما يدل على أنها ليست من عند الله بحال من الأحوال . حيث قد ظهرت آلهة كثيرة في الديانات الوضعية . بل في كل ديانة منها ترى عددا من الآلهة .

ففي أرض الهند ظهرت آلهة كثيرة منها ؛

---

(١) سورة النساء الاية ٨٢

(٢) الشيخ / اسماعيل حقي البروسوي - تنوير الاذهان من تفسير روح البيان جـ١ صـ٤٥٨

١- الاله : فيساكارما : وهو اله حاذق مرن في الاعمال . وهو الذى استخدم الشظايا التى تنتشر من أشعة الشمس ليصنع دائرة منها للاله فشنو ورمحاله ، وكذلك لصنع اسلحة أخرى للآلهة الأخرين . وحراسة الخزائن "(١)

٢- الاله : براجا باتى : وهو اله الذريات والانسان والكائنات كلها .. وقد تطور هذا الاله من إله الشمس كما وصفته بعض مصادر الديانه الوضعية بانه " نشأ كما تنشأ الجرثومه الذهبية . فلما ولد أصبح سيد هذا الكون . وهو الذى أبرز السماء والارض إلى الوجود . ومنح الحياة والقوة لجميع الآلهة .

وبهذا يكون هذا الاله خالق الكائنات والالهة والانسان . واعمال الانسان وصفاته والمبادئ والمثل . وقد خلق هذا الاله أول ما خلق الماء . ثم الشمس والكواكب والارض والحيوانات والانسان . وكثيرا من الالهة على هذا الترتيب . ثم قدم نفسه قربانا لأظهار هذا الكون وتحلل جسده وروحه في جميع الكائنات الالهية والحيوانات والانسان "(٢)

وفي تقديرى أن مؤلفى الاديان الوضعية يكونون واقعين تحت تأثير بيئاتهم التى نشأوا فيها . كما أنى أميل إلى أنهم مرضى بـ بنيهن إذ " تتميز البيئة التى ينشأ فيها المريض بأنها بيئة متزمتة .

يرتفع المستوى الاجتماعى فيها عن تلك التى تورد لنا أصحاب الانواع الأخرى من العصاب . حيث يسرف الابوان فى التمسك الجامد بالقيم والمعايير الخلقية

---

(١) د/ محمد اسماعيل الندوى - الهند القديمة حضارتها ودياناتها صـ٨٨ ط دار الكتب ١٩٧٠

(٢) د/ عباس محمود عوض - علم النفس العام صـ ٤١٣ دار المعرفة الجامعية بالاسكندرية ١٩٨٩

والاصرار الجامع على النظافة العامة والطاعة العمياء بضروب من السلوك الناهي عن الانحراف فيشعر دائما بالذنب وأنه في حاجة إلى التكفير وعقاب الذات (١).

وبغض النظر عن نوع الأديان التي قاموا بها من تعلو رية أو عقلية أو غيرهما لكن يكفينا أنهم في الغالب الأعم مرضى وسواس عصابي " لذلك تبدو عليهم مسحة من الهدوء والتسامح والخجل لكن داخله بركان من العناد المحتدم يتوق إلى التسلط والعدوان والسيطرة وتأكيد الذات " وهو المنهج الذي قام عليه أصحاب الأديان الوضعية . وأنّى لمريض أن يقدم عملا خاليا من النقص كله.(١)

بل أنهم في الغالب الأعم - مؤلفي الأديان الوضعية - عاشوا بين الناس دنياهم . ولمسوا فيهم مشاعر الحب والعداء . والكراهية والولاء . كما لمس الناس فيهم الضعف والذلة . ونوبات المرض التي كانت تصاحبهم حتى مماتهم فكيف يعجز صاحب الدين عن دفع الضر عن نفسه وهو في ذات الوقت يحاول صنع دين وضعي يقود اليه غيره .

<u>السمة الثانية</u> : أنها لا علاقة لها بالوحي :

الدين الألهي هو القائم على الوحي والموحى إليه . فالوحي هو الملك . والموحي هو رب العالمين والموحَى إليه هو النبي والقوم الذين أرسل إليهم من ثم فهي أمور

---

(١) المصدر نفسة ص١٣

(٢). كالحال مع بوذا وبراهما والقاديانى وغيرهم ممن حاولوا تنصيب أنفسهم على افكار غيرهم تحت اسم الدين

ضرورية فى الدين السماوى لأنه قائم على وحى الله تعالى للبشر من خلال رسل يختارهم الله سبحانه وتعالى والزاما يقف فيهم الرسل موقف الهادى الى النور، المنقذ من الضلال. أما الاديان الوضعية فهى بعيدة تماما عن الوحى أنها جملة من القواعد والقوانين والمبادئ التى وضعها البشر بأنفسهم كأنها عقد إجتماعى، أو تعاقد فكرى، لكنها هنا تقف باسم أمر غيبى لذلك فهم صاغوها واتفقوا عليها ثم بعد ذلك صدروها إلى غيرهم مصطلحين على التمسك بها والعمل بما فيها والتخلى عن كل ما يخالفها، إنها " تعاليم انسانية ناشئة عن تفكير الانسان نفسه (١).

إن الاديان الوضعية تفتقد الهوية التى تنسب إليها فمثلا الهندوسية كدين وضعى بلغ تاريخه ما يقرب من ثلاثة الف سنة، وربما أكثر من ذلك وتعتنقه اليوم مئات الملايين، فهو فضلا عن ذلك دين بلا عقيدة محددة، أو جماعة من الاتباع تختص به، أو هيئة مركزية ذات ترتيب هرمى " (٢) إنها مسألة شائكة ويصعب تقديم تعريف محدد عنه، ولو كان له وحى يعضده ما كان بهذه الاوصاف المفرقة فى التعمية.

وإذا فقدت خاصية الاتصال بالوحى فقد فقدت دعامة أساسية وعلاقة وطيدة بجانب أن الوحى فى حد ذاته معصوم، من ثم فالأديان الوضعية تفتقد تلك الخاصية التى تجعل أفكارها معصومة وهى خاصية الاتصال بالوحى.

---

(١) د/ عوض الله حجازى - مقارنة الاديان صـ١٩.

(٢) جفرى بارندر - المعتقدات الدينية لدى الشعوب صـ١٢٥ سلسلة عالم المعرفة ١٧٣.

بل أن من اليسير القول بأن الأديان الوضعية لا تمثل إلا نوعا من المذاهب الفكرية أو النظريات الفلسفية . ثم حاولت القفز على رقاب الناس باسم الدين بدل الفلسفة والغيب بدل العقل . لكنه على الرغم من وجود الفوارق البعيدة بين الفلسفات والمذاهب الفكرية فإنها مع الأديان الوضعية تتلاقى " عند الاهتمام المشترك بالحياة والوجود والتعليم والمعرفة " (١) ليس الا . أما الدين الإلهى فإنه يعرف بالله ويهتم بالكون ويخبر عن الحياة الآخرة لأن مصدره الوحى المعصوم وليس ذلك بحال للأديان الوضعية كالبرهمية فى الهند . والبوذية فى شرق آسيا وديانة قدماء المصريين . والديانة الفارسية وغيرها من الديانات الوضعية التى عرفت فى بلدان العالم المختلفة .

السمة الثالثة : تعدد الآلهة :

الدين السماوى يرشد الناس إلى إله واحد يخضع الجميع له بالعبادة والطاعة ويلوذ الناس إليه وحده فى حوائجهم ويهجعون إليه فى نوازلهم إنه الوحيد الذى يستطيع دفع الضر عنهم ومن ثم كان للإله فى الدين السماوى وصف محدد ووضع ثابت . فهو الواحد من كل وجه الكامل عن كل نقص المتفرد بكل ما يريد لا شريك له ولاند ولا شبيه .

أما الأديان الأرضية فإن الآلهة فيها تتعدد وخصائصها تتخالف . بل إن هذه الآلهة لكثرتها تراها متغايرة - بل ربما اشتعلت نيران الحرب بين تلك الالهة ولم تطفئها إلا لحظة ندم . أو دمعة باكية متى وضعت الحرب أوزارها وأرخت سدول السلم أستارها .

---

(١) جون كولر / الفكر الشرقى القديم / صـ ٢٣ سلسلة عالم المعرفة العدد ١٩٩

ثم إن التعدد فى الأديان الوضعية سمة مميزة لها . ذلك أن الإله عندهم يتطور بتطور أحواله . ولنضرب لذلك مثالا بالديانة اليونانية . فقد تعددت الآلهة فيها تعددا كبيرا . وصارت التجربة الدينية عند كل إله مختلفة فى تأثيرها عن الإله الآخر على وجه يصعب معه الجمع فيما بينها .

ومن ثم فهى ديانة أرضية ليس لها من إسم الدين إلا المشاركة فى اللفظ فقط مما ينبئ عن نوع من التعدد فى الآلهة سواء فى الكم أو الكيفية . فقد يُقَدَّس حجر أو شجر . وقد يقدس صنم . أو مدر . أو يقدس برق أو مطر . المهم أن المقدس عندهم متعدد وليس واحدا مما يجعلنا نؤكد أن الديانة الأرضية ديانة هزيلة فى المبنى والمعنى .

السمة الرابعة : التجسيد والتمثيل للآلهة .

الاله فى الدين السماوى منزه عن المكان والحلول . ومنزه عن مشابهة المخلوقات له . أو مشابهتها له . فهو واحد وهى متعددة . وهو متفرد وهى متشابهة . هو كامل وهى ناقصة . هو مستغن وهى محتاجة - ولذا فإن هذا الإله الأعظم منزه فى ذاته وصفاته وأفعاله وما يتعلق به على الوجه الذى نعلمه ومالانعلمه .

أما الأديان الوضعية فقد صارت فيها الآلهة اناسى كثيرين يأكلون ويشربون ويضربون ويغلبون . يصحون ويمرضون . إنهم يعبدون آلهة فيهم البشرية أو صورة للحيوانية . وربما كانت أحجارا تعبد أو أصناما تذل لها الجباه وتخضع أمامها الرؤس . بل ربما كانت الآلهة مخلوقات علوية وأجراما سماوية .

وقد أنبأ التاريخ حاضره وماضيه أن كثيرا من الناس عاشوا أسرى الأديان الوضعية وأسرى لها . فتنسموا من ضوء الشمس عبادة . ومن انعكاسات القمر

طاعة . ومن خوار العجل إلهاماً يسمعه ونجوى فؤاد يرقص لها وما ذلك إلا لأنها ظواهر مادية فيها الجسمية والمماثلة.

- كما أنبا التاريخ أن الأديان الوضعية جنبت أصحابها من لحاهم والرأس حتى قدموا للشمس والقمر والمطر والرعد والحجر والوثن قرابين وهدايا فلكم ذبحوا لها وقدموا باسمها وخضعوا لأوامرها ونواهيها حتى صارت تلك الأعمال أساطير موروثة تهتز حينا فتسقط من عليائها وتقوى حولها الترميمات فتثبت بعض الوقت فى مكانها ولو عاد إليها نقدها لا نكبت على وجهها.

كما حدث أن إهتزت الصورة الإلهية الموروثة عند اليونان وترنحت عقيدتهم الراسخة أمام النشاط العلمى الواسع فى البحث عن معنى العادات الدينية ومفهوم التصورات الميثاقيريقية"(١).

السمة الخامسة : سرعة التغير:

الدين الإلهى ثابت لأن مصدره الله - تعالى - والله كامل من كل وجه. فدينه كذلك . من ثم فإن العقيدة الإلهية هى التوحيد المطلق ولم يحدث عليها أى تغير بل ولم يدفع بها أى تطور. إنها عقيدة الوحدانية التى تستمد وجودها من الواحد الأعلى الأعز الأكرم سبحانه وتعالى.

أما الأديان الوضعية فهى كالجوارى الخفيفة على سطح مياه مضطربة بين عواصف وأنواء إختل فيها أمر القيادة وعجز القبطان عن توجيه نفسه إلى شاطئ السلامة . ومن هنا فإنه يضطرب وتتغير بسرعة قراراته ربما ابتلعه وفلكه ريح غاضب بين لجات موج عاتيه.

---

(١) د / محمد عبدالغنى شامة / بحوث فى علم الأديان المقارنه صـ٢٨ .

فالأديان الوضعية تغير في مبادئها بشكل مستمر حتى تلائم مقتضيات الجماعة التي تحاول قيادتها وقد تتراجع في بعض القرارات فمثلا: عبد المصريون القدماء آلهة كثيرين. فلما أرادوا أن يوفقوا بين تلك الآلهة اختاروا الشمس لتكون أمثلهم ثم وقعوا في أمر أوشك أن يقضي على عقيدتهم. إذ كيف تكون أما ولا ولد لها. إنها أم ناقصة. بل هي أقل الأمهات عن احتمال وصف الأمومة. من ثم اختاروا لها ابنا يرفع رايتها ويتكلم باسمها وتتوحد الآلهة تحت رايته باعتباره ابن الشمس وأطلقوا عليه "اخناتون" بينما وصفت أمه بأنها الاله "رع" وما درى هؤلاء القدماء أن الإله ثابت فما بال آلهتهم تتغيرت. إن التغير دليل النقص في المعلومات. ومن ثم فإن الآلهة التي ترتضع ألبانها في الأديان الوضعية ناقصة من كل ناحية ومتغيرة مما يدل على أنها أديان لعبت بها الأيادي وتلاعبت بها العقول وصاغتها عواطف هشة لا تصمد أمام نقد أو تثبت في مواجهة حوار طويل.

خذ مثلا: الثنوية القائلين بالنور والظلمة. والمانوية القائلين بأن العالم مركب من شيئين هما: نور وظلمة (١). ثم أضف إليها المزدكية الذين يقولون أن النور يفعل على القصد والظلمة تفعل بالخبط فماذا ترى؟

حتما ستدرك أن الثنوية تعدد الإله. فإله النور وآخر للظلمة. بينما المانوية حديثها منصب على تركيبة العالم وليس على صانعه ويلتقي رأيا أن النور لم يزل فوق الظلمة وهي تحته على الإستواء بينما قول المزدكية في كونين مختلفين

---

(١) القاضي عبد الجبار / أبي الحسن عبد الجبار الأسد أبادي. المغني في أبواب التوحيد والعدل. ج. الفرق غير الإسلامية ص-١٠. الدار المصرية للتأليف والترجمة.

أحدهما كون صنع من مادة النور التى تفعل معه بالقصد . والثانى صنع من مادة الظلمة التى تفعل بالجبر والإكراه لا شك انك وجدت ألفاظا مترادفه . ومعانيها متخالفة . من ثم فإن الأديان الوضعية تتغير ولا ثبات فيها لافى أفكارها ولافى عقائدها وسلوكياتها .

السمة السادسة : سماع صوت العقل .

العقل وحده لا يتمكن من خوض غمار الزمان حتى يبتزه فيلقى إليه بما فى جعبته وهو الغيب الماضى . كما لا يجد العقل وسيلة لاختراق حجب الزمان المقبل حتى يبيح له عن أسرار يخبئها أو غيب يخصه وهو غيب الزمان المستقبل . بل أن العقل وحده عاجز عن إدراك كافة الحقائق الدينية وحده . ومن ثم فالدين الإلهى جعل الوحى عاصما للعقل من الضلال وكاشفا له . وهو بهذا قد قيم العقل وجعل له حدودا يحترم عندها وحواجز يقف أمامها .

أما الأديان الوضعية فقد تنادت بالعقل واعتبرته ربان السفينة رغم أن عقول البشر قاصرة وغير معصومة من الخطأ ولا يمكنها الخوض فى غير مجالات الحس وامكانيات العقل التى يرى له فيها ابداعا وقدرة على صياغة قوانين وقرارات تصدقها التجربة أن العقل ميدانه الطبيعة وحدها . أما ما وراءها فتلك غيبيات لم يضع الخالق الكريم فى العقل امكانيات لفهمها أو التعرف عليها .

ونظرا لذلك فقد وقعت الأديان الوضعية وقعات لم يقدر لها فيها النجاح وسقطت فى عثرات لم تقم لها بعدها قائمة . أن الأديان الوضعية فى اصغائها للعقل قد خسرت العقل نفسه لأنها اعتمدت عليه وحده : اليس العقل هو نفسه الذى يقرر امكانية عدم التعقل ؟

اليس العقل نفسه هو الذى يفترض إنه لا عقل ؟ بل ويفترض الغاء العقول جميعا.

اليس العقل هو الذى جار بأصحابه وغلبهم حينما احتموا به واستمعوا لصوته فإغرقهم فى وحل طينه ؟ حتى رؤسهم.

إن الأديان الوضعية فى سماعها لصوت العقل وحده إنما تهدر قدرات أخرى وتستهلك طاقات لم تعرها انتباها. إنها لم تجعل الالهام الداخلى أمرا ذا قيمة بل ألقت به خارج نطاقها مع أن الوجدان هو الذى يلهم العقل اسمى المعانى وأنبل العواطف وأفضل الغايات. ولو أحسن القوم صنعا لا ستمعوا إلى صوت الضمير الذى ينادى بأعلى صوته بأن لاإله الا الله. ولو اصغوا إلى الشعور الداخلى بأن هناك رقابة إلهية تعلو فوق طاقات العقل وأمورا غيبية لا تحملها أدلة مادية ولا يمكن للعقل أن يخوض غمارها وإنما مردها إلى عالم الغيب والشهادة الذى أوحى بدينه الإلهى وجعل العقل فيه حاميا له وحارسا لا مرشدا وهاديا لصاحبوا بأن لا اله الا الله. ولادين الا دين الله الذى جاءت به رسل الله. وخاتمهم سيدنا محمد بن عبدالله ﷺ.

حيث جعل الإرشاد والتوجيه من خصوصيات الوحى. وأحاط تلك الإرشاد وهذا التوجيه بضرورة الابلاغ والانذار مع الترهيب والترغيب. حتى كشف الوحى أمورا كانت قبل عصية.

السمة السابعة: النقصان:

الدين السماوى تام كامل. لأن الذى أنزله تام كامل. وأراد له التمام والكمال أما الاديان الارضية فعليها النقص من جميع الجهات يكفى أن مؤلفيها قد بلغ بهم النقص مداه. والمعروف أن الانسان مهما علا قدره وقويت مداركه لا يمكنه

الوفاء والاحاطة التامة بما يحفظ للبشر حياتهم ويلبى لهم متطلباتهم فضلا عن أن تكون تلك الحاجات على وجه التمام وأن تكون تلك المتطلبات متجددة على سبيل الدوام .

وكم رأينا وسمعنا أفكارا دونها أصحابها فى لحظة من الكمال الذى زعموه أو التعقل الذى اصطفوه ثم أعادوا النظر فيها كرانا بالذى اعتبر متكاملا يحيط به النقص من كل جانب بل هو النقص نفسه . حتى تمنوا اصلاحه واعادة النظر فيه بالشكل الذى يكون عندهم مقبولا . وليس الحال كذلك مع الدين السماوى .

إن الدين الإسلامى ليس من وضع البشر . وبالتالى فالكمال يصاحبه . إنه من كل ناحية تام . فهو يفى بكافة الحاجات . وكل المتطلبات الحاضرة والمستقبلية إن الذى شرعه هو الذى يعلم السر وأخفى . والذى أحاط بكل شئ علما . وهو رب العالمين .

بيد أن النقص فى الاديان الوضعية كما يأتى من ناحية مبادئها وتشريعاتها فإنه يأتى كذلك من ناحية ثوابها وعقابها . فالدين الوضعى لا تبدو فيه مسألة الثواب أو العقاب لأن الإله . أو الآلهة التى يعبدها يحدث لها تغير وتطور . " من جيل إلى جيل ومن قبيلة إلى قبيلة " (١)

ومثل هذا الإله غير منزه عن النقائص . بل أن هؤلاء الآلهة قد أحاطت بهم مناقصهم من كل حدب وصوب . فكيف يتأتى لهم أن يحاسبوا الناس على أعمالهم بالخير خيرا والشر شرا ؟

---

(١) د / عوض الله حجازى . مقارنة الأديان صـ٢١ .

إنهم يفتقدون هذه الخاصية ، فكيف يفرضونها على غيرهم ؟ ولذا فإن الأديان الوضعية في مسألة الثواب والعقاب . لا تقدم مضامين محددة . ولا قيما يمكن إعتبارها قواعد ثابتة بقدر ما تقدم أطروحات عقلية يجب طرحها في وجوه أصحابها وليس ذلك إلا شأن الأديان الوضعية وحدها التي تعتمد على العقل ونزواته .

على أن هناك سمات أخرى يمكن اضافتها إلى ما سلف ولكن خشية الإطالة التي تعوق عن الإسترسال في شرح هذه السمات وبيان بعضها وعلاقته بالبعض الآخر .

والمؤكد أنه ما دام كل من الدين الإلهى والعلم الصحيح قد جاء من عند الله فلا شك أنهما معاً يكونان قد رضى الله عنهما، غير أن بعض الناس طفقوا يأخذون قضاياهم الفكرية بعيداً عن قواعدهم الدينية بل لجأ الكثيرون منهم إلى استعمال طرائق عقلية غير مقيدة بنصوص دينية، حتى ان الكثيرين منهم أخذوا يتباعدون عن الدين ويتمسكون بالعلم مع أنهم من الباكين عليهما معاً، أو المتباكين عليهما معاً.

فلما ظهر لهذا الفريق بعض الأتباع لجأ كل إلى ممارسة رغباته باسم الدين أو باسم العلم فظهر الدين والعلم كأنهما عدوان بعد أن كانا صديقين، ومن هنا ظهرت اتجاهات ثلاثة :

- الاتجاه الأول : القائلون بعداوة الدين للعلم.
- الاتجاه الثانى : القائلون بعداوة العلم للدين.
- الاتجاه الثالث : القائلون بتوافق الدين والعلم.

الاتجاه الأول : القائلون برفض العلم :

لم يكن لهذا الاتجاه وجود منظم فى القرون التى خلت، فلما بدأ تدوين النصوص الدينية وحدث لها اختلاط بين كتاب هذه النصوص وبين المثقفين من غيرهم بدأت الاضطرابات تظهر بينهم، كما أخذت أوجه الاختلاف تتنامى وظل ذلك الحال حتى ظهرت آثاره فى مصر الفرعونية إبان حكم الأسر، حيث كان الكهنة والذين يقيمون بالمعابد لهم اليد الطولى على غيرهم، وهم الأقدر على إلصاق الاتهامات المتعددة لهم، وظل ذلك الحال يتنامى حتى كان أصحاب الاتجاهات العقلية يتوارون بها من أمام أنظار الكهنة ورجال الدين[1].

بل ان الكهنة فى بعض الأحيان كانت لهم الغلبة على حاشية الفرعون، وبخاصة إذا كان هذا الفرعون صغير السن ولى العرش بعد وفاة أبيه، فكانوا

---

١) الدكتورة / سميحة محمود نصر : مصر القديمة ودور الكهنة، ص٧٣، ط أولى ١٩٦٤م.

يقومون معه بدور الوالى والراعى، فكبرت مهامهم، وتكاثرت أعمالهم، كما ازدادت شوكتهم[١].

لم يكن حال بلاد الرافدين إلا صورة مما هو قائم لدى المصريين من جعل رجال الدين أصحاب المقام العالى، ثم يجيء من بعدهم حتى يكونوا خدماً لهم[٢].

فى نفس الوقت كان الكهنة فى بلاد فارس وعند الكلت الأقدمين بجانب الآشوريين والكنعانيين ينظرون إلى رجال العلم المدنى نظرة فيها الكثير من الإزدراء وكثيراً ما صرحوا بأن ما يمارسه هؤلاء العلماء يغضب الآلهة، ولذلك كان دور العلماء محصوراً فى أعمال البناء وحفر الترع والإشراف على هذه وتلك بجانب ممارسة ما يسمح به هؤلاء الكهنة.

غير أن اليهودية هى الأخرى قد أخذت بذات الاتجاه وبخاصة بعد انتقال سيدنا موسى عليه السلام وظهور اليهودية السياسية حيث وقف القراؤون وورثت التعاليم موقفاً من العلماء وصرحوا بأن العلم هو العدو الأول للدين، وكم ذاق العلماء من الويلات على أيدى هؤلاء الكهنة وطائفة الأحبار بجانب ورثة التعاليم[٣].

أما فى المسيحية فقد وقف آباء الكنيسة موقفاً غريباً لأنهم تارة يعلنون عن العلم ورغبتهم فيه وسعيهم إليه، وتارة يرفضون العلم ويسعون للقضاء على العلماء، وقد استمر ذلك الحال مصاحباً لهم حتى القرن الرابع الميلادى، فإذا بالوضع يزداد سوءاً وتظهر الأعمال العدوانية على أهل العلم وهو ما عرف باسم العصور الوسطى، وقد استمرت هذه العصور قرابة ثمانية قرون كان آباء الكنيسة

---

١) أنتونى هاف : مصر القديمة، ص٤٣، ترجمة رشدى محمد عبد المحسن، ط أولى، ١٩١٧م، الموصل.

٢) سيرغى توكاريف : الأديان فى تاريخ شعوب العالم، ص٣٧١، ترجمة مهندس / محمد فاضل، ط الأهالى بسوريا، ١٩٩٨م.

٣) د. محمد حسينى موسى محمد الغزالى : أثر الوثنية فى اليهودية، ص٢١٧-٢١٨.

يعلنون أن الدين والعلم عدوان، ولا يمكن أن يتلاقيا وأعلنوا ضرورة فصل الدين عن الدنيا، وأكدوا على أن نقطة التلاقى بينهما مستحيلة وصدرت عنهم العبارات الكثيرة التى تؤكد عداوة الدين للعلم وكم حكموا على العلماء بالقتل والاضطهاد تحت اسم الهرطقة، يقول الدكتور / الطويل : وكان القديس أوغسطين هو الذى دعا إلى ذلك وباشره كصورة من صور الاضطهاد للعلماء وبخاصة أن هذا الرجل كان من أوسع آباء الكنيسة نفوذاً، فمضت الكنيسة من خلاله تعمل على القضاء على العلم وصوره، وكان لهذا أثره البالغ فى عرقلة النظر العقلى ووقف التقدم العلمى[١].

وقد اتخذ رجال اللاهوت خطوات عديدة أثناء محاربتهم للعلم من هذه الخطوات ما يلى :

- الخطوة الأولى : اتهام العلماء بالكفر والهرطقة.
- الخطوة الثانية : رميهم بالجهل.
- الخطوة الثالثة : حرمانهم من تولى الوظائف القيادية على أية ناحية.
- الخطوة الرابعة : فرض القرارات الدينية بقوة القانون وتحويل تعاليم الدين المسيحى إلى سياط فى أيدى قرارات البابوات والمجامع تعطى للشمامسة والقمامصة بجانب القسس والكرادلة حتى يلهبوا بها ظهور العلماء، يقول برونوفسكى : كان رجال الدين المسيحى يستخدمون كافة الوسائل لاضطهاد العلماء، وكانت أعمالهم هى أخلاقيات الدولة البوليسية[٢].

من ثم مكثت أوربا قرابة ثمانية قرون ابتداءً من الخامس إلى الثالث عشر وهى تعيش مرغمة تحت اضطهادات رجال الكنيسة ومحاربة العلم عدواً للدين،

---

١) الدكتور / توفيق الطويل : قصة الصراع بين الدين والفلسفة، ص١٠، طبعة دار النهضة العربية، ص٧٩.

٢) جاكوب برونوفسكى : التطور الحضارى للإنسان / ارتقاء الإنسان، ص١١٩، ترجمة الدكتور / أحمد مستجير، ١٩٨٧م.

ولما كان الدين من عند الله، والعلم من عند البشر، فقد وجب القضاء على العلم واضطهاد العلماء، وقد تمادوا فى ذلك حتى كانوا يحرقون العلماء بعد أن تطلى أجسادهم بالقار، وكان أسعد أوقات هؤلاء القتلة حينما يرون عالماً يجلد أو يقتل وتشعل فيه النار.

يقول نيتشه : انظروا إلى تصرفات آباء الكنيسة، لقد أصابونى بخيبة أمل حتى أننى استطيع القول بأن الإله قد مات فى المسيحية، ثم قال : انظروا إلى المساكن التى بناها هؤلاء الكهنة وسموها كنائس، وما هى إلا كهوف تنبعث منها روائح التعفن، لقد أراد هؤلاء الكهنة أن يعيشوا كأشلاء الموتى فسربلوا جثثهم بالسواد حتى إذا ألقوا مواعظهم انتشرت منها رائحة اللحود، ومن يجاوز هؤلاء من رجال الكنيسة فإنما هو ساكن على ضفاف الأنهار السوداء، حيث لا يسمع إلا نقيق الضفادع الحزين[١].

ومن العجب أن الكنيسة قد غالت فى عداوتها للعلم باسم الدين ففرضت الرقابة السياسية والروحية على القلوب والنفوس والعقول، كما فرضت الرقابة على المطبوعات والنقل والنسخ والترجمة والمراجعة، وأخيراً فرضت عقوبات متنوعة على كل من يلجأ إلى العلم وأنشأت شبكات لمطاردة هؤلاء العلماء وتصفيتهم، كما غالت فى العقوبات ونوعت بحيث لم يعد التهديد أو الجلد هما الوسيلة فقط، وإنما استحدثوا طرائق أخرى تدل على تمتعهم بتعذيب العلماء حتى راحت أوربا فى سبات عميق من الجهل المظلم والحمق المدمر[٢].

الاتجاه الثانى : القائلون بعداوة العلم للدين :

عانى الإنسان قديماً من اضطهاد السلطات المختلفة له، تارة باسم الدين، وثانية باسم العلم، وقد تجيء ثالثة باسم الأمن وحرمة الوطن إلى غير ذلك من الأسباب التى يقوم بها أصحاب السوط حينما يريدون القضاء على أصحاب العقل والصوت.

---

١) نيتشة : هكذا تكلم زرادشت، ص١١٤، ترجمة فيلكس فارس.

٢) لمزيد من التفاصيل راجع كتابنا : قضايا حييسة فى الفلسفة الحديثة، من ص٢٩-٥٦.

وقد أثبتت حوادث الأيام وقصصها أن الذى يلجأ للاضطهاد ويقف عن الحوار يكون دائماً هو العاجز، ويريد الغلبة وتكميم الأفواه، وتخريب الضمائر من خلال القوة التى يملكها، ولم يعرف الاضطهاد العلمى أو الدينى إلا عندما تسقط المعايير الصحيحة، ويتحول الإنسان إلى آلة يريد إرغام الآخرين إلى ما يريد، وهنا تكون الكوارث[١].

والذى يطالع الأحداث فى أوربا يرى الكنيسة قد وقفت فى مواجهة العلماء باسم الدين وسعت للقضاء عليهم بكل حيلة، فكان الرد الطبيعى من العلماء هو رفض الدين الكنسى الذى يطالب الناس بإلغاء عقولهم وقتل ملكاتهم والاستغراق فى الجهل، ومن هنا ظهر فى أوربا ابان مطالع عصر النهضة جيل من العلماء استغلوا وجود شروخ فى العلاقة بين الكنيسة والسلطة السياسية فانضموا إلى السلطة السياسية حيث رأوا فيها المعين لهم حتى يكونوا فى مواجهة الكنيسة، رغم أنهم لم يعلنوا رفضهم للكنيسة، وإنما أعلنوا رفضهم لما يقوم به آباء الكنيسة[٢].

وكان فرنسيس بيكون، وتوماس هوبنز، بجانب ولنجتون، وبودان، وهارنجتون، وغيرهم ممن التزموا التيار العقلانى وعملوا فى إطار سلطة تقليدية ومهدوا السبيل لسياسة التنوير التى ظهرت فى أوربا حتى تكون فى مواجهة الكنيسة، ومن هنا صار العلم والدين فى المعركة وجهاً لوجه[٣].

أجل : جاء موقف هؤلاء تحيزاً سافراً للعلم على حساب الدين حتى صرحوا بأن تعاليم الدين كأقراص الدواء المر، وظل كانت الألمانى يردد هذه

---

١) د. محمد حسينى موسى الغزالى : الفكر السياسى بين الغزالى والأنظمة الحديثة، جـ٢، ص١٢٧-١٢٨.

٢) لقد كان هؤلاء يقومون بدور الأراجوز الذى يلعب على الحبال التى تبلغ به غايته، ولما كانت السلطة السياسية هى الأقدر على حمايتهم فقد نادوا بأن الملك ظل فى الأرض، ومن هنا نشأت فكرة تثبيت الملكية الثيوقراطية - الإلهية - د. محمد حسينى موسى الغزالى : الفكر الفلسفى بين الغزالى والأنظمة الحديثة، جـ١، ص٢٣٥-٢٣٦

٣) كرين برنتون : تشكيل العقل الحديث، ص٩٦، ترجمة : شوقى جلال، الهيئة المصرية، ٢٠٠٢م.

المقولة وهى ذات دلالة على الرفض التام لدين الكنيسة، بل ان فرنسيس بيكون[١]، راح يهاجم الدين من خلال حركة عاقلة أطلق عليها اسم : الأوهام الأربعة، أو الأوثان الأربعة، يقول بيكون : انها الأوثان التى تعشش فى عقول البشر فتقضى على كل بادرة علم، وهذه الأوثان الأربعة يمكن تصنيفها فى :

١- أوثان القبيلة : وهى الأخطاء النابعة من الطبيعة البشرية ذاتها وبالتالى فمصدرها هو جهاز الحس وعقولنا أيضاً التى امتلأت بأفكار غير صحيحة.

٢- أوهام الكهف : وهى الأخطاء التى تصوغها وتفرزها شخصيتنا، وهى الكهف الصغير الذى جوفناه لأنفسنا فى هذا العالم القاسى.

٣- أوثان السوق : وهى عمليات التشوش والهلوسة التى تحدثها الدعاية الكاذبة والإعلان الفاسد، وعمليات الاستشارة المتبادلة بين الناس، ويقع التأثير بها من خلال الحشد البشرى أو أى تعامل اجتماعى يكون قائماً على أسس خاطئة.

٤- أوثان المسرح : وهى التى تمثل جملة من الأخطاء تتراكم حين يحاول الإنسان اصطناع تأويلات نسقية للكون[٢].

من المؤكد أن مواقف رجال الكنيسة من العلم قد دفعت العلماء لاتخاذ مواقف متباينة، والقيام بحركات مضادة لاتجاه الكنيسة، وقد ساعد على ذلك ما يلى:

---

١) وهو غير روجر بيكون الذى ظهر مع مطالع القرن الثالث عشر، وكان أولى العلامات المتميزة فى البناء المعرفى على الناحية التجريبية.

٢) كرين برنتون : تشكيل العقل الحديث، ص١٠٣-١٠٤، وهذه الأوثان الأربعة تسمى فى الترجمات العربية باسم الأوهام الأربعة، وتمثل الجانب السلبى من الحركة الفلسفية عند فرنسيس بيكون.

أ – ظهور الحركة البروتستانية[١] :

ظهرت جملة من التحولات فى الممارسات المسيحية، وكان على قمة هذه الممارسات ظهور الحركة البروتستانية التى كان لها النصيب الكامل من البطولة الإنسانية والصراع ضد التحجر الكنسى، ورفض فكرة سيطرة الدين المسيحى على مقدرات الأمور أو بعبارة أخرى، لقد رفض البروتستانت الدين المسيحى الكهنى، وتمسكوا بالمسيحية النصية، وقد لاقى هذا الاتجاه معارضة تامة من الأرثوذكس والكاثوليك والعقول، ومن هنا ظهرت العشرات من الجماعات والطوائف الصغرى تحت اسم الحركة البروتستانية، وهنا صار الطريق ممهداً لنزعة الشك الدينية، لأن العقل حينئذ صار نزاعاً إلى الشك فى المعتقدات المتناقضه والمتعارضة التى تتبناها الكنيسة المسيحية[٢].

ب- ظهور الحركة الإنسانية :

وأعنى بها تلك التى تطالب بتطبيق الجانب التحررى الغامض على الحياة الدنيوية بمعنى أنه ما دام العقل قد شك فى الدين المسيحى، فإن المعيار الثابت فى الماضى قد انهار من الناحية الدينية، لكن العرف العام الذى قام على الدين انهار إنما هو الأخر يحتاج إلى هزة عنيفة تسقطه من قمته إلى قاعدته، ولا يقوم بذلك إلا لناس أنفسهم، وقد أثارت الحركة الإنسانية الشكوك فى العرف القائم على الدين المسيحى، وكانت هذه الحركة يتمثل فيها الفنانون والباحثون والعلماء الذين صاروا قوة كبيرة لم يعد لديها ما تخفيه، ومن هنا أعلنوا أن الدين الكهنوتى عدو للعلم، ويجب القضاء على هذا الدين ليظل العلم مرفوع الرأس.

---

١) وهى : احدى الطوائف المسيحية التى ظهرت أخيراً لتعبر عن الرفض التام لسلوكيات أباء الكنيسة لكن تحت اسم دينى.

٢) جورج أندرسون : الخطيئة الأولى الأزلية، ص٨١، ترجمة : محسن نور، طبعة كركوك، ١٩٨٧م.

وقد طعن هؤلاء الدين المسيحي طعنات قاتلة فأعلنوا عدم صحة النصوص الدينية وكشفوا سوءات رجال اللاهوت، كما فضحوا الممارسات التي تتم باسم الدين المسيحي في كل مكان من أوربا[1].

وظلوا على ذلك في تكاثر مستمر، وقد انضم إليهم المغامرون والمسرفون في شهواتهم والمثيرون للشغب، بجانب جماعات الرومانسيين، ومن ثم انتهت الصورة الجميلة الساحرة التي حاول آباء الكنيسة إدخالها إلى عقول الناس أو إلى قلوبهم في وقت من الأوقات. يقول برنتون : لقد تمرد الإنسانيون ضد السلطة الدينية، وضد عبء التقليد الأعمى، ويبدوا أنهم على الأقل قد اعتقدوا إمكانية أن يضع الناس معاييرهم لأنفسهم دون حاجة إلى آباء الكنيسة. ومن هنا أعلنوا أن الدين عدو العلم، ويجب القضاء على الدين الكهنوتي حتى يبقى العلم الإنساني[2].

لقد كان هؤلاء المغامرون بمثابة الصيحة القوية التي أحدثت دوياً هائلاً وزلزالاً مدمراً أتى على العصور الوسطى فاجتاحها من أساسها وأسقط الكنيسة وسلطتها فوق رؤوس القائمين عليها الذين يتحدثون باسمها، وقد أكد هؤلاء الجدد رفضهم التام لأية تعليمات دينية يكون مصدرها الكنيسة أو آباء اللاهوت، وكثيراً ما صرحوا بأن السلطة الدينية التي تمارس الاعتقادات المسيحية يجب إبعادها عن الوجود أو على الأقل أن تحبس الأفكار الدينية في رؤوس هؤلاء الناس داخل الأديرة والكنائس، ولا تظهر صور منها للرأي العام، لأنها ضارة جداً به.

<u>جـ- ظهور الحركة العقلانية :</u>

وهي التي جاءت بعد البروتستانت والحركة الإنسانية، ويقصد بالحركة العقلانية هنا المجهود الذي قام به هؤلاء في الإطاحة بجانب كبير من المسيحية الكاثوليكية التقليدية، وهذا الاتجاه العقلاني لم يقنع بإسقاط الدين الكنسي فقط وإنما كان مستعداً ليضع الإنسان نفسه برمته داخل إطار الطبيعة أو الكون المادي، بل

---

١) دالنجتون : أوربا في العصور الوسطى، ص١٠١، ترجمة : صابر حسن، جـ١، ١٩٩٣م.

٢) كرين برنتون : تشكيل العقل الحديث، ص١٠٩-١١٠.

تمادى أصحاب هذا الاتجاه حين رأوا ضرورة استغناء الإنسان عن الدين حتى قالوا : ان على الإنسان أن يهدى نفسه وفق معايير تتعلق بالصواب أو الخطأ دون حاجة إلى دين مسيحى[١].

وكذا ظهرت نزعة باسم العلم تطالب إما بالقضاء التام على الدين المسيحي أو جعله منحصراً فى رؤوس رجاله داخل أطر كنسية لا تبرحها، وقد تأكد لهم قدرتهم على القيام بما يريدون، وتهديد الآخرين بأنهم سيكونون ضحايا بلا ديات ان هم وقفوا فى طريق هذا السيل الجارف الذى يقوم به هؤلاء الذين أطلقوا على أنفسهم اسم : جماعات التنوير، أو حركة التنوير فى أوربا.

و يبدو لى أن كلاً من الاتجاهين كان يقاوم الآخر، ويعمل على أن يصرعه، ويسعى لتشويه صورته أمام أتباعه، وكل منهما استخدم الأسلحة التى رآها تحقق له الانتصار فى المعركة، وان هذه المعارك قد انتهت بانتصار العلم على رجال الدين الكنسى، بدليل : أننا اليوم نرى رجال اللاهوت يملكون أن يقولوا تعاليم الدين داخل مواعظهم وكنائسهم دون أن تكون لهم أية سلطة على أية صورة، بينما يظهر رجال العلم فى الصفوف المتقدمة داخل أوربا مع العلم بأنهم طالبوا بفصل الدين عن الدولة، وقد نجحوا في ذلك جداً، لأن الدين المسيحى الذى يقوم على خدمة آباء الكنيسة غير منطقى فى عقائده ويعجز رجاله عن التدليل على صدقها، كما أن السلوكيات التى تمارس لا تمس القلب أو العقل كما لا ترضى غرور الضمير، ولا تشبع الحاجات الضرورية للوجدان.

الاتجاه الثالث : أصحاب التوفيق بين الدين والعلم :

من المؤكد أن أوربا لم تقف فريقين فقط، وإنما ظهرت فرق أخرى برزت تأثيراتها على الساحة السياسية، وكانت لها إطلالات على الجوانب العلمية والدينية والاقتصادية، غير أن هناك تجمعاً تمثل فى كانت ومن معه، كما ظهر فيهم ديكارت ومن جاراه، وكانت اتجاهات هذا الفريق تقوم على :-

---

١) سبينوزا : رحلتى من العلم إلى العلم، ص٥٣، ترجمة : راشد جدى.

أ – ضرورة التمسك بالنصوص الإنجيلية مع عدم اعتبار ما يقوله الآباء مقدساً :

وهنا يكونون قد فصلوا بين النصوص الإنجيلية وبين فكر آباء للاهوت فى ذات الأناجيل واعتبار الجميع غير مقدس[١].

دليل ذلك : ما اعترفت به كنيسة قصر الدوبارة البرتستانتية حين قالت : ان هذه الأناجيل وأقدمهم انجيل مارقص لم يكتبها المسيح ولا واحد من تلاميذه، ولا أملاها، وإنما كتبت بعده بمائة عام على أنها سيرة لحياة المسيح وآثاره[٢].

كما وقف هذا الاتجاه لتقريب قضايا العلم التجريبى والنظر إليها على أنها احتمالية وان ناقضت النصوص الإنجيلية فيؤخذ بها لصحتها، وإمكانية التأكد من تلك عن طريق التجربة المستمرة[٣].

لقد كان هؤلاء التوفيقيون يسعون إلى رأب الصدع ولكن رجال الدين اللاهوتى لم يرضهم هذا المجهود واستشعروا العجز عن مواجهة خصومهم الأقوياء، فلاذوا إلى الحرب عن طرق تقليدية تقوم على تكفير المخالف واستعملوا معهم البارات ذات الصبغة الانتقامية التى تحمل العنف الأدبى أيضاً.

بدليل أنهم أطلقوا على أصحاب التنوير اسم : أصحاب النقد العصرى[٤]، وأطلقوا عليهم أيضاً : أصحاب المدارس الشكية[٥]، بجانب الهراطقة المحدثون[٦].

وفى نفس الوقت ظهر المتشددون الذين ركبوا متن العلم فأطلقوا على رجال اللاهوت أسماء وألقاب تحمل القدح والذم من باب مقابلة السيئة بمثلها، فأطلقوا عليهم أسماء منها :

---

١) د. محمد حسنى موسى الغزالى : وميض النصرانية بين غيوم المسيحية، حيث عرض لذلك، وبين الوجوه التى يجىء عليها.

٢) كنيسة قصر الدوبارة، سيرة المسيح، ص١٤، ط ١٩٨١م.

٣) أندرسون وارسون : عصر النهضة الحديثة، ص١٠١، ترجمة : عمر راشد.

٤) إلياس مقار : قضايا المسيحية، ص٨١، ط أولى، ١٩٨٥.

٥) ، القس / صموئيل مشرقى : من قضايا العقيدة، جـ١، التوحيد والثالوث، ص٢٣، ط أولى، ١٩٨٣.

٦) القس / جيد عبد النور : كنيستى، ص٩، ١٩٨٤م.

١- الكنيسة المتحجرة،

٢- وأصحاب اللاهوت الجامد،

٣- والآباء الشطرنج.

وغير هذه من الأسماء التى تقع فيها عمليات القدح المتواصل[١].

ب – النظر إلى أن قضايا العلم احتمالية :

إذا المعروف أن قضايا العلم ليست يقينية يقيناً مطلقاً باستثناء العلوم الرياضية البرهانية، وما دامت قضايا العلم ليست برهانية، فإن التمسك بها إلى حد تقديسها يقضى إلى الفناء على أساس أنها لو كانت مقدسة فإنه لا يجوز نقدها، وحينئذ تتأخر الحركة العقلية ولا تتقدم لأن هذه النصوص العلمية إنما هى ناتج عقول بشرية، ولذا فالتمسك بها يجب أن يكون فى الحدود المسموح بها بحيث لا تغلب صاحبها وتخرج عن الإطار المرسوم لها من نظرية معرفية إلى عقيدة دينية[٢]، وفى هذا تجاوز لكل ما هو مقرر فى قضايا العلم الاحتمالى.

جـ- وجود نقطة يقع عندها التلاقى :

وهى نقطة تنازل كل من الطرفين عن يقينية قضاياه، واعتبار ما وصل إليه من قبيل العلم الذى بلغ مع الإنسان مبلغ القبول، ولكن التمسك به يجب ألا يزيد عن تلك الحدود.

---

١) القس / جيد عبد النور، كنيستى، ص٩، ١٩٨٤م.

٢) وقد وقع آباء الكنيسة فى ذلك حينما اعتبروا الأفكار الواردة عن أرسطو اليونانى قضايا دينية بمجرد أن اعتنقها بعض آباء اللاهوت، راجع كتابنا : خواطر جيشة فى الفلسفة الحديثة، ص١٧-١٨، ط٢.

موقفنا من المسألة :

الباحث المنصف يجب أن يتحرى الحقيقة ويطلبها أينما كانت، فإذا كان هذا الباحث مسلما، صار الوجوب عليه شرعيا لقوله تعالى : ﴿ إِنَّ اللَّهَ يَأْمُرُكُمْ أَن تُؤَدُّوا الأَمَانَاتِ إِلَى أَهْلِهَا وَإِذَا حَكَمْتُم بَيْنَ النَّاسِ أَن تَحْكُمُوا بِالْعَدْلِ إِنَّ اللَّهَ نِعِمَّا يَعِظُكُم بِهِ إِنَّ اللَّهَ كَانَ سَمِيعاً بَصِيراً﴾[١].

وحيث عرضت المسألة فقد وجب إبداء الرأى، وسنعمل قدر الطاقة حتى تعود الحقوق إلى أصحابها، فإذا تبين لنا وجود متعسف رددناه، وإذا ظهر خارج على القاعدة العامة أوقفناه، وإذا بان لنا مظلوم معينه لرد الحق له، ومن ثم فإننا سننظر إلى موقف الطرفين المتباعدين ونعرج على مرحلة الوسط التوفيقية طبقا لما يلى :

١- أن الدين الإلهى الصحيح فى مصادره ونصوصه المنزل من الله عز وجل، لا يعارض ناتج العقل الصحيح القائم على أصول شرعية وكان لأهل الإسلام فى ذلك جهود كثيرة، وما تزال جهودهم متواصلة، بل ان بعضهم قد ألف فى هذا الجانب رسائل بذاتها، كالحال مع ابن تيمية وكتابه درء تعارض العقل والنقل[٢].

ومن قبل فعل الفخر الرازى فى أسرار التنزيل وأنوار التأويل، والمطالب العالية، وغيرها، وبالتالى فإن أهل الإسلام تجد لهم جهوداً فى هذا المجال طبقاً للنصوص التى جاءت فى الدين الإسلامى الحنيف.

٢- ان الدين الذى تمسك به آباء اللاهوت ليس هو دين الله، وبالتالى فهو دين صنعوه بأنفسهم وأقاموا بعضاً منهم حراساً على ما صنعوا، فالدين هنا

---

١) سورة النساء، الآية ٥٨.

٢) ويكتب أحيانا باسم : موافقة صحيح المنقول لصريح المعقول فهما عنوانان لكتاب واحد، أحدهما أصلى والثانى فرعى.

ليس بمعنى الاعتقاد الصحيح وإنما بمعنى : ما فرض من قبل شخص قوى على آخر ضعيف فرضاً لا يستطيع جحده، ولا يتمكن من إنكاره[١].

وحينئذ متى وجد الفرصة للثورة ثار، ومتى وجد رغبة فى التخلص منه صنعها لا لأنه دين من قبل الله جاء وإنما لأنه أفكار صنعها غيره وضغط عليه ليقوم باعتقادها رغماً عنه، وكأنى به قد عناه القائل :

والنفس ان صلحت زكت واذ خلت ... من فطنة لعبت بها الأهواء

لولا النميمة لم يقع بين إمرء ... وأخيه من بعد الوداد عداء

ورجال الكنيسة طفقوا يقتلونهم ... ويأخذون الصديق فصاروا ألداء

هم ما سعوا إلا لعبادة أنفسهم ... ضاعت آرائهم ومزقتها الآراء[٢].

ومع هذا فإن العنف الذى مارسه آباء اللاهوت لم يكن بالقدر الذى يعطى للآخر فرصة التفكير فى النتائج وإنما كانت قسوتهم بعيدة عن النصوص التى يدعون إليها، فالمسيحية يعلن أتباعها أنها دين الرحمة والتسامح والعفو والمحبة والتنازل للآخر، دليل ذلك ما جاء فى نصوصهم : أحبوا أعدائكم، باركوا لاعنيكم، واغفروا للمخطئين يغفر لكم أبوكم السماوى[٣].

كذلك جاءت عبارات المسيحية داعية إلى التسامح، إلى أبعد مدى، فيقول : من لطمك على خدك الأيمن فأدر له الآخر الأيسر، ومن طلبك لتسير معه ميلاً فسر ميلين، ومن طلب ثوباً فأعطه الجديد[٤].

---

١) وقد عرضنا ذلك وبينا سمات الدين الإلهى والدين الوضعى فى شيء من التفصيل، راجع كتابنا : حفيف الأفنان بين الملل والنحل والأديان، فسترى ذلك واضحا.

٢) الدكتور / محمود صلاح الدين : مسيحية القرن العاشر، ص٤٣، ط أولى، ١٩٧١م.

٣) القس / جورج زكريا : المسيح وأنا، ص٤٣، ط أولى، ١٩٢١م.

٤) القس / حنا فخرى : الله محبة، ص٢١، ط أولى.

وهذه النصوص يرددها آباء الكنيسة في مواعظهم وعند التطبيق العملي يجدون المسألة معكوسة، ضيق أفق، بجانب استبداد منقطع النظير، يصاحبه ظلم لا حدود له، ويمارس ذلك كله، ومع هذا ينعكس الأمر ولا شك أن هذا يثير في النفوس فقدان الثقة في الدين المسيحي وبغض رجاله أينا كانوا، وكأني بهم وقد عناهم القائل :

حلفتم لنا أن لا تخونوا عهودنا ... فكأنكم حلفتم أن لا تفوا لنا[1].

٣- أن أصحاب الحركة التنويرية قطعوا كل صلة تربطهم بالماضي، كأنهم ما عرفوا الدين وما عرفوا رجال اللاهوت أو كأن السماء أمطرتهم لا يعرفون بعدها شيئا، مع أن الدين فطرة فطر الله الناس عليها، فمحاولة التنويريين في أوربا رفض الدين نظراً لسلوكيات أصحابه إنما هي مسألة غير منضبطة، إذ المفروض أن يرفضوا السلوكيات الشاذة التي يمارسها أصحابها ويكون هذا الرفض منصباً على السلوكيات لا على النصوص، وما دامت النصوص قد وضعت في طريق الرفض يجب أن يعلل ذلك الرفض تعليلاً يتفق مع نصوص هذا الدين الذي يتحدثون عنه، يقول دوهان :

من الصعب أن يتحدث المرء عن قضيتين ثم يقبلهما معاً أو يرفضهما معاً لمجرد ظهور علاقة شكلية بينهما يُعتبرها هو علاقة ضرورية لابد من التعامل بها مرة واحدة، وإنما يجب أن يكون موضوعيا فيتناول كلاً منهما على استقلال ويتعرض لأدلة كل منهما بالقبول أو الرفض[2].

وكأني بهم يقولون : دع الماضي وابدأ الحاضر وعش حياتك من حيث تريد أنت لا ما يريد الآخرون، وبالتالي فقد أحدثوا هم الآخرون هوة عميقة بل

---

١) الشيخ / صالح محمد زيد : وقفات مع النفس، ص٢٣.

٢) جورج أندريه دوهان : الحقيقة والموضوعية، ص٢٣-٢٤، ترجمة : حنان رشدي، ط الموصل، ١٩٨١م.

حفرة سحيقة بين العلم والدين، فإذا كان آباء الكنيسة فى العصور الوسطى قد أغلقوا أمام العلم كل طريق، وأغلقوا أيضا كل نافذة، وقطعوا بينه وبين ناتج العقل كل وسيلة، فإن التنويريين قطعوا كل علاقة لهم بالدين فأسهموا بوجود فكرة العلمانية، التى تقوم على انتزاع الإنسان من فطرته التى خلق الله عليها إلى ديانة لا وجود لها.

بل ساعدوا أهل الإلحاد على إلحادهم حتى ظهرت النظريات الإلحادية باسم العلم، وهى فى ذات الوقت التى نادت بقطع كل صلة بين العلم التجريبى والدين اللاهوتى الكنسى، وبخاصة أن محاكم التفتيش التى كان يمارسها آباء الكنيسة فى الماضى قد انقلبت إلى أيدى التنويريين آنئذ، فإذا كان جان الجندونى[١] قد اتهم بالزندقة، وحوكم من رجال اللاهوت، واضطر إلى القول بأننى أؤمن بما جاء به الدين، لكننى لا أستطيع التدليل عليه فهنيئاً للذين يستطيعون التدليل، أما أنا فلا يسعنى إلا الإيمان بالقلب فإنه قد ذاق الويل على أيديهم وجريمته أنه منح عقلاً مفكراً[٢].

ونفس القلق عبر عنه عمانويل كانت الفيلسوف الألمانى الذى قاد التنويريين، وكان واحداً منهم حيث يقول ان تعاليم الدين المسيحى التى ينقلها الآباء إنما هى كأقراص الدواء المر ان ابتلعت ربما أفادت، أما ان مضغت فهى على اليقين مرة المذاق[٣]، وهكذا كانت قسوة آباء اللاهوت، وكانت ردود التنويريين مما أنذر بوقوع صدام وشيك بين قيم محطمة حملها رجال اللاهوت، وأشباح قيم أخرى يتبناها العلميون، وقد راحت فى الأفق تلوح.

---

١) كان أحد الأساتذة البارزين فى جامعة فرنسا إبان نهاية القرن الرابع عشر الميلادى، وكانت له اتجاهات علمية متميزة نقل أصولها عن الثقافة الإسلامية فى الجانب العلمى، ثم استفاد الجانب التطبيقى لكنه لم يتح له الاستفادة مما عرف لأن سلطة محاكم التفتيش قضت عليه.

٢) الدكتور / رفقى زاهر : الفلسفة الحديثة، ص١٢١، ط دار زاهر بالقاهرة، ١٩٨٣م.

٣) الدكتور / محمد حسينى موسى الغزالى : خواطر حثيثة فى الفلسفة الحديثة، ص٣٥، ط الثامنة.

وإذا كان التنويريون قد سعوا إلى إعلاء كلمة العلم، أو على الأقل وضعه فى قالب هزاز يتساوى مع الفكر الكنسى، وأنهم أيضا كانوا يهدفون إلى الرغبة فى الإصلاح الدينى إلا أن ذلك لم يكن إلا على حساب الدين نفسه، بدليل ظهور الأفكار التى جاءت مع عصر النهضة الحديثة فى أوربا، معبرة عن اعتقادات فاسدة، أطلقت عليها أسماء أسطورية من قبيل محاربة الدين المسيحى، كالحال مع الوضعية[١]، وكذلك العلمانية[٢]، التى طالبت القلوب بأن تذبح فيها كل المعتقدات الدينية تحت وهم أنها لا تقدم نفعا وإنما تلحق بالإنسان كل الضرر، وكذلك مهد هذا الخلاف ظهور الوجودية التى تدعوا إلى الجوانب المادية[٣].

وكان سارتر وكيرجورد وغيرهما من أكثر الداعين لها، وهى مذاهب فلسفية غير منضبطة تسعى لتحطيم القيم الدينية كصورة من صور الانتقام ضد الفكر المسيحى والإجراءات التى كانت تقدم بها الكنيسة ضد الأحرار.

بل ظهرت الماركسية كما ظهرت المذاهب النفعية، ومنها ما يتعلق بعبث الإنسان المرتبطة بشهواته أو القائمة على توجهاته، وكذلك ما يتعلق بالمذهب

---

١) وهى أنواع : منها : الوضعية الطبيعية، والوضعية المنطقية، والوضعية الاجتماعية، وكل منها له حاله وأفكاره والمبادىء التىُ قام عليها، لمزيد من التفاصيل راجع كتابنا : الوضعية بين المعقول واللامعقول، ط أولى، ٢٠٠٤م.

٢) وهى نسبة إلى جماعة طالبوا بإبعاد الدين، بل والغاؤه تماما من النفوس على أساس أن العلم مادى فلا يحتاج إلى ديانة غير مادية، ولا تنسب إلى العلم لأن الفرق بين العلمانية بكسر العين والعلمانية بفتح العين إنما هو المعبر عن الفوارق بين العقيدة القلبية والمعارف العقلية، راجع للدكتور / يوسف القرضاوى : الإسلام والعلمانية.

٣) الوجودية : مذهب فكرى نادى القائلون به بضرورة التخلى عن القيم الروحية والتمسك بالمعارف العقلية ذات الوجود الحسى، فهى فرع من الاتجاهات المادية، ولذا فقد تنوعت فى أوربا بين وجودية ملحدة ووجودية تعترف ببعض نصوص الأناجيل، راجع الدكتور / بريفوليت ساندر : الوجودية الأصول والمبادىء والغايات، ص١٣١-١٣٢، ترجمة عبد العظيم مراد، طبعة أولى، ١٩٩١م.

العملى الذى أطلق عليه اسم : مذهب الذرائع[1]، الذى عبر فى مطالع القرن العشرين عن رغبة انتقامية من القيم الروحية، كما كان صورة من صور العدوان التى يجب ممارستها فى وجه الكنيسة.

مما سبق اتضح أن موقف العلم فى أوربا المسيحية كان مضاداً تماماً لموقف رجال اللاهوت أو بعبارة أخرى، وقف كل من الطرفين على طرف الطريق، وكان بحاجة إلى عقلية ناضجة تظهر فى مفكر مؤمن بالله، متمسك بكتاب الله وسنة رسوله حتى يقود هذا القطيع الضال إلى الخير الذى ينقذهم من هذا التشتت، ولن يقع ذلك إلا من خلال علماء المسلمين الذين مكنهم الله عز وجل من كتابه حفظاً له والتزاماً به، وسنة رسوله فهما لها، وممارسة.

٤- أن الإسلام هو الدين الوحيد الذى ورد من عند الله سبحانه وتعالى على ألسنة رسله، وقد بلغوه، كما حملوا بكتبه، وظل أمرهم ذلك حتى جاء سيدنا محمد ﷺ فيقول الله – عز وجل – : ﴿إِنَّ الدِّينَ عِندَ اللَّهِ الإِسْلاَمُ وَمَا اخْتَلَفَ الَّذِينَ أُوْتُواْ الْكِتَابَ إِلاَّ مِن بَعْدِ مَا جَاءهُمُ الْعِلْمُ بَغْياً بَيْنَهُمْ وَمَن يَكْفُرْ بِآيَاتِ اللَّهِ فَإِنَّ اللَّهِ سَرِيعُ الْحِسَابِ﴾[2]، كما يقول محدداً ما يتعلق بالعقيدة : ﴿وَمَن يَبْتَغِ غَيْرَ الإِسْلاَمِ دِيناً فَلَن يُقْبَلَ مِنْهُ وَهُوَ فِي الآخِرَةِ مِنَ الْخَاسِرِينَ﴾[3]، فإن الإسلام قد دعا إلى الإيمان والعلم معاً، بل قرن فى كثير من آياته بين العقيدة والعلم والعمل، فجعل من طبيعة

---

١) وكان من أبرز رجاله ساندرزبيرز وجون ديوى وغيرهم : كوليم جيمس، وتوماس أرنولد، بجانب كل من هيكسلى وكواندرسيه.

٢) سورة آل عمران، الآية ١٩. إخبارا منه تعالى بأنه لا دين عنده يقبله من أحد سوى الإسلام وهو إتباع الرسل فيما بعثهم الله به، فمن لقي الله بعد بعثة محمد صلى الله عليه وسلم بدين على غير شريعته فليس بمتقبل كما قال تعالى ومن يبتغ غير الإسلام دينا فلن يقبل منه الآية وقال في هذه الآية مخبرا بانحصار الدين المتقبل منه عنده في الإسلام إن الدين عند الله الإسلام. تفسير ابن كثير، جـ١، ص٣٥٥.

٣) سورة آل عمران، الآية ٨٥.

الإيمان العلم بدليل قوله تعالى : ﴿ اقْرَأْ بِاسْمِ رَبِّكَ الَّذِي خَلَقَ ﴾[1]، وقوله تعالى : ﴿وَلَوْلَا فَضْلُ اللَّهِ عَلَيْكَ وَرَحْمَتُهُ لَهَمَّت طَّائِفَةٌ مِّنْهُمْ أَن يُضِلُّوكَ وَمَا يُضِلُّونَ إِلَّا أَنفُسَهُمْ وَمَا يَضُرُّونَكَ مِن شَيْءٍ وَأَنزَلَ اللَّهُ عَلَيْكَ الْكِتَابَ وَالْحِكْمَةَ وَعَلَّمَكَ مَا لَمْ تَكُن تَعْلَمُ وَكَانَ فَضْلُ اللَّهِ عَلَيْكَ عَظِيمًا﴾[2]، كما أن القرآن الكريم وهو الدستور الخالد حث على العلم، ونبه إلى قدر العلماء فى آيات كثيرة منها قوله تعالى : ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِذَا قِيلَ لَكُمْ تَفَسَّحُوا فِي الْمَجَالِسِ فَافْسَحُوا يَفْسَحِ اللَّهُ لَكُمْ وَإِذَا قِيلَ انشُزُوا فَانشُزُوا يَرْفَعِ اللَّهُ الَّذِينَ آمَنُوا مِنكُمْ وَالَّذِينَ أُوتُوا الْعِلْمَ دَرَجَاتٍ وَاللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ خَبِيرٌ﴾[3].

وحيث أن العقل من نعم الله على عباده والدين مما أنعم الله به على عباده والعلم ناتج ذلك العقل فقد جاءت آيات القرآن الكريم وأحاديث الرسول ﷺ حاثة على ذلك التأمل العقلى والمجهود الفكرى والمعرفة التى يقع بها صلاح الكون على كافة الأوجه، قول العلامة الفخر الرازى : ان العقل من أجلّ النعم التى أنعم الله بها على هذا الجنس من العقلاء، فعليه مدار التكليف؛ وعليه يقع أمر الثواب والعقاب[4].

---

١) سورة العلق، الآية ١، يعني جل ثناؤه بقوله اقرأ باسم ربك محمدا صلى الله عليه وسلم يقول اقرأ يا محمد بذكر ربك الذي خلق ثم بين الذي خلق فقال خلق الإنسان من علق يعني من الدم، تفسير الطبرى، جـ٣٠، ص٢٥١.

٢) سورة النساء، الآية ١١٣.

٣) سورة المجادلة، الآية ١١، يرفع الله الذين أوتوا العلم من المؤمنين على الذين لم يؤتوا العلم درجات وأخرج سعيد بن منصور وابن المنذر وابن أبي حاتم عن ابن عباس أنه قال تفسير هذه الآية يرفع الله الذين آمنوا منكم وأوتوا العلم على الذين آمنوا ولم يؤتوا العلم درجات وأخرج ابن المنذر عن ابن مسعود قال ما خص الله العلماء في شيء من القرآن ما خصهم في هذه الآية فضل الله الذين آمنوا وأوتوا العلم على الذين آمنوا ولم يؤتوا العلم الآية، تفسير السيوطى، جـ٨، ص٨٣.

٤) الإمام الفخر الرازى : مفاتيح الغيب، جـ٣، ص١٨٧، ط القاهرة.

والعقل أيضاً سمى بذلك لأنه يعقل صاحبه عن الوقوع فى المهالك والعلم ينشأ عن العقل وكلما كان العقل صحيحا كان اكتسابه للمعارف سليماً، إذ بواسطته يقع الفهم لاكتساب العقائد الحقة والأخلاق الفاضلة، كما يكون به التدبير والتميز، وهومستقر المعرفة، وموضع الحكمة، ومنبع العلم، يقول الله عز وجل : ﴿ وَلَقَدْ كَرَّمْنَا بَنِي آدَمَ وَحَمَلْنَاهُمْ فِي الْبَرِّ وَالْبَحْرِ وَرَزَقْنَاهُم مِّنَ الطَّيِّبَاتِ وَفَضَّلْنَاهُمْ عَلَى كَثِيرٍ مِّمَّنْ خَلَقْنَا تَفْضِيلاً ﴾ [1].

ويقول العامة الآلوسى : ان العلم من ناتج العقل، والعقل من فيوضات الله، فمن أمسك بالعلم إنما أمسك بفيوضات الله[2].

ويقول العلامة الجمل : ان الله جعل العلم بين الناس ليكون وسيلة صلاحهم فى معاشهم ومعادهم، ولذلك كرم الله العلم كما كرم العلماء، فقال فى كتابه الحكيم : ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِذَا قِيلَ لَكُمْ تَفَسَّحُوا فِي الْمَجَالِسِ فَافْسَحُوا يَفْسَحِ اللَّهُ لَكُمْ وَإِذَا قِيلَ انشُزُوا فَانشُزُوا يَرْفَعِ اللَّهُ الَّذِينَ آمَنُوا مِنكُمْ وَالَّذِينَ أُوتُوا الْعِلْمَ دَرَجَاتٍ وَاللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ خَبِيرٌ﴾[3].

وقال جل شأنه : ﴿ وَمِنَ النَّاسِ وَالدَّوَابِّ وَالْأَنْعَامِ مُخْتَلِفٌ أَلْوَانُهُ كَذَلِكَ إِنَّمَا يَخْشَى اللَّهَ مِنْ عِبَادِهِ الْعُلَمَاءُ إِنَّ اللَّهَ عَزِيزٌ غَفُورٌ﴾[4]، فدل الأمر على أن العلم أعلى الغايات، ومن أشرف المقاصد[5].

---

١) سورة الإسراء، الآية ٧٠، يقول تعالى ذكره ولقد كرمنا بني آدم بتسليطنا إياهم على غيرهم من الخلق وتسخيرنا سائر الخلق لهم وحملناهم في البر على ظهور الدواب والمراكب و في البحر في الفلك التي سخرناها لهم ورزقناهم من الطيبات يقول من طيبات المطاعم والمشارب وهي حلالها ولذيذاتها وفضلناهم على كثير ممن خلقنا تفضيلا، تفسير الطبرى، جـ١٥، ص١٢٥.

٢) العلامة الآلوسى، تفسير روح المعانى، جـ١٥، ص١١٨، ط دار إحياء التراث العربى.

٣) سورة المجادلة، الآية ١١.

٤) سورة فاطر، الآية ٢٨.

٥) العلامة الجمل، تفسير الجمل على الجلالين، جـ٢، ص٦٣٧، ط الحلبى.

ربما يقال : هل الإسلام يبيح العلم على إطلاقه أم يقيده بقيوده؟

والجواب : أن الإسلام دعا إلى العلم النافع وحذر من العلم الضار، أمر بما يصلح للناس أمور المعاش والمعاد وحرم عليهم ما يلقيهم في الهلكة، بدليل قوله تعالى : ﴿وَمَا كَانَ الْمُؤْمِنُونَ لِيَنفِرُوا كَافَّةً فَلَوْلاَ نَفَرَ مِن كُلِّ فِرْقَةٍ مِّنْهُمْ طَآئِفَةٌ لِّيَتَفَقَّهُوا فِي الدِّينِ وَلِيُنذِرُوا قَوْمَهُمْ إِذَا رَجَعُوا إِلَيْهِمْ لَعَلَّهُمْ يَحْذَرُونَ﴾[1].

وقوله ﷺ : "تضمن الله لطالب العلم أن يرده بخير وإذا أخذه فله أجر شهيد"، ويقول ﷺ : "ان الملائكة لتضع أجنحتها على طالب العلم رضا بما يصنع"[2]، كما أن الله عز وجل بيّن أن العلماء هم أهل الخشية منه لقوله تعالى : ﴿إِنَّمَا يَخْشَى اللَّهَ مِنْ عِبَادِهِ الْعُلَمَاءُ﴾[3]، وبين سبحانه وتعالى على لسان رسوله أن العلماء هم ورثة الأنبياء، فيقول ﷺ : "ان العلماء ورثة الأنبياء وانهم لم يورثوا ديناراً ولا درهماً وإنما ورثوا العلم فمن أخذه أخذه بحظ وافر"[4].

وبين ابن خلدون أن العلوم التى يخوض فيها البشر ويتداولونها فى الأمصار تحصيلاً وتعليماً هى على صنفين :

- صنف طبيعى وهو ما يهتدى إليه الإنسان بفكره كالعلوم الحكمية الفلسفية وهى التى يمكن ان يقف عليها الإنسان بطبيعة فكره ويهتدى بمداركه البشرية إلى موضوعاتها ومسائلها، وأنحاء براهينها ووجوه تعليمها حتى يقف نظره وبحثه على الصواب من الخطأ منها من حيث هو إنسان ذو فكر محدد.

---

١) سورة التوبة، الآية ١٢٢.

٢) مسند أحمد، جـ٤، ص٢٤٠.

٣) سورة فاطر، الآية ٢٨.

٤) صحيح البخارى، جـ١، ص٣٧.

والثاني : صنف نقلي : وهي العلوم النقلية الوضعية المستندة إلى الخبر عن الواضع الشرعي، ولا مجال فيها للعقل إلا في إلحاق الفروع من مسائلها بالأصول[١]. وابن خلدون إنما يقرر ما يتعلق بالعلم الكسبي وليس العلم الوهبي اللدني لأنه لا يحتاج إلى بذل مجهود وإنما يفيض الله به على قلب العبد مباشرة، يدل عليه قوله تعالى في العبد الصالح : ﴿ فَوَجَدَا عَبْداً مِّنْ عِبَادِنَا آتَيْنَاهُ رَحْمَةً مِنْ عِندِنَا وَعَلَّمْنَاهُ مِن لَّدُنَّا عِلْماً﴾[٢].

ولا شك أن العلم بهذا المعنى قد جاء في النصوص الشرعية بالشكل الذى سلف ليؤكد قاعدة عامة وهى أن الدين الصحيح لا يعارض العلم الصحيح وأن العلم الصريح لا يعارض الدين الصحيح، بل كل منهما يدعوا للآخر، وقد فطن إلى ذلك بعض العلماء من الغربيين في القرن العشرين[٣].

فذكروا ناتج خبراتهم العلمية وأنه كان من العوامل الرئيسية في وصول الإيمان إلى قلوبهم.

يقول كيرسون : كنت أعرف أن هناك إلهاً، لكن معرفتى به لم تكن قادرة على إزالة الشكوك التى تعترض طريقى فى التأكيد على تلك المعرفة، فلما عملت بعلم النبات تأكد لى من خلال ورقة التوت أن الله موجود، وأنه الذى يرعى تلك الورقة ويمدها بأسباب الحياة حتى تظل باقية، فلولا العلم ما تأكدت لدى القاعدة الدينية[٤].

---

١) العلامة / عبد الرحمن بن خلدون : المقدمة، ص٤٠-٤١، ط الشعب.

٢) سورة الكهف، الأية ٦٥، فيما ذكر ان موسى سئل هل في الأرض احد اعلم منك فقال لا او حدثته نفسه بذلك فكره ذلك له فاراد الله تعريفه ان من عباده في الأرض من هو اعلم منه وانه لم يكن له ان يحتم على ما لا علم له به ولكن كان ينبغي له ان يكل إلى عالمه وقال آخرون بل كان سبب ذلك انه سأل الله جل ثناؤه ان يدله على عالم يزداد من علمه إلى علم نفسه، تفسير الطبرى، جـ١٥، ص٢٧٦.

٣) وهذا الحكم لا ينسحب على مفكرى المسلمين لأنهم نبهوا إلى ذلك من قرون طويلة، حيث ظهر ذلك فى كتاباتهم العديدة.

٤) أندريه ديكسن : العلم والإيمان، ص٧٣، ط أولى، ١٩٦١م، ترجمة :د. حنان عبد المقصود.

وكذلك قام عدد من علماء الغرب فى القرن الماضى[١]، بدراسة العلم فى جوانبه المختلفة ثم انتهوا إلى أنه يؤكد الإيمان، كما يدعوا إليه، من خلال علم الأحياء وعلم النبات، وكذلك علوم التشريح والأجنة فى الإنسان والحيوان والنبات، وسجلوا تلك الأبحاث كنوع من الاعتراف بدور العلم وقيمته فى الوصول إلى الله عز وجل وتدعيم القاعدة الإيمانية فى النفوس[٢].

كذلك وقف مجموعة من العلماء فى الغرب ليدعموا حقيقة أن العلم يدعوا للإيمان، وأن الإيمان الصحيح لا يناقض ناتج العقل الصريح، وقد أثبتوا ذلك فى دراساتهم المتميزة على النحو الذى يؤكد أنهم كانوا يتمتعون بحس علمى معرفى وإيمان قلبى ظهر فى عباراتهم التى قالوا بها[٣].

ولا يخفى أن بعض المسلمين فى القرن العشرين قام ببيان أن الإسلام يدعو للعلم كما أن العلم الصحيح يكون أحد الوسائل الهامة فى الدعوة إلى الإيمان، وقدموا فى ذات القرن جهوداً متميزة من أبرزها : أن الإيمان والعلم شقيقان يتعاونان لا يتعاديان، ومن أبرز الذين كتبوا فى ذلك – حسب ما وقفت عليه – الأستاذ / محمد فريد وجدى فى كتابه : الإسلام فى عصر العلم[٤]، وكذلك

---

١) أعنى به القرن العشرين حيث تم تأليف هذا الكتاب فى حينه، وأطلقوا عليه اسم : العلم يدعو للإيمان.

٢) راجع : العلم يدعو للإيمان، تأليف : نخبة من العلماء الأمريكان، ترجمة الأستاذ / محمود الفلكى، طبعة دار التراث، وط الشعب.

٣) راجع : الله يتجلى فى عصر العلم الذى قام بتجميع مادته : جون كلفر، وترجمه إلى العربية الدكتور / عبد المجيد سرحان، وطبع عن طريق مؤسسة فرنكلين، ١٩٦٨م.

٤) كان محمد فريد وجدى من أصل تركى، وأقام فى مصر ابان الخلافة الإسلامية، ولى العديد من الوظائف آخرها رئاسة مجلة الأزهر، وله دراسات إسلامية متعددة ومساجلات بين العلماء كثيرة، وعليه بعض الانتقادات كشأن أى باحث أو مفكر، مات ودفن بالقاهرة، ولمزيد من التفاصيل راجع / محمد فريد وجدى ومعاركه الأدبية والسياسية للدكتور / محمود فوزى، وأيضاً : محمد فريد وجدى مفكراً، للدكتور / محمد عز العرب السماحى.

الدكتور / محمد أحمد الغمراوى فى كتابه : الإسلام فى عصر العلم[١]، وهو لا يناقض كتاب محمد فريد وجدى، وإنما قام فريد وجدى بالجهد النظرى طبقاً لثقافته، بينما كان الغمراوى يقوم بالجهد العملى طبقاً لثقافته أيضاً، فكل منهما سعى لخدمة الإسلام بالطريقة التى يتمكن منها، كذلك صنع الأستاذ / وحيد الدين خان فى كتابه الرائع : الإسلام يتحدى. حيث عرض قضية الإيمان والعلم من خلال محاور ثلاثة :

المحور الأول : محور الإيمان والكفر، ثم انتهى إلى أن العلم يرفض الكفر ويقر بالإيمان، وقدم على ذلك العديد من الشهادات الوثائقية التى تثبت انه كان عقلية متميزة ومفكراً لا يشق له غبار، ومسلماً خدم دينه بأقصى ما لديه من طاقة.

المحور الثانى : قضية الإلحاد : وردها إلى جهل القائلين به، وأنهم لو كانوا علماء لدفعهم علمهم إلى الإيمان بدل الكفران وبين أنهم فى إلحادهم يسبحون عكس التيار مما يدل على ضعف فى العقول وخلل فى التفكير، وتناقص مستمر فى الأداء.

المحور الثالث : ما يتعلق بالأخرة :حيث ذكر قضايا العلم التى تعترف بأن الكون له نهاية، وهذه النهاية تستدعى على طريق الضرورة حياة أخرى تقع فيها للمطيع الحسنات وثواب الطاعات، بينما يكون نصيب المسيء العقوبة وجزاء ما ارتكب من سيئات[٢].

---

١) هو الأستاذ الدكتور / محمد أحمد الغمراوى : مصرى المولد والجنسية، تخرج من كلية الصيدلة وعمل بها، وله اسهامات فكرية متواصلة وجهود دعوية لم تنقطع، بل انه كان يدرس مادة الثقافة الإسلامية وآيات الله الكونية لطلاب الدراسات العليا قسم الثقافة الإسلامية بكلية أصول الدين، وكان عميداً لكلية الصيدلة بالقاهرة، وله مؤلفات عديدة لخدمة العلم والدين.

٢) راجع تفاصيل ذلك فى كتابه : الإسلام يتحدى، وكتابه : الدين فى مواجهة العلم، فهى كلها دالة على أن العلم الصحيح لا يناقض الدين الصحيح وإنما يتعاونان فى الوصول إلى غاية واحدة.

وفى تقديرى أن قضية الإيمان والعلم، أو الدين والعلم إنما هى قضية توضح العلاقة بين الخالق والمخلوق، ولا شك أن الخالق الكريم العظيم جل علاه قد أفاض علينا بما أفاض لكن تبقى نقطة الشكر التى هى من واجب العبد، إذ لا يعقل ان يفيض الله على العبد بكل هذه النعم التى تستوجب الإيمان والشكر، ثم يقف هذا العبد عند النعم موقف الجاحد لها، المنكر لحقيقة من خلقها فإن ذلك يدلّ على ضعف فى العقل واختلال فى موازين الفكر لقوله تعالى : ﴿ وَآتَاكُم مِّن كُلِّ مَا سَأَلْتُمُوهُ وَإِن تَعُدُّوا نِعْمَتَ اللَّهِ لَا تُحْصُوهَا إِنَّ الْإِنسَانَ لَظَلُومٌ كَفَّارٌ ﴾ [١]، وقوله تعالى : ﴿ وَإِن تَعُدُّوا نِعْمَةَ اللَّهِ لَا تُحْصُوهَا إِنَّ اللَّهَ لَغَفُورٌ رَّحِيمٌ ﴾ [٢].

كما أن العلاقة بين العلم والدين يجب أن تتركز فى خدمة العلم للدين على أساس أن الدين من عند الله والعلم من عند الله، والله هو الواحد الذى يجب أن يصان أمره ونهيه ويلتزم كل ما يريد ما دام قد جاء ذلك فى نصوص من عنده ومن خلال تعليمات مأمور بها من قبله، فإذا تجاوز العلم هذه العلاقة كان علماً فاسداً، وإذا قفز أصحابه على أكتاف الدين بغرض أن تكون لهم القيادة فقد باؤو بغضب من الله وصار علمهم نقمة عليهم.

يقول الأستاذ سيد قطب : ان العلم له مشكلاته وفى نفس الوقت له تطلعاته، فإذا جاءت تطلعاته من خلال المحكوم به فى النصوص الشرعية كانت تطلعات صحيحة، وريادة معقولة، أما ان قفز بتطلعاته فوق الحقائق الأساسية فهى تطلعات

---

١) سورة إبراهيم، الأية ٣٤.

٢) سورة النحل، الأية ١٨. وإن تعدوا أيها الناس نعمة الله التي أنعمها عليكم لا تطيقوا إحصاء عددها والقيام بشكرها إلا بعون الله لكم عليها إن الإنسان لظلوم كفار يقول إن الإنسان الذي بدل نعمة الله كفرا لظلوم يقول لشاكر غير من أنعم عليه فهو بذلك من فعله واضع الشكر في غير موضعه وذلك أن الله هو الذي أنعم عليه بما أنعم واستحق عليه إخلاص العبادة له فعبد غيره وجعل له أندادا ليضل عن سبيله وذلك هو ظلمه وقوله كفار يقول هو جحود نعمة الله التي أنعم بها عليه لصرفه العبادة إلى غير من أنعم عليه وتركه طاعة من أنعم عليه. تفسير الطبرى، جـ١٣، ص٤٢٧.

فاسدة ممقوتة، ومنهج دال على فساد أصحابه، كما يقول : ودعاة الإسلام اليوم أكثر من أى عهد مضى مدعوون للتفكير الجدى فيما هم فيه، وعليهم مراجعة أنفسهم وتقديم مسيرتهم لأنهم وحدهم هم الذين يملكون العلاج لجراحات البشرية، فعندهم المنهج الذى وضعه خالق البشر للبشر وعندهم الطريق السوى المتوازن الذى فيه الحلول لمشكلات الإنسانية فى كل زمان ومكان، ومن الخطأ أن نتصور أن صفات منهجنا هى الوحيدة التى تؤهلنا لقيادة البشرية ذلك أن من صفات المنهج أنه منهج واقعى لا يقوم على أشكال نظرية مكتوبة وإنما يعمل من خلال جماعة رائدة تتمثل ذلك المنهج وتقدمه للبشرية واقعاً مشاهداً لا نظرية باردة[١].

فى نفس الوقت فإن العلم لابد أن يضيف إلى رصيد صاحبه الإيمانى لا أن ينقصه، فإن لم يزد ذلك الرصيد وسعى لإنقاصه كان خيبة لصاحبه بل كان من وسائل القضاء عليه لأن العلم يرفع نفس صاحبه من خلال الحصانة الإيمانية وبذلك كان دعاء الصالحين : ﴿ رَبَّنَا هَبْ لَنَا مِنْ أَزْوَاجِنَا وَذُرِّيَّاتِنَا قُرَّةَ أَعْيُنٍ وَاجْعَلْنَا لِلْمُتَّقِينَ إِمَاماً ﴾[٢]ويقول الأستاذ الندوى : ان العلم يفرض على صاحبه الخضوع للإيمان ويؤكد أن هذا الخضوع يشعر بفرضيته الإنسان نفسه ويقول : ان عمر بن عبد العزيز رضى الله عنه كان يقول : ان لى نفساً تواقة لم تتق التى منزلة إلى تاقت إلى ما هو أرفع منها، حتى بلغت اليوم المنزلة التى ليس بعدها منزلة، وانها اليوم تاقت إلى الجنة[٣].

ويؤكد ابن الجوزى على أن العلم يرفع صاحبه عند الله فى الآخرة ويدنيه منه فى دار الدنيا، فهو يجاهد فى طريقين : أحدهما : طريق عرف بابه وهو طريق

---

١) الأستاذ / سيد قطب : هذا الدين، ص١١٧، ط أولى، دار التراث.

٢) سورة الفرقان، الآية ٧٤.

٣) الأستاذ / أبو الحسن الندوى : رجال الفكر والدعوة فى الإسلام، ص٧٣، ط أولى، دار ترجمان السنة.

العلم، وطريق يسعى به إلى غايته، وهو طريق الإيمان، لأنه يكون دائماً ضرراً من التردى فى المهاوى أو التبديل للأحوال(١).

والذى انتهى إليه : أنه كلما كانت القاعدة الإيمانية فى النفوس قوية كانت الفروع العلمية دانية، وكلما كانت القاعدة الإيمانية مهتزة او تقبل الانحناءات، فلا شك أنها تصاب بالهلع والانهيار فى نفس صاحبها ونفس من يدعى ذلك العلم.

ومن المعلوم أن كل الناس ليسوا على قدر سواء، وأن أى إنسان ما لم يكن معصوماً فإن فيه من الخطأ والعيب بقدر ما فيه، ولكن ان يزيد هذا القدر من العيب بحيث ينال الإيمان أو صحيح العقيدة فذلك هو الخسران، يقول الخطيب البغدادى : ليس من شريف ولا عالم ولا ذى فضل من غير الأنبياء والمرسلين إلا وفيه عيب، ولكن من الناس من لا ينبغى أن تذكر عيوبه، فمتى كان فضله أكثر من نقصه وهب نقصه لفضله، ومن كان نقصه أكثر من فضله فقد أضاع نقصه بفضله، وليس أنقص ممن يدعى العلم ويقع فى الإلحاد(٢).

ويذكر العلامة السخاوى أن العلم الذى يؤكد حقيقة إيمانية يرفع قدر صاحبه أما العلم الذى يسعى للقضاء على العقيدة الإيمانية فإنه يكون علماً فاسداً بغض النظر عمن ذا الذى ينتسب إليه(٣).

بناء على ما سلف نرى ضرورة أن يكون العلم بالله فى خدمة الشريعة المنزلة من الله وأن يكون العلم فى كافة صوره مما يرضى الله فإن خرج عن تلك الغاية او بعد عن ذات المقدمة كان علماً لأولى بصاحبه أن يبعد عنه وأولى بذلك العلم أن لا ينسب هذا إليه.

---

١) الشيخ / عبد الرحمن بن الجوزى : صيد الخاطر، ص٤٢-٤٤.

٢) الخطيب البغدادى : الكفاية، ص٧٩.

٣) الإمام السخاوى : الإعلان بالتوبيخ، ص٤٣.

موقف العلم والدين من نظرية الاحتمالات :

ترد كلمة الاحتمال فى الدراسات الدينية على الأدلة الظنية، لأنها تحتمل أكثر من معنى، أو تعبر عن معنى من جملة المعانى القائمة، ولذا ورد فى النصوص الدينية بعض ما يحمل على معنى من المعانى، ويسمى عند الأصوليين ظنى الدلالة، بينما يسمى عند المفسرين : احتمالى الدلالة، وبالتالى فنظرية الاحتمالات بهذا المعنى، لها وجود فى النصوص الشرعية، بل أستطيع القول بأنها كانت من عوامل ظهور المذاهب الفقهية.

أما نظرية الاحتمالات فى العلم فهى عبارة عن مجموعة من الأسباب التى تلجأ إلى استعمال وسائل عديدة ذات بدائل كثيرة لتقدم نتائج من هذا القبيل، ومن ثم فنظرية الاحتمالات توسع دائرة الوصول إلى مناهج وكذلك استعمال أساليب متعددة، وحيث قد جاءت نظرية الاحتمالات فى الفكر الإسلامى والإنسانى فيجمل بى تناولها فى حدود ما يلى :-

أولاً : تعريفها :

أ – فى الدراسات الدينية :

ذهب علماء التفسير إلى أنها ما تقدم وجوها عديدة يمكن أن تحمل معانى كثيرة لما يجيء فى منظومة اللفظ[1]، ومعنى هذا أنها لا تقتصر على تحديد هدف بعينه، أو صورة بذاتها، وإنما تمتد فتغطى جنبات كثيرة تتلاقى أو تتباعد لكن العبرة بقيامها على هذه الوجوه، يقول الشيخ / محمد عبد العظيم مراد : ان الاحتمالات ترد علينا نحن علماء الأصول فى قولنا : ان هذا المعنى يحتمل وجهين كما نقول : انه يحتمل أكثر من وجهين، ومعناه : أن اللفظ شامل لأكثر من معنى[2].

---

١) راجع كتابنا : التفكير الإنسانى أصوله ومبادئه، ص١٣٨-١٣٩.

٢) الشيخ / محمد عبد الحميد مراد : التفكير فى علم الأصول، ص٨١، ط أولى، ١٣٨٥.

ويقرر الأستاذ / صبحى فوزى أن نظرية الاحتمال هى : اختيار العديد من الفروض يراد إثبات واحد منها وإبطال غيره، وتأتى فى قضايا العقيدة كلها عند مواجهة الخصوم[١].

بمعنى أننا نقول مثلاً : إذا كان خالق العالم أكثر من واحد فإما أن يتفقا أو يختلفا، فإن اتفقا لم يكن كل منهما خالقاً، وإنما يكون الخالق هو الذى نفذ مراده.أما الثانى : ما لم ينفذ مراده فلا يكون خالقاً، كما نقول : اما ان لا ينفذ مرادهما معاً أو ينفذ مرادهما معاً، أو ينفذ مراد أحدهما ولا ينفذ مراد الأخر، إلى غير ذلك من الوجوه التى تجيء فى الاحتمال أو ما يعرف باسم القسمة العقلية، أو الضرورة العقلية.

كما ان الاحتمال يمكن تعريفه بأنه : ما يقع فيه الوجوه المتبدلة التى ترد على منطوق اللفظ الواحد وتكون كلها مرادة على ناحية من النواحى أو من خلال اعتبار من الاعتبارات التى تكون ذهنية أو عقلية أو غير ذلك هى كلها مما يتعاطاه الناس فى حياتهم العملية باستمرار.

ب- فى العلم :

١- يذهب أصحاب فلسفة العلم إلى تعريف الاحتمال بأنه أحد تصورات العلم الأساسية، لأنه يدل على عدم الاتفاق بين العلماء فى معنى معرفى بعينه، ومن ثم فكل جملة من الاحتمالات تسمح بوجود كثرة من الأراء والنظريات[٢].

٢- كما تعرف بأنها : التى توائم بين عدد من الحالات المعروضة بحيث تختار منها ما يرجح عندها[٣]، ومعنى هذا أن الاحتمال يمثل منهجاً من مناهج البحث المعرفى، ما دام قد ارتبط بالقواعد العامة لا التفصيلات القائمة، وهو ما يجعل من

---

١) الأستاذ / صبحى فوزى عبد الرازق : الاحتمال وأثره فى العقيدة الإسلامية.

٢) الدكتور / محمود زكى : فلسفة العلم والمنهج، ص٨١.

٣) الدكتور / حسن عبد العظيم مراد : الاحتمالات بين النظريات التقليدية والتطورية.

الباحث صورة لما يجب أن يكون عليه كل فكر موضوعي، وكل تفكير يقوم على قواعد صحيحة.

٣- ويذهب لابلاس إلى أن الاحتمالات هي مجرد نسبة تعبر عن العلاقة بين عدد من الحالات لحادث من الحوادث متى أريد الوقوف على السبب الأصلي لها أو السبب الذي نشأت عنه[1].

٤- ويذهب برتراندرسل إلى أن نظرية الاحتمال إنما هي التعبير العلمي عن العلاقة المنطقية القائمة بين قضايا ذات صيغة خاصة[2].

٥- ونفس الفكرة يذهب إليها برونوي، وبروتوا، واميل بتروا، وغيرهم، وهي تركز على الفكرة المنطقية السائدة من خلال العلاقات المتبادلة، ولكنها لا يمكنها أن تفسر طبيعة الأشياء، ولا أن تقدم حلولاً عملية للنتائج المترتبة أيضاً.

٦- ويذهب ميزيس وهانذر ورايتشن بأخ بجانب بيتر روس إلى أن نظرية الاحتمالات هي التكرار النسبي الذي يجيء في صفة من الصفات مصاحباً لصنف معين من عناصر المجموعات المتناظرة، ولا يقع بين المجموعات المتنافرة[3].

وهذه النظرية بالمعنى السالف إنما تركز على العلاقة القائمة في مفهوم رمزي له دلالة بعينها بحيث لا تتصرف الفكرة القائمة إلا إليها على وجه الخصوص.

ويقرر كثيرون من علماء الرياضة أن نظرية الاحتمالات هي الفرض الذي يسمح باختيار البدائل المتعددة، فعندما نلقي بأنفسنا إلى الزهر نسأله عن

---

١) لابلاس : التفكير الفلسفي في القرن التاسع عشر والعشرين، ص٢٩، ترجمة : حنان راشد، ١٩٨٣م.

٢) برتراندرسل : فلسفتي، ص٢٣-٢٤.

٣) رايجسل أوزي : الفكر الفلسفي في القرن العشرين، ص٨٣، ترجمة : علية عبد الرحمن، ١٩٩١م.

الاحتمالات وله ستة أوجه، فإن احتمال ورود أحد الأرقام من أول قذفة يمكن أن يتكرر ست مرات، وإذا أردنا أن نسحب من ورق الكوتشينة صورة الولد مثلاً فعلينا أن نفرض أننا سنسحب أربع ورقات من جملة الإثنين والخمسين، وبذا تحقق نظرية الاحتمالات الرياضية تقدماً عالياً فى المجالات المختلفة[١].

ويذكر أن علماء الرياضة لم يتفقوا على تقديم تعريف محدد لنظرية الاحتمال، كل ما أمكن الوقوف عليه أنها نظرية تحتاج البرهنة المستمرة، وكان رسل قد انتقد نظرية الاحتمال الرياضى، وقال أنها تفتقر إلى الاقتناع الذاتى الذى يحتاج إليه دارس الرياضيات عندما يريد الانتقال من خطوة سابقة إلى خطوة لاحقة، أو يسعى لإقامة برهانه الرياضى[٢].

ومهما يكن من شأن فإن نظرية الاحتمالات أمكن تعريفها لدى الفكر الإسلامى، وكذلك عند دعاة العلم وفلسفته، وتبين أن فلسفة العلم لا يمكنها الزعم بسبقها فى إنشاء هذه التعريفات أو تأكيدها بصحة تلك التعريفات بدليل انه ما من فكرة عرضت إلا جاءت التالية لها فنقضتها من أساسها.

من المناسب القول بان بحث موضوعات نظرية الاحتمالات والمنهج الذى يتم دراستها من خلاله بجانب الغايات المنتظرة كل ذلك يحتاج مجهودات أطول ووقتاً أوسع، حتى يتم تناول هذه القضايا تناولاً يسمح لعرضها وما يتعلق بها[٣].

---

١) بيتر رايس : نظرية الاحتمال الرياضى، ص٢٣-٢٤، ط ٢، ترجمة : إيمان فوزى، ١٩٨٣م.

٢) الدكتور حسن محمود وجدى : نظرية الاحتمالات الرياضية بين النافيين والمثبتين، ص٨١، ط أولى، الموصل، ١٩٧١م.

٣) يمكن لطالب المزيد المراجعة إلى : المدخل إلى فلسفة العلوم للدكتور : محمد قاسم، ومحاضرات فى فلسفة العلوم للدكتور : محمد ثابت الفندى، وكذلك : العلم يدعو للإيمان، كريس مورسون، وغيرها من المؤلفات التى عنيت بهذا الجانب، بالإضافة إلى المنطق وفلسفة العلوم لبول موى الذى قام بترجمته الدكتور : فؤاد زكريا.

الفصل الرابع

دور النصوص الإسلامية
في بناء الفلسفة العلمية

عرفنا أن الحكمة الإسلامية وليدة المحاولات الفكرية التى قام بها المفكر المسلم فى تفهم النصوص الإسلامية الغير قطعية فى دلالتها ، ولكن أغلب الدارسين لتاريخ الفلسفة ممن ينقادون لآراء غيرهم ، أو ينقلون وجهات نظر الآخرين من غير نظر فيها بعين ناقدة أو تفهم للعواقب يذهبون إلى أن الحكمة الإسلامية أو الفلسفة الإسلامية قامت على الفلسفة اليونانية فى بغداد أيام حكم الخليفة المأمون[1] ، فهى وليدة الفلسفة اليونانية ، وليست معبرة عن الفكر الإسلامى .

وربما نستدل على أنهم أمعة وأنهم ينقلون حرفيا عن غيرهم ، فيرددون بأن أهم حادث فى تكوين الفكر الفلسفى الإسلامى هو لقاؤه بالفلسفة اليونانية ، ويزعمون أن هذا أمر لا ينكره الا مكابر[2] ، وهى أحكام جائرة ، وتمثل وجهات نظر لم تقم على شواهد مقبولة بقدر ما هى ظنون وأوهام تناقلوها اعتمادا على أن تقليد الكبار فضيلة ، والتفكير فيما يقولونه أكبر جريرة .

ولو وقفوا عند ذلك الحد لكان شأنا يخصهم ، غير أنه لما انتقل الأمر معهم إلى الحكم على الفكر الإسلامى فى أحد جوانبه الإبداعية[3] ، فان المسألة قد خرجت من وجهة النظر إلى الأحكام التى لابد من مقابلتها على سبيل المواجهة المفروضة ، وبيان فسادها ، وذلك يقتضى منا الحديث عن عوامل نشأة الحكمة الإسلامية ، لما هو ثابت عندنا من أن العامل الأساسى فى تكوين الفكر الإبداعى الإسلامى هو النقل المنزل نفسه .

---

(١) شاخت وبوزورث - تراث الإسلام جـ٢ ص٦٢ ط ثانية ١٩٨٨ - سلسلة عالم المعرفة بالكويت .

(٢) الأستاذ عبدالقادر عبدالقادر السيد البحراوى - أثر الفلسفة السينوية والرشدية فى أوربا أبان العصور الوسطى ص٢٠ - رسالة ماجستير - بكلية الآداب جامعة الزقازيق ١٩٨٠م .

(٣) والمعروف عندنا نحن المسلمين أن الفكر الإسلامى قائم على تفهم النقل الدينى الإسلامى ، وبالتالى فكل جوانبه إبداعية - راجع كتابنا التفكير الإنسانى أصوله ومستوياته

كما لقاء الفكر الإسلامى بالفكر الأخر لا يلزم منه تبعية أحدهما للآخر ، ولا تأثير أحدهما فى الأخر ، وإذا افترض فان النسبة -كما هى متصورة فى استفادة الفكر الإسلامى من غيره ، فإنها أيضا متصورة فى تأثر الفكر الأخر بالإسلامى بنفس القدر ، والاحتمال الوارد فيهما واحد ، بحيث يمكن القول بأن الفكر الإسلامى هو الذى أثر فى الفكر اليونانى باعتبار أن الفكر اليونانى غير موثق فى مصادره ، أما الفكر الفلسفى الإسلامى فهو موثق فى مصادره الإسلامية التى لا يمكن لعاقل مهما كان مستواه الفكرى أن ينكرها .

ومن الدلائل عليه ان الفارابى الفيلسوف المسلم[1] ، وأقدم فيلسوف مسلم منظم بعد الكندى قد اتفق جلة الثقاة على أن فلسفة الفارابى فلسفة إسلامية خالصة لا غبار عليها رغم أنه قرأ الفكر اليونانى وفهم مضامينه ، ألا انه استقل عنه فأضاف الحكمة الدينية إلى مسائل الحكمة المنطقية ، وأدخل مسألة التوفيق بين العقل والوحى فى حسابه[2] ، ولم تكن معروفة لدى فلاسفة الإغريق أو غيرهم ، وإنما هى وليدة المحاولات الإسلامية الجادة فى ذلك الجانب الإبداعى .

۞ ولست أوافق الدكتور محمود قاسم[3] ، على أن الفارابى قد تأثر بأفلاطون اليونانى عند محاولته إقامة المجتمع المثالى ، وتقسيم المدينة الفاضلة باعتبار

---

(١) ذهب ابن خلكان فى وفيات الأعيان أن الفارابى توفى سنة ٣٣٠هـ الموافق ٩٥٠ ميلادية ، ورجح أن يكون ميلاده فى ٢٥٩هـ الموافق ٨٧٢ ميلادية ، بعد خصم المدة التى عاشها من التاريخ الذى مات فيه ، وأغلب الناقلين عليه يسرون ، غير أنى أرجح رأيا آخر سأفصح عنه ان شاء الله تعالى فى دراسة أخصها بالحديث عن الفارابى وحده كمفكر مسلم ، وحكيم مؤمن ظلمه بعض الناس حيا وقسوا عليه ميتا .

(٢) الأستاذ عباس محمود العقاد - التفكير فريضة إسلامية ص٦٥ الهيئة المصرية العامة ١٩٩٨م .

(٣) هو الدكتور محمود محمد قاسم من كفر الدنوهيا مركز الزقازيق محافظة الشرقية بمصر ، وهى قرية قريبة من قريتنا غزالة الخيس ، نشأ فيها وتعلم فى كتاتيب تحفيظ القرآن ، ثم التحق بالأزهر الشريف ، وأتم دراسته الجامعية بكلية دار العلوم ، ثم سافر إلى فرنسا وحصل على درجة الدكتوراه فى نظرية المعرفة عن ابن رشد ، عمل أستاذ بجامعة القاهرة ، وظل يرقى حتى صار عميدا لكلية دار العلوم ، وله العديد من الأبحاث العلمية المهمة ، انتقل إلى رحمة الله تعالى فى ثمانينيات العقد السابع من القرن الماضى ، رحمه الله ، وطيب ثراه .

الأعضاء، ومراتب الناس، وتقسيم السلطة السياسية إلى رئيس ومرءوس[١]، لأن الفارابي كان مستقلا تماما، ويبدو أنه في محاولته نفي التبعية عن ابن رشد انفلتت منه العبارة، فأوقع فيها الفارابي وابن سينا، وذلك ما نراه على غير قبول عندنا، إذ نفي التهمة عن برئ لا يلزم منه إلحاقها ببريء آخر، وإلا فإن نفيها لم يتم لا على الأول ولا على الثاني، ولا على ألف غيرهم، لأن المسألة لا تتعلق بأشخاص، وإنما تتعلق بالأفكار.

في نفس الوقت فإن تقابل الثقافات أمر طبيعي، واختلاطها ببعضها أمر وارد، لكن وجود قواعد ثابتة لكل منهما مما لا ينكره صاحب تفكير منظم، لأن تلك القواعد في الغالب الأعم تكون لصالح البيئة التي وجدت فيها هي والمفكر ذاته أولا، وتعالج المشكلات التي يمكن أن تطرأ في ذات البيئة، فالثقافة الإنسانية وليدة بيئتها، وأن نقلت إلى غيرها، فإنها تكون غريبة عليها وتحتاج عنصر المواءمة بين الأصل الذي نشأت فيه، والفرع الذي نقلت اليه.

بيد أنه من المعروف عدم وجود نظريات متكاملة في الدين لدى اليونان، إذ هم لم يعرفوا نعمة الوحي، فكان التشاؤم ديدنهم، وأفتتهم فكرة قصر الحياة، وفناء الفردانية فناء كاملا، فكان الدين اليوناني في مجموعه دينا متخيلا، وأساطير غامضة، وتصورات مريضة[٢]، لا يمكن أن يقوم عليها فكر في منظم مجال الميتافيزيقا التأملية، كما لا يمكن قبوله في مجال الميتافيزيقا النقدية أيضا، لعدم قيامه على قواعد ثابتة مطردة مستندة إلى أصول صحيحة على ناحية الشرع، أو ناحية العقل الصحيح.

---

(١) يقول الدكتور محمود قاسم: "ومن الواضح أن الفارابي قد تأثر في هذه المسألة بآراء أفلاطون" المنطق الحديث ومناهج البحث ص٣٦.

(٢) الدكتور علي سامي النشار - نشأة الفكر الفلسفي في الإسلام جـ١ ص٢٩.

بينما الفكر الإسلامي يقوم على النصوص الإسلامية وأعني بها النقل المنزل، وهي متكاملة، صحيحة سليمة، خالية من الخرافات، وليس فيها شيء من الأساطير، والفكر الذى يقوم عليها لا يمكن له أن يفترق عنها، فثبت أن الفكر الإسلامي مستقل تماما عن غيره من أنواع الفكر الأخرى، وتلاقى الفكر الغامض القائم على الأساطير والخرافات، لا يمكن أن يؤثر فى الفكر الواضح القائم على الأصول الثابتة أبدا، وإلا كان صاحب القول يريد اعتبار نفسه عضوا فى جماعة غير العقلاء[1]، الذين لا هم لهم الا اثارة المشاكل، وهدم القواعد الثابتة.

بل العكس من ذلك هو الصحيح، فان العقل السليم يحكم باحتياج الفكر الغامض ذى التصورات الساذجة، إلى الفكر الصحيح ذى القواعد الثابتة القويمة، حتى يكون الثاني كالميزان للأول، يزن به قضاياه، ويضبط به نتائجه، ويسترشد به فى معرفة المناهج التى توصله إلى الغايات المنشودة فى أمان، بعيدا عن الهوى فى العثرات التى لا يضمن عدم السقوط فيها، أو الكبوات التى لا علم له بمواطنها وأخطارها.

۞ ولنا فإني أرى استقلال الفكر الإسلامي والحكمة الإسلامية عن غيرها فى كل من المصدر، والمنهج، والغاية، والنتائج، بجانب الموضوعات المطروحة للمعالجة، عن كل فكر آخر تماما سواء كان ذلك الفكر منسوبا لليونان أو الهنود والصينيين أو غيرهم.

كما أن الدراسة المتأنية توضح مسألة دقيقة على قدر كبير من الأهمية فى المسألة: وهى أن الرسول ﷺ حين بعثه الله رب العالمين، نبيا ورسولا وخاتما، لم يبعثه فى أمة غريبة عنه – رغم أن رسالته عامة، ونبوته خاتمة كل الإنس

---

(١) لأن من ينكر البدهيات: لم يجادل فى الضروريات لا يعتبر من جماعة العقلاء، حتى وإن حالفهم، لو انقضى عمره

والجن[١] – وإنما بعثه رب العالمين فى أمة تعرفه ويعرفها نسبا وثقافة، صحة ودواء، ديانة وسلوكا، فهو واحد منهم وهو عضو فيهم، لم يكن قد عرف ثقافة غير ثقافتهم، ولا كان له علم بما يجرى عند غيرهم.

وفوق ذلك فقد كان ﷺ أميا على فطرته التى خلقه الله تعالى عليها[٢]، فاحتمال وجود أرضية لديهم تنشأ عنها ثقافة غير عربية أمر غير وارد، ولا يوجد احتمال واحد يؤيده.

❁ ونحن نرى أن لفظ الأمى يأتى على معان عدة منها:

[أ] الذى لا يقرأ له أحد أو يكتب، وإذا قرأ له أحد أو كتب فهو لا يفهم، فأميته قائمة على نقص فى القدرات العقلية التى هى ضرورة لمن يفهم ما يقرأ له، أو يكتب، وذلك المعنى يطلق على أصحاب الأعذار العقلية، ولا يمكن نسبته إلى خير البرية ﷺ.

[ب] الذى يتبع أمه لصغر فيه عن المفارقة لها، فهى مخدعه الأمن، ومطعمة المنى، ومشربه الطارع، وهى له كل شىء، وإذا غابت عنه أو انفصلت أوشكت حياته على الفناء، فأميته هى نقص فى الإمكانيات المادية، وعجز الملكات الجسدية، وهو حال الأطفال فى سن الرضاعة.

[ج] الأمى الذى لم تلوث معارفه، ولم تصب بالأرجاس عقيدته، ولم تحدث اضطرابات فى عقله أو جسده أو فؤاده ونيته، فهو أمى لأن فطرته ما تزال

---

(١) فى الحديث الشريف، إنما بعثت للأحمر والأسود، وقوله ﷺ «وكان كل نبى يبعث إلى قومه خاصة، وبعثت إلى الناس كافة»، وفى القرآن الكريم قوله تعالى ﴿ وما أرسلناك إلا كافة للناس بشيرا ونذيرا﴾ ﴿وما أرسلناك إلا رحمة للعالمين ﴾ (سورة الأنبياء الآية ١٠٧).

(٢) قال تعالى ﴿ الذين يتبعون الرسول النبى الأمى الذى يجدونه مكتوبا عندهم فى التوراة والإنجيل يأمرهم بالمعروف وينهاهم عن المنكر ويحل لهم الطيبات ويحرم عليهم الخبائث ويضع عنهم إصرهم والأغلال التى كانت عليهم ﴾ سورة الأعراف الآية ١٥٧

نقية كأنه قد ولد من أمه الآن مع قدرته على فهم ما يلقى اليه، ومخاطبة من يحب الحديث اليه، ومعرفته بحقائق الأشياء حتى يمكنه وزن الأمور المتقابلة، والفصل فى القضايا المتشابهة، وإصدار الأحكام المعقولة فى المسائل المتعارضة، وقدرته على التوجيه للآخرين ومقارنتهم فى الأمور التى تصلح لهم حال دينهم ودنياهم، وهو ما نفهمه من وصف النبى محمد ﷺ فى القرآن الكريم بأنه أمى فى قوله تعالى: ﴿ الذين يتبعون الرسول النبى الأمى الذى يجدونه مكتوبا عندهم فى التوارة والإنجيل يأمرهم بالمعروف وينهاهم عن المنكر ويحل لهم الطيبات ويحرم عليهم الخبائث ويضع عنهم إصرهم والأغلال التى كانت عليهم فالذين آمنوا به وعذروه وأتبعوا النور الذى أنزل معه أولئك هم المفلحون﴾.

[د] الأمى هو الذى لا يقرأ بنفسه، ولا يكتب، وان كان يفهم ما يلقى اليه على مستواه ويكتب له غيره تعبيرا عن ما يجرى فى أعماقه أو هواه كالعوام من الناس الذين لم يكتبوا أو يقرأوا، ومكفوفى البصر الذين لا تمكنهم ملكاتهم البصرية من القراءة بأنفسهم، ولكنهم فى نفس الوقت يفهمون وعلى غيرهم يملون، وفيهم علماء، وبينهم حكماء، ومنهم فقهاء على شرع الله قائمون، فأميته ليست عجزا فى آلة، وإنما هى أمية ملكة.

فى نفس الوقت فان البعثة النبوية المباركة قد أحيطت بالوحى الإلهى متمثلا فى القرآن الكريم، والحديث النبوى الشريف، وفيهما الغنية، ومعهما الاكتفاء للعقل والروح والوجدان فى كل المسائل التى يجد فى طلبها، أو يسعى فى التعرف عليها، وظل الحال كذلك – وسيظل ان شاء الله تعالى – مدة حياة الرسول ﷺ فى أصحابه وأستمر فى أصحابه من بعده يترى فى الخلفاء الراشدين[1]، والصحابة الأطهار المكرمين والأتباع الأخيار المبرزين.

---

(١) راجع كتابنا – لماذا انتشر الإسلام جـ٢ ص١٩٥ وما بعدها، ففيها حديث طويل عن التزام الصحابة منهجا متسقا مع النصوص القرآنية والحديثية فى تناول القضايا التى تحدث لهم الظروف بتناولها.

وهي الفترة التي برز فيها الفكر الإسلامي وأخصب ثم استوى على سوقه غضا قويا أصيلا لغير الإسلام لم ينتسب، وهو المفهوم الذي يمكن التعرف عليه من الحكمة الإسلامية في المفهوم والدلالة من الرأس حتى العصب، ونحن نذهب إلى هذا الرأي ونؤكد عليه، نقف عنده مع تقديرنا لرأي المخالف.

« ومما لا خلاف عليه أن العرب نشأوا من بلاد أصحى سماء، وأسطع فضاء من البلاد الأوربية، وأنهم سبقوا أبناء البلاد القاتمة، والآفاق المحجبة إلى رصد النجوم، ومراقبة المطالع والمغارب في القبة الزرقاء، لأنهم على سهولة الرصد عندهم كانوا في حاجة دائمة إلى توسم المطر، وترقب الأنواء، والخبرة بمواقيت الأدلاج والإسراء في رحلاتهم الطويلة في الصحراء[١]، وكان لهم ولع بالعلوم والمعارف التي تمكنوا منها، أو تطلعوا إليها »

ثم أن الجزيرة العربية كان قد نزح إليها اليهود قبل الإسلام، ونشروا فيها التعاليم التي كانوا يعتقدونها، ومنها « تاريخ عمرو خلق الدنيا[٢]، ومن أمور البعث والحساب والميزان ونشروا تفاسير مفسريهم للتوراة التي بأيديهم وما أحاط بها في كتابتها من أساطير وخرافات كالتي أدخلها – بعد – من أسلم من اليهود مثل كعب الأحبار، ووهب بن منبه وأضرابهما[٣]. وكذلك كان لليهود أثر كبير في نقل اللغة العربية، فقد أدخلوا عليها كلمات كثيرة لم يكن يعرفها العرب من قبل، ومصطلحات دينية ولفظية لم يكن لهم بها علم سابق...... ».

---

(١) للأستاذ عباس محمود العقاد – أثر العرب في الحضارة الأوربية ص١٦ – النهضة المصرية ١٩٩٨م.

(٢) راجع كتابنا – الإلحاد بالغيب وأثره على الفكر الإسلامي فقد انتهينا فيه إلى اضطراب الآخرين القائلين بقدم عمر الدنيا، وبينا أنها أزلية [illegible] على الناحية الشرعية، ومخالفة على الناحية العلمية أيضا.

(٣) يذهب بعض المؤرخين إلى عدم تحويل مسألة أهل الكتاب وسمعهم حتى من شيوخ الصحابة، بينما يميل المحدثون إلى التصديق، ونحن نرى أن الأمر بين ما كان من مروياتهم قبل الإسلام، فهو النقل الصحيح، أما بعد إسلامهم فقد صاروا من الصحابة الذين [illegible] عليهم رسول الله ﷺ، فما حكي عنهم مرفوعا، فهو محتمل الحديث الشريف "أصحابي كالنجوم بأيهم اقتديتم اهتديتم" – راجع درء تعارض العقل والنقل لشيخ الإسلام ابن تيمية، وكتابنا عقيدة رفع عيسى ﷺ ونزوله عند الإسلام والمسيحية – الطبعة الرابعة.

أضف إلى هذا ان اليهودية حلت بجزيرة العرب بعد أن تأثرت بالثقافة اليونانية تأثرا كبيرا، لأنها ظلت قرونا طويلة تحت الحكم اليوناني الروماني، ولأنها كانت منتشرة في الإسكندرية وعلى شواطئ البحر الأبيض حيث الثقافة اليونانية، وكان من أحبار اليهود من تعلم الفلسفة اليونانية وتأدب بآدابها فتسربت تلك الثقافة إلى اليهودية، كما تسربت اليها بعض مبادئ القانون الروماني[1]، وبالتالي تكون علاقة التأثر قائمة بين الفكر اليهودي واليوناني لا بين الفكر الإسلامي واليوناني.

كما أن هذه الثقافة اليهودية لم يكن العرب يحفلون بها قبل الإسلام إذ كانوا ينظرون اليها نظرة تتناسب مع موقفهم من سلوكيات القائمين عليها، وكان حرص اليهود على التملك والغلبة وتكوين قبائل خاصة بهم، ومحاولة فرض سلطانهم على جزيرة العرب من العوامل التي نفرت العرب منهم، وكذلك دفعت بهم إلى موقف الرفض لكل من ثقافتهم الدينية والأدبية، بل معها التاريخية والقانونية التي هي خليط ممتزج بالثقافة اليونانية[2]، وغيرها من الثقافات الأخرى.

بل يذهب بعض الباحثين إلى أن الثقافة اليونانية لم تكن وحدها التي قبس منها اليهود، وإنما كانت هناك ثقافات أخرى بعضها محدد الملامح بين المعالم، والبعض الأخر مجهول الأصول التي قام عليها، كما لم يكن اليهود وحدهم هم الذين قبسوا من اليونان ومن غيرهم، وإنما قام الفرس في الزمن القديم بترجمة بعض المؤلفات من المنطق والطب إلى الفارسية، وقام عبدالله بن المقفع وآخرون بترجمة بعض هذه الأعمال فيما بعد إلى العربية[3]، فهي ثقافة مجهولة المصدر ولا

---

(١) الأستاذ أحمد أمين – فجر الإسلام ص٤٢ ط الهيئة المصرية العامة ١٩٩٦م.

(٢) الأستاذ أحمد أمين – ضحى الإسلام ص٣٣٠ بتصرف يسير ط ٨ مكتبة النهضة المصرية.

(٣) فردريك روزنتال – التراث اليوناني في الحضارة الإسلامية ص٩٧ – ترجمة الدكتور عبدالله حسن المسلمي.

يمكن نسبتها إلى مصدر منها بعينه وإهمال غيرة وإلا كان نوعا من التحكم الذى لا مبرر له ، وفى نفس الوقت فلا دليل عليه .

وقد يفترض العقل انسلال تلك الثقافات إلى البيئة العربية ، وهو فرض محتمل على ناحية الانسلال فقط ، لكنه غير مقبول على ناحية الاستقلال بالتأثير فى هذا الفكر العربى التليد ، الذى تقفز فوق كل اعتبار ، لما هو معروف عند العرب من حبهم لمعارفهم وتمسكهم بها وعدم قبولهم الانصهار فى بواتق الآخرين .

فى نفس الوقت فإن الشرق والغرب قد اختلطا قديما فى الإسكندرية ، وامتزجت آراء روما واليونان والشام فى المدنية والعلوم والدين بآراء الشرق الأقصى فى ذلك – قبل الإسلام – من ثم نشأت قضية جديدة عمل على إيجادها بحث الغرب والمام الشرق ، وفى تلك الفترة اتصل الدين بالفلسفة اتصالا وثيقا[1] ، واختلط كل منهما بالآخر إلى حد الذوبان

بينما كان العرب أصحاب إمدادات واتصالات روحية حيث بحثوا القضايا الميتافيزيقية وكان منهم الحنفاء كزيد بن عمرو بن نفيل الذى اعتزل عبادة الأوثان ، وامتنع عن ذبائحها[2] أو التقرب لها ، فضلا عن أن يعبدها ، أو يأكل من ذبائحها ، أو يعظم القائمين على عبادتها ، أنه لم يدخل يهودية ولا نصرانية ولا غيرها ، وفارق دين قومه ولم يقرهم بما كانوا يقومون به ، من عبادة لها ، أو تقدير واحترام ، فضلا عن أن يتمسك بها ، وأثر عنه – وهو شيخ كبير – أنه كان يسند ظهره للكعبة ، ثم يقول يا معشر قريش ، والذى نفس زيد بن عمرو بيده ما أصبح منكم أحد على دين إبراهيم غيرى .

---

(١) الأستاذ أحمد أمين – فجر الإسلام ص٤٢

(٢) العلامة أبو الفرج الأصفهانى – الأغانى جـ٣ ص١٢٣ وما بعدها ففيها حديث مستمر عن هذا الفكر العربى الساطع الصحيح .

وكان إذا استقل راحلته يقول اللهم لو أنى أعلم أى الوجوه احب إليك عبدتك به ، ولكنى لا أعلمه ، ثم يسجد على راحلته[١] ، وظل على ذلك الحال حتى مات قبل البعثة المباركة . فهل يمكن بعد ذلك أن يقال أن العرب تأثروا فى أفكارهم باليونان أو اليهود أو غيرهم ؟

۞ كما أن زيدا هنا كان يشدو بقضاياه فى مجال الفلسفة التأملية - إن جاز التعبير - فيقول :

وأسلمت وجهى لمن أسلمت ∴ له الأرض تحمل صخرا ثقالا
دحاها فلما رآها استوى ∴ على الماء أرسى عليها الجبالا
وأسلمت وجهى لمن أسلمت ∴ له المزن تحمل عذبا زلالا
إذا هى سيقت إلى بلدة ∴ أطاعت فصبت عليها سجالا[٢]

وهو اتجاه فى الفكر العربى لم يكن معروفا لدى اليونان أو فى بلاد الهند كما لم يكن ملموسا عند دعاة الفكر اليهودى الوثنى الذين حرفوا تعاليم الله تعالى لموسى ﷺ واستبدلوها ، وارتضعوا الثقافات المختلطة من اليونان وفارس وغيرها ، وفى نفس الوقت فان ذلك الفكر العربى الخالص يمثل استقلالا - من البداية - للفكر العربى التأملى عن غيره .

۞ تلمح ذلك فى رثاء ورقة بن نوفل لزيد قائلا :

رشدت وأنعمت ابن عمرو وإنما ∴ تجنبت تنورا من النار حاميا
بدينك ربا ليس رب كمثله ∴ وتركك أوثان الطواغى كما هيا
وإدراكك الدين الذى قد طلبته ∴ ولم تك عن توحيد ربك ساهيا
فأصبحت فى دار كريم مقامها ∴ تعلل فيها بالكرامة لاهيا
تلاقى خليل الله فيها ولم تكن ∴ من الناس جبارا إلى النار هاويا
وقد تدرك الإنسان رحمة ربه ∴ ولو كان تحت الأرض سبعين واديا[٣]

---

(١) العلامة ابن هشام - سيرة النبى محمد ﷺ جـ١ ص٢٢٥ - تحقيق الأستاذ الأبيارى وزميله

(٢) المصدر السابق جـ١ ص٢٣١

(٣) راجع الأغانى جـ٢ ص١٢٤ وما بعدها ، وسيرة ابن هشام جـ١ ص٢٣١/٢٣٣ .

ورجل كهذا يتمتع بعقلية كهذه فيها النضج العقلي، والتميز الفكري الذي انطلق في مجال الميتافيزيقا التأملية، كما انطلق في مجال الميتافيزيقا النقدية، ولا يمكن أن يجحد أحد حقه، أو ينسب كلامه إلى غير أهله.

ﷺ وربما نستأنس له بما ورد في صحيح الإمام البخاري عن أسماء بنت أبي بكر رضي الله عنهما قالت: رأيت زيد بن عمرو بن نفيل قائما مسندا ظهره إلى الكعبة وهو يقول:

يا معشر قريش والله ما منكم أحد على دين إبراهيم غيري، وكان يحيي الموءودة، يقول للرجل إذا أراد أن يقتل ابنته لا تقتلها، أنا أكفيك مؤنتها، فيأخذها منه فإذا ترعرعت قال لأبيها إن شئت دفعتها لك، وإن شئت كفيتك مؤنتها[1] من غير مقابل.

فكان زيد مثالا للعقلية العربية الأصيلة والثقافة الناجية الإلهية، والإلهام الوجداني الذي أضاء جوانب النفس الإنسانية رحمة ومحبة، ونورا ومودة، حتى ذكر بعض أصحاب السير أن ابن زيد واسمه سعيد سأل رسول الله ﷺ أنستغفر لزيد بن عمرو فقال النبي ﷺ نعم فإنه يبعث أمة وحده[2]، لأنه في ذات الوقت كان يعيش وحده.

وكان في العرب كثيرون من أمثال زيد بن عمرو بن نفيل، وفيهم ورقة بن نوفل بن عبد العزى[3]، وعمرو بن عبسة السلمي وكثير غيرهم، وقد ظلوا على ذلك الحال من الاستقلال الفكري والتأمل الروحي والانطلاق نحو الملأ يستشرفون ما فيه، ويتطلعون إليه، فكانوا بمثابة التيارات الفكرية في الجزيرة العربية قبل الإسلام من غير أن يتأثروا بثقافة اليهود أو اليونان، أو الفرس، كما لم تلههم ثقافة النصارى، وبالتالي فإن الفكر الذي احتووه كان عربيا خالصا.

---

(١) راجع فتح الباري بشرح صحيح الإمام البخاري لشيخ الإسلام ابن حجر ص١٤٢ باب حديث زيد بن عمرو بن نفيل.

(٢) شيخ الإسلام ابن كثير - سيرة ابن كثير ص١٢٦ - السيرة الحلبية ص١٤٧.

(٣) هو ابن عم أم المؤمنين خديجة بنت خويلد رضي الله عنها زوج النبي ﷺ.

فلما جاء الإسلام لم يعبأ العربى بثقافة اليهود ، ولا ثقافة دعاة المسيحية ، وبالتالى فانه لم يهتم بثقافة اليونان من باب أولى ، وإنما جعل اهتمامه كله بالنصوص الدينية الإسلامية فقط ، وكان المسلمون يبتعدون عن تلك الثقافات كلها – أول الأمر – التزاماً بتعاليم الله تعالى فى كتابه ، وما جاء على لسان رسوله سيدنا محمد ﷺ من ذلك قوله ﷺ لا تُصدقوا أهل الكتاب ولا تكذبوهم ، وقولوا آمنا بالذى أنزل إلينا وأنزل إليكم ، وإلهنا وإلهكم واحد[١] .

ومتى كان ذلك الشأن من ثقافة اليهود التى امتزجت باليونانية والوثنية المختلفة ، فان الأقرب للصواب هو الحكم بعدم تأثر الحكمة الإسلامية بالفكر اليونانى أو اليهودى ، ولا النصرانى ، وإنما كان تأثرها بالنقل المنزل وحده وبخاصة فى مراحله الأولى ، ثم أضيف اليه الفكر الإسلامى الذى قام به المفكر المسلم فى فهم التعاليم الإسلامية ، ولم يخلطها بشىء آخر حتى يقال انه قد تأثر به ، أو كان أحد العوامل التى ساعدت على وجوده كفكر متميز له أصالة واستقلال .

فالإسلام الدين الخاتم له قواعده الثابتة فى كل الجوانب العقدية ، والتشريعية بل والأخلاقية أيضا جاءت بها النصوص الإسلامية ، وهى فى ذات الوقت قواعد عامة يقوم عليها النظام الإسلامى فى جميع جوانبه المألوفة والمستجدة تيسيرا على الناس ورفعا للحرج عنهم ، وإثباتا للحقوق والواجبات وذلك بغرض رعاية مصالح الناس عامة ، لأنه دين عالمى خالد .

إذن التشريع الإسلامى له حكمه خاصة به مستقلة عن غيرها ، تحقق العدالة المطلقة بين الناس جميعا مسلمين وغير مسلمين فى الدنيا [٢] ، وتدفع لتحقيق

---

(١) وهنا أخذ القائلون بعدم تصديق مسلمة أهل الكتاب ، ولكن الآخرون حملوا الحديث على معان أخرى ، كما انطلقوا إلى التأويل حسب القواعد التى ساروا عليها ، ويمكن الرجوع اليها فى مظانها

(٢) الدكتور محمد يوسف موسى – الإسلام وحاجة الإنسانية اليه ص٢٢٢ بتصرف يسير .

السعادة الدائمة فى الآخرة ، وتلك وليد النصوص الإسلامية التى هيأت العقل المسلم لبذل الجهود ، وأخذت به إلى حيث ضمنت له - انه هو التزم بها[١] - صدق النتائج مما حدا به إلى الاندفاع المتوازن نحو التفكير المنتظم والتأمل العقلى السليم .

بل صار التفكير المنظم بالنسبة للمسلم فريضة إسلامية ، وليس ترفا عقليا ، وقد مارسه المفكرون المسلمون حتى كان الواحد منهم ينبرى للطوائف الضالة فيبصرها طريق الهدى ، ويضع أيديها على ملمس العقيدة الساحر الذى به الفوز وعليه النجاح ، فكان أصحاب المذاهب ومن على شاكلتهم من أئمة الإسلام المخلصين صادقين فى دعواهم مؤمنين بالوصول إلى غايتهم مهما طال الأمد وانفسح الطريق[٢] .

وما دام الأمر كذلك فان الحضارة الإسلامية وليدة ثمرات العقل المسلم وتأملاته المستمرة فى النقل المنزل ، وبخاصة النصوص الاحتمالية فى دلالتها ، وتجربة المسلمين فى مختلف نواحى الحياة الدنيا ، التى يستطيع العقل الإنسانى أن يدرك حسنها أو قبحها ، نفعها أو ضررها ، دون عجز أو قصور[٣] ، باعتبار أن نتائجها على حكم الشرع مأمونة .

بيد أن تلك المسألة الفنية الدقيقة لم تقتصر عند المسلمين على جانب واحد من جوانب المعرفة الإنسانية ، وإنما شملتها من كل جانب فى الطبيعة والطب والموسيقى ، كما هى فى الأخلاق والحكم والأمثال أو الفقه والنحو والبلاغة والأدب ، أو فى مجال العلوم الفيزيائية والميتافيزيقية

---

(١) راجع كتابنا - لماذا أنتشر الإسلام جـ١ ص١٩٣ .

(٢) الأستاذ حفنى شرف - الحقيقة الكبرى فى الرد على المغرضين ص١٩ ط المجلس الأعلى للشئون الإسلامية - العدد الثانى والعشرون .

(٣) الدكتور محمد عمارة - الإسلام والعروبة ص٥ الهيئة المصرية العامة للكتاب ١٩٩٦م .

وفريضة التفكير جاءت فى القرآن الكريم شاملة العقل الإنسانى بكل ما احتواه من هذه الوظائف بجميع خصائصها ومدلولاتها، فهو يخاطب العقل الوازع، والعقل المدرك، والعقل الحكيم، والعقل الرشيد، ولا يذكر العقل عرضا مقتضبا، بل يذكره مقصودا مفصلا على نحو لا نظير له فى كتاب من كتب الأديان[1]، التى سبقت، ولم يحفل به أى كتاب أخر غير القرآن الكريم الذى هو كلام رب العالمين بلفظه ومعناه، والحديث الشريف الذى هو كلام الله تعالى بمعناه.

من ثم فان الإسلام له رسالة بجانب العقيدة والشريعة هى إقامة نظام جديد، سياسى واجتماعى، يقوم على الترابط والتآخى والإيثار، واستبعاد سيطرة الإنسان على الإنسان، واستبدال سلطة الملك بسلطة الضمير والضمير هو الحى الصاحى فى الإنسان، وهو الذى يوجه الإنسان فى كل تصرفاته، وهو الذى ينظم المجتمع ويضمن قيام الأمة الفاضلة، ولا يكون ذلك الا فى الضمير الإسلامى[2].

ومنطقة الضمير هذه من الدوائر الفنية التى تدفع المرء إلى دائرة التفكير حتى يعيد صياغة آرائه من جديد، ولم يشر كتاب غير النقل المنزل، كما لم يعرف فكر أخر هذه المنطقة الا الفكر الإسلامى، لأنه الوحيد الذى تعرض لها، وأبان عنها وكشف ما فيها.

ﷺ ففى الحديث الشريف قوله ﷺ «استفت قلبك، وإن أفتاك الناس أو أفتوك»[3]، ولا شك أن استفتاء المرء قلبه عملية خاصة به وحده، خالصة اليه،

---

(١) الأستاذ عباس محمود العقاد – التفكير فريضة إسلامية ص١١ الهيئة العامة ١٩٩٨م.

(٢) الدكتور حسين مؤنس – دستور أمة الإسلام ص٢٠ ط الهيئة المصرية ١٩٩٨

(٣) أثر مشهور يجرى من الناس مجرى الحكمة القائمة فى الأمثال، ويستدل به الكثيرون من الناس على الحقيقة الخاصة بالإنسان نفسه، وقد نجح بعضهم فى ذلك نجاحا ملحوظا.

فيها تحريك فكرى وقلبى معا ، إذ سيكون الضمير هو القاضى على ما يخرج من القلب ، والموازن بين الناتج العقلى ، والإلهام الوجدانى ، بحيث يكون المرء نفسه هو السائل لها ، وهو المسئول معها ، وذلك يؤثر على قراراته فيجعلها فى حدود الأصول الشرعية لا إهمالا لها ولا تجاوزا فيها .

وفى الحديث الشريف أيضا قوله ﷺ : « البر ما اطمأنت اليه النفس ، والإثم ما حاك فى الصدر ، وكرهت أن يطلع عليه الناس »[١] ، والاطمئنان من سمات القلب ، كما أن الفزع من حالات النفس[٢] ، أما الحكم على نوع الاطمئنان أو الفزع فان القاعدة المؤسسة له هى الضمير الذى يوقظ صاحبه إذا غفل ، ويؤنبه إذا سها ، ويدفعه إلى الخير ، وينأى به عن جوانب الفساد والشر .

ومتى كان ذلك الضمير مزودا بطاقة إيمانية تغلب نوازعه المادية ، فانه يظل قائما وحارسا يدفع صاحبه إلى الطاعات أداء والتزاما ، كما يدفعه عن المعاصى إهمالا لها وابتعادا[٣] ، مع الحرص على الأخذ بالأسباب التى جعلها الله قائمة فى الحياة وإسنادها إلى مسبب الأسباب جميعا هو الله تعالى .

فى نفس الوقت لم يعبأ الحكيم المسلم بالمواقف السالفة ، كما لم ترهبه الأسماء الكبيرة التى ملأت الساحة شهرة وذيوعا ، وبالتالى فهو يذهب فى نقدها بحرية تامة ، ويوجه إلى ما فيه إصلاح أخطائها ولا يمنعه ذلك من القول بما فيها من صواب ، لأن القاعدة عند المفكر المسلم هى التزام الحق بغض النظر عن قائله[٤] .

---

(١) الحديث مشهور وله روايات عديدة - راجع شرح النشق ، ورياض الصالحين .

(٢) الدكتور سليمان سليمان حبيس - نحو عقيدة قرآنية ص٨٥ .

(٣) هذا ما نراه قائما فى المفاهيم الصحيحة ، ومظاهر النصوص الإسلامية تؤكد ما ذهبنا اليه .

(٤) ومن الأثر المشهور فى ذلك قولهم أن الرجال يعرفون أن الرجال يعرفون بالحق بينما لا يعرف الحق بالرجال .

وآية ذلك أن الشيخ الرئيس ابن سينا ناقش المسائل التى تركها اليونان فى مبادئ الوجود والحكم عليها بأنها مذاهب مستفسدة مثل المنسوب إلى ماليسوس، وبرمانيدس، من أن الموجود واحد غير متحرك سواء كان متناهيا أو غير متناه[1]، وقد حقق نجاحات كبيرة فى نقوداته هذه أسفرت عن نتائج مهمة، أدت دورها الكبير فى إصلاح تلك الملاحظات.

كما يقدم وجهة نظر مستقلة فى الموضوعات التى تناولها الأقدمون من اليونان والتى بان وجه فسادها عندهم، كالطبيعة مثلا، فيقرر رأيا مخالفا تمام المخالفة لفكر اليونان حيث يقول: الطبيعة تقال على وجه جزئى، وتقال على وجه كلى، فالتى تقال على وجه جزئى هى الطبيعة الخاصة بشخص شخص.....

❁ والطبيعة التى تقال على وجه كلى فربما كانت كلية بحسب النوع، وربما كانت كلية على الإطلاق، وكلاهما لا وجود لهما فى الأعيان ذوتا قائمة الا فى التصور، بل لا وجود الا للجزئى.

○ أما أحدهما: فهو ما تفعله من مبدأ مقتضى التدبير الواجب فى أستحفاظ نوع نوع

○ والثانى: ما تفعله من مبدأ مقتضى التدبير الواجب فى أستحفاظ الكل على نظامه[2]، فهو لم يخالف اليونان والأقدمين فقط، وإنما قدم تصوراته الذاتية الدالة على تمكنه من القواعد التى يقوم عليها، وذلك نوع من الجهد الفكرى المتواصل التى يقوم بها المفكر المسلم على سبيل الأصالة والاستقلال.

إذن التفكير الإسلامى قائم فى الحكمة الإسلامية، التى عمادها النصوص الدينية الإسلامية، وبالتالى فان عوامل نشأة التفكير الإسلامى هى إسلامية خالصة، فيها الأصالة قائمة، ويمكنك أن تلمس تلك الأصالة عند المقابلة بين

---

(١) الشيخ الرئيس ابن سينا - الشفاء - الطبيعيات - السماع الطبيعى ص٢٦ - تحقيق الأستاذ سعيد زيد - مركز تحقيق التراث ابن سينا الهيئة المصرية ١٩٨٣م.

(٢) المصدر السابق - السماع الطبيعى ص٢٩.

الجماعة المتدينة ، والجماعة التي لا دين لها ، أو التي تعتصم من الدين بركن وكين ، كذلك تلمس تلك الأصالة عند المقابلة بين فرد يؤمن بالعقيدة الإسلامية ، وأخر معطل الضمير ، مضطرب الشعور ، يمضى فى الحياة بغير محور يلوذ به ، وبغير رجاء يسمو اليه[1] ، وهو نفسه الفارق بين الفكر الإسلامي ، وغير الفكر الإسلامي والفارق بين المفكر المسلم وغيره .

۞ وفى تقديرى : أن اتهام الفكر الإسلامي بالتبعية لفكر الإغريق أو غيرهم إنما يعبر عن رغبة تجرى فى نفوس خصوم الإسلام الذين لم ينالوه كدين ، فحاولوا النيل منه كفكر ، فقدموا أباطيل مموهة ، وشبهات مزوره ، فالمنافق العليم والعدو ذو الكيد العظيم ، قد يصور لهم الباطل فى صورة الحق ، ويلبس الإضاعة فى ثياب الحزم[2] ، وربما وقع عليه الأغرار فاعتبروه قاعدة وعليها أقاموا أوهامهم ، بينما الحق واضح فى استقلال الفكر الإسلامي عن غيره ، وقد ألمحنا إلى ذلك فيما سبق ذكره .

۞ وقد ذهب أحد الباحثين إلى أن نشأة الفلسفة الإسلامية يمكن أن ترجع إلى :-

[أ] عوامل خارجية وهى :-

[١] اليهودية .
[٢] المسيحية .
[٣] الفلسفة اليونانية
[٤] المذاهب الغنوصية الشرقية

---

(١) الأستاذ عباس محمود العقاد - حقائق الإسلام وأباطيل خصومه ص١٣ الهيئة المصرية العامة ١٩٩٩م .

(٢) العلامة الجاحظ - المعتزلى - ١٦٣-٢٥٥هـ ، ٧٨٠-٨٦٩م - رسائل الجاحظ جـ ١ ص٢٩ تحقيق الأستاذ عبدالسلام هارون ط القاهرة ١٩٦٤م ، وهناك رسالتان فى أصول الدين القاهرة : إحداهما " الجاحظ مفكرا " والثانية " حقيقة الجاحظ المفكر " وهما فى قسم العقيدة والفلسفة رسائل العالمية ، فارجع اليها إذا أردت التعرف عليه من هذه الناحية .

[ب] عوامل داخلية وهى :-

[١] العوامل السياسية [٢] العوامل اللغوية .

[٣] العوامل الاقتصادية[١] ،

ويذهب غيره إلى أن مجمل هذه العوامل يقع فى :-

[١] الإسلام نفسه . [٢] ظروف المسلمين الفكرية .

[٣] اتصال المسلمين بغيرهم من أهل الأديان والأمم الأخرى[٢] .

ونحن هنا نحاول أن نقدم عوامل نشأة الفكر الإسلامى طبقا للقواعد التى أمكننا التعرف عليها والوصول إليها ، ولا يقلل ذلك من جهود غيرنا ، وإنما كل يقدم تصوراته حسب توفيق الله تعالى ، ولا يمكن اعتبار المخالفة خصومة ، فأننا لا نقبل فرض وصاية على عقولنا ، ما دامت المسألة مفتوح فيها باب الاجتهاد .

وإنما سنلجأ إلى نصوص ديننا الإسلامي الحنيف ، فذلك هو الراجح بالنسبة لنا والأساس الثابت والمصدر الأكبر ، وكيف نعتبر أنفسنا فى عداد أهل الفكر ، ثم نتقوقع فى نطاق ما يقول به الآخرون ونستمر فى التقليد لهم ما دمنا قد رأينا غير ما رأوا ؟

لذا فإنا نرى من أهم العوامل فى نشأة الحكمة الإسلامية.

العامل الأول : النقل المنزل

[أ] القرآن الكريم :

لاشك أن للقرآن الكريم ذوقا خالصا وروحا ذاتية تجعل من يطيل عشرته ومصاحبته ذا بصر يفوق من يتلقف آياته فى لحظات عابرة ليقيم رأيا ، أو يجتمع

---

(١) الدكتور على سامى النشار - نشأة الفكر الفلسفى فى الإسلام جـ١ ص٥٩/٦٣

(٢) الدكتور عبدالمعطى محمد بيومى - الفلسفة الإسلامية فى المشرق والمغرب جـ١ ص٨٦/٩٣ الطبعة الأولى .

لفكرة وهمة كله مصروف إلى تأييد الفكرة التي ألقيت لها[1]، لا إلى التأمل في الآيات القرآنية، وإطالة المعايشة لها، ومحاولة التعرف على أسرارها ومراميها التي جاءت قصودا[2]، لمصالح العباد في أمور المعاش والمعاد، التي هي أمور الدين والدنيا أو قضايا الدنيا والآخرة.

وقد فطن المتقدمون من أهل الإسلام لآيات القرآن الكريم وما فيها من الحكم والمصالح التي جاءت على جميع الأنحاء، حتى أن أي دارس للآيات القرآنية يواجه ذلك في كل سورة من سور القرآن الكريم، بل لا أغالي إذا قلت: انها موجودة في كل آية من آيات الذكر الحكيم، يعرف هذا من له إلمام بأبسط قواعد اللغة، وأيسر فنون الكلام واتجه للقرآن الكريم من غير فكر سابق، أو عداوة مسبقة.

غير ان الفطانة لدى متقدمي أهل الإسلام لم تقف بهم عند الجانب النظري الترديدي القائم في التلاوة المجردة[3]، وإنما قفزت بأصحابها إلى المباشرة في التعرف على الحكم والمصالح ذاتها من خلال بذل المجهود العقلي بغية الوصول إلى نتائج يمكن تطبيقها كقواعد عامة في شئون الحياة العملية، والنظرية والأخلاقية أيضا بحيث تحقق فوائد لها قيمتها المطرودة.

فهم كانوا مهرة في تلاوة القرآن الكريم، والتعرف على أوجه القراءات فيه، مع استعمال كافة ألوان التحسين، وكانوا يعمون قلوبهم وعقولهم وأفئدتهم

---

(١) الدكتور محمد كمال جعفر - تأملات في الفكر الإسلامي ص٤٨ ط١٩٨٠م دار العلوم.

(٢) القصدية هنا معناه ما يتعلق بمقاصد العباد ومصالحهم لانا نذهب إلى انتفاء القصدية والغرضية في الأفعال لله تعالى باعتبار أنه تعالى لا يستفيد بطاعاتنا ولا يتضرر بمعصينا، وهذا لا ينفي أن الأفعال الإلهية غاية الأحكام والنظام مع الإتقان.

(٣) يذهب إلى ذلك الكثيرون من أعداء الإسلام، وبخاصة من ينتسبون لبعض الطوائف المسيحية - راجع مجلة الحياة حـ٧ ص١٧٥ وما بعدها حتى ص٢١٧.

بالتجوال فى رحابه ، فعن أبى موسى الأشعرى ﷺ أن رسول الله ﷺ قال « لو رأيتنى البارحة وأنا استمع لقراءتك ، لقد أعطيت مزمارا من مزامير آل داؤد »(١)

إذن كان اتجاههم نحو القرآن الكريم هو الاتجاه الأول الأساسى فى كل ما يتعلق بهم فى شئون الدنيا والآخرة ، فهو كتاب حكيم ، من لدن رب حكيم ، لنبى حكيم تستوعبه أمة حكيمة .

قال تعالى ﴿ " الر كتاب أحكمت آياته ثم فصلت من لدن حكيم خبير "﴾(٢) ، وقال تعالى ﴿ " تنزيل من الرحمن الرحيم كتاب فصلت آياته قرآنا عربيا لقوم يعقلون بشيرا ونذيرا "﴾(٣) ، وقال تعالى ﴿ " وأنه لكتاب عزيز لا يأتيه الباطل من بين يديه ولا من خلفه تنزيل من حكيم حميد "﴾(٤)، إلى غير ذلك من الآيات القرآنية التى ذكرت أن القرآن الكريم كتاب الله الحكيم .

وفى نفس الوقت يقرر الحديث الشريف أن : كتاب الله تعالى « فيه نبأ من قبلكم ، وخبر ما بعدكم ، وحكم ما بينكم ، هو الفصل ليس بالهزل ، من تركه من جبار قصمه الله ، ومن ابتغى الهدى فى غيره أضله الله ، وهو حبل الله المتين ، ونوره المبين ، والذكر الحكيم والصراط المستقيم »(٥) ، هو الذى لا تزيغ به الأهواء ولا يشبع منه العلماء ، ولا يخلق على كثرة الرد ، ولا تنقضى عجائبه .

---

(١) صحيح الإمام البخارى ، وفى رواية بزيادة لو أعلم أنك تستمع لقراءتى لحبرته تحبيرا .

(٢) سورة هود الآية ١.

(٣) سورة فصلت الآية ٢/٤

(٤) سورة فصلت ٤١/٤٢

(٥) هذا جزء من حديث شريف فى التعريف بالقرآن الكريم وبعض فضائله ، ويذكر بالتمام فى مقدمات الكتب التى تعنى بدراسة القرآن الكريم وتفسيره وأحكامه .

من قال به صدق ، ومن حكم به عدل ، ومن خاصم به أفلح ، ومن عمل به أجر ، ومن دعا إليه اهتدى[١] ، ومن تمسك به من المهالك نجا ، ومن تخلف عنه سقط وكبا ، ومن عمل به يهدى إلى صراط الله المستقيم ، ورضى عنه رب العالمين أحكم الحاكمين[٢] ، هو الوحيد كتاب الله تعالى الباقى ، وهو الوحيد الصادق الذى لم يتغير أوله عن آخره ، ولا فواصله عن مطالعة تخيل الشك .

وقد ظل أمره على التواتر الذى وصل به إلينا ، بحيث لا يمكن الشك مطلقا فى أنه وصل إلينا ، إلا كما أنزل على سيدنا محمد ﷺ وراجعه معه رسول الوحى جبريل الأمين ، حتى أن المستشرق ديمومبين قال : « أن المنصف لا مناص له أن يقر بأن القرآن الحاضر هو القرآن الذى كان يتلوه محمد ﷺ[٣] ، ومن كان ذلك شأنه فلا شك ان العناية به من أهل الإسلام تكون أشد تلاوة وتعبدا ، استلهاما وتأملا ، ولن يقبل المسلمون غيره بديلا لا فى أمور معاشهم أو قضايا معادهم ، ويأتى الحديث النبوى الصحيح بعد القرآن الكريم فى تلك العناية أيضا .

وفى الأثر عن عمر بن الخطاب ﷺ قال للنبى ﷺ : يا رسول الله أنا نسمع أحاديث يهود تعجبنا أفترى أن نكتب بعضها ؟ قال ﷺ « أمتهوكون أنتم كما تهوكت اليهود والنصارى ؟ لقد جئتكم بها بيضاء نقية ، ولو كان موسى حيا لما وسعه إلا اتباعى »[٤] ، وحينئذ سيرد على دعاة اليهودية الذين يكفرون بنبوة سيدنا محمد ﷺ زاعمين أنهم أتباع نبى[٥] ، وأنا لنبوة ما تزال فيهم قائمة .

---

(١) هذا جزء من قول ينسب للإمام على بن أبى طالب كرم الله وجهه - راجع بلاغة الإمام على ص١١ للأستاذ طه محمد عبدالكريم ط١ ١٩٧١م .

(٢) الأستاذ محمد عبدالعظيم الطويل - دراسات فى القرآن ص١٧

(٣) الدكتور عبدالحليم محمود - التفكير الفلسفى فى الإسلام ص٣٩ .

(٤) العلامة الدهلوى - حجة الله البالغة جـ١ ص١٦٨ ط بولاق ١٢٩٤هـ .

(٥) عرضنا لتلك المزاعم وبينا فسادها - راجع كتابنا الغزاليات فى السمعيات ص٣١٢ وما بعدها .

ﷺ كما صح فى الأثر أيضا عن سيدنا عبدالله بن عباس رضى الله عنهما أن رسول الله ﷺ قال « كيف تسألون أهل الكتاب عن شيء وكتابكم الذى أنزل على رسول الله ﷺ أحدث تقرؤنه محضا بشب أن أهل الكتاب بدلوا وحرفوا كتاب الله وغيره ، كتبوا بأيديهم الكتاب وقالوا هو ن عند الله ليشتروا به ثمنا قليلا الا ينهاكم ما جاءكم من العلم عن مسألتهم ، لا والله ما رأينا منهم رجلا ليسألكم عن الذى أنزل عليكم »[1] ،ومن المنطقى ألا نسألهم أيضا .

وذلك وأمثاله مما ورد فى الذكر الحكيم والحديث النبوى الشريف يؤكد أن القرآن الكريم هو الوحيد الخالى من الخطأ ، السالم عن الخطل ، صحيح النسبة المتواترة لله تعالى الباقى إلى يوم الدين ، وهو كلام الله تعالى ، ولما كان الكلام صفة المتكلم ، فان الكلام الذى هو الصفة يظل باقيا لبقاء المتكلم نفسه ، وهو الله جل علاه ، ولا تكون هناك مناسبة للابتعاد عنه أو الاهتداء بغيره ، سواء فى أمور الدنيا أو فى أمور الآخرة .

أضف إلى ما سبق ان القرآن الكريم قد ذكر لأهل الإيمان ما فعله أهل الكتب السابقة بكتبهم من تحريف وتبديل واهمال، يقول الإمام الشافعى : « بعث الله سيدنا محمدا والناس صنفان ،أحدهما أهل كتاب بدلوا من أحكامه ، وكفروا بالله فافتعلوا كذبا صاغوه بألسنتهم فخلوطه بحق الله الذى أنزل إليهم فذكر تبارك وتعالى لنبيه ﷺ من كفرهم[2] .

ﷻ فقال تعالي (" وأن منهم لفريقا يلوون ألسنتهم بالكتاب لتحسبوه من الكتاب وما هو من الكتاب ويقولون هو من عند الله وما هو من عند الله ويقولون على الله الكذب وهم يعلمون ")[3] ، ثم يقول (" فويل للذين يكتبون الكتاب بأيديهم ثم

---

(١) صحيح الإمام البخارى جـ٩ ص١١١ .

(٢) الإمام محمد بن ادريس الشافعى - الرسالة ص٥٦ - تحقيق الأستاذ الشيخ أحمد شاكر رحمه الله .

(٣) سورة آل عمران الآية ٧٨.

يقولون هذا من عند الله ليشتروا به ثمنا قليلا فويل لهم مما كتبت أيديهم وويل لهم مما يكسبون"﴾(١) ؛

ولاشك أن ذلك كله يجعل اتجاه المسلمين إلى غير القرآن الكريم والسنة النبوية المطهرة من الأمور الغير قابلة للتصديق على الناحية الشرعية ، بل والعادية والعقلية أيضا ، بل يؤكد أن المفكرين المسلمين لم يخرجوا عن نطاق النقل المنزل الذى هو عمدتهم فى العقيدة والشريعة والأحكام ، وسائر المعاملات فى الدنيا والآخرة ، وأنهم التمسوا كافة قضاياهم من نصوصه ، لأنها المأمونة فى مقدماتها ، كما هى مأمونة فى خواتيمها ، ومأمونة فى كل جانب وعلى كافة الوجوه .

من ثم فان المسلمين لم يكن لهم اتجاه لغير القرآن الكريم ، ولم توجد رغبة عندهم تدفعهم إلى الابتعاد عنه ولو قليلا ، أو الاستغناء بغيره عنه مهما كان كثيرا ، وذلك أمر تعترف به كافة الدراسات العلمية المحايدة التى قامت على الجدية والموضوعية والتزمت قول الحق من غير نقل عن الغير أو الرضوخ لما تمليه الاتجاهات العنصرية .

● والدارس المتأمل يرى أن القرآن الكريم وهو العامل الأول فى نشأة الفكر الفلسفى الإسلامى ، أو الحكمة الإسلامية ، وقد جاء ذلك من وجوه :

الوجه الأول
وجود النص القرآنى القطعى فى وروده الاحتمالى فى دلالته

فالقرآن الكريم عرض أصول العقيدة الإسلامية فى نصوص قطعية الورود والدلالة(٢) ، التى لا تحتمل سوى معنى واحد ، تتفق على قبوله جميع الأفهام

---

(١) سورة البقرة الآية ٧٩

(٢) قطعى الورود يعنى ثبت أن النص كله نازل من عند الله تعالى ، ويعرف لدى علماء الأصول باسم قطعى الثبوت والمعنى فيهما واحد - راجع أصول التشريع الإسلامى للدكتور على حسب الله .

بحيث لم يترك فرصة لكائن من كان أن يضيف اليها، أو يحذف منها، أو يبدل فيها، أو يفهم غير ما ورد أو يعتقد غير ما جاء فى ذات النص القطعى فى دلالته كما هو قطعى، والا كان واقعا فى الكفر والإلحاد.

وأما الفروع التى تلحق الأصول فقد جاءت فى نصوص قطعية الورود، لكن بعضها قطعى الدلالة، كعدد الأسماء الحسنى، وبعضها احتمالى الدلالة[1]، مع كونه قطعى الورود أيضا - كقوله تعالى «خلق السماوات والأرض فى ستة أيام» فان لفظ ستة أيام يحتمل من حيث المعنى أنها أيام فى علم الله تعالى لا نعلمها نحن، كما يحتمل أنها أيام مما نفهم نحن، ولكن مع الفارق بين أيام الدنيا وبين أيام ما قبلها وما بعدها، على النحو الذى يمكن أن يتأمله العقل المسلم المفكر.

إذن الآيات القرآنية قطعية الورود ظنية الدلالة، قد فتحت باب الاجتهاد الفكرى أمام العقل المسلم على أوسع منطقة فيه، ودفعت العقل السليم إلى تأمل النص ذاته، ومحاولة التعرف عليه حتى لو كان ذلك متعلقا ببعض الأمور السمعية، كالجن والملائكة والروح والصراط واللوح، والقلم والكرسى، والعرش، وما كان من ذلك القبيل لكن فى نصوص احتمالية الدلالة على ناحية المفاهيم التى يأتى فيها دور التصورات الذهنية واضحا.

۞ ودليل ذلك أن من يطالع تراث المسلمين فى كتب التوحيد والفقه والتفسير والحديث وغيرها من العلوم الشرعية يرى ذلك واضحا جدا، بل بشكل لافت للنظر العقلى[2]، فهم جميعا

---

(١) احتمالى الدلالة معناه أن اللفظ الوارد يحتمل أكثر من معنى مع كونه قطعى الورود، ويعرف لدى علماء الأصول بأنه احتمالى الدلالة، كما يعرف بأنه ظنى الدلالة - راجع الإسلام عقيدة وشريعة للإمام الأكبر الشيخ محمود شلتوت رحمه الله، وجعل الجنة مثواه.

(٢) راجع مفاتيح الغيب والجامع لأحكام القرآن والمطالب العالية والأربعين فى أصول الدين وغيرها من المؤلفات التى حوت بيان ذلك الجانب على ناحية التفسير أو العقيدة أو غيرها.

مؤمنون بما جاء به النقل المنزل من عند الله تعالى مما سلف ذكره، لكنهم يجتهدون فى فهمه، وهو الجانب المعرفى الذى أكدنا عليه مرات عديدة، وبينا فى أكثر من محاولة أن:

[أ] الإيمان عمل قلبى يتعلق بالعقيدة والشريعة والأخلاق على الناحية النظرية المجردة فى بعضه، والناحية العملية الخالصة فى بعضه الأخر، والناحية المتكاملة من كليهما فى بعضه الأخير[1]، وهذا يخص أهل الإيمان بالله تعالى رب العالمين المتبعين نبيه الكريم، سيدنا محمد ﷺ فقط.

[ب] العلم عمل عقلى يتعلق بالمعارف سواء التى وردت إلى العقل عن طريق النقل المنزل[2]، أو تلك التى يأتى بها البحث الخالص من خلال العقل[3]، أو الحواس[4]، أو تقذف به التجربة كنتائج ضرورية لازمة[5]، أو يحكم به الحدس والإلهام الباطنى[6]، أو يرد على ناحية أخرى.

وهذا الجانب قاسم مشترك بين أهل الإيمان وغيرهم باعتبار ان كل عاقل يحمل قدرا من الثقافة التى تناسبه أو التى يمكنه التعرف عليها والتعامل معها، حتى شاع ان كل فلسفة تقتصر فى جانب المعرفة على ما يجد فيها فقط، بينما

---

(١) راجع ما سبق ذكره فى هذا الكتاب وأكدنا عليه مرارا حتى يثبت فى الإفهام.

(٢) وهى المعرفة النقلية. راجع كتابنا رياض الأشواق فى الميتافيزيقا والأخلاق جـ١ ص٧٥

(٣) وتسمى المعرفة العقلية باعتبار ان العقل هو مصدرها الاكتسابى، والا فالفرق كبير بين العقل كموضوع معرفى، وبين العقل كحاكم على المعرفة ذاتها، وبين العقل كوسيلة ومصدر من مصادر المعرفة. راجع صدر هذا الكتاب الذى بين يديك، واسأل الله لى ولك العون والتوفيق والسداد.

(٤) وتسمى المعرفة الحسية، باعتبار أن الحس هو مصدرها، وهو الحاكم فيها، وهو فى ذات الوقت الموضوع المعرفى الذى يكمن فى المسألة وكثيرون يؤمنون بالمعرفة الحسية، ويرفضون ما سواها - راجع كتابنا الإلهيات عند ابن سينا أثناء عرضنا لموقفه من الحسيين هناك.

(٥) وتسمى المعرفة التجريبية، باعتبار ان التجربة هى التى تكون حاكما فيها

(٦) لما هو معروف من أن الحدس والإلهام الباطنى أحد مصادر المعرفة الإنسانية، ولكنها غير الهام الوحى الفرق الكبير بينهما - راجع تفسير مفاتيح الغيب عند شرحه لقول الله تعالى ﴿وأوحى ربك إلى النحل﴾، وقوله تعالى ﴿وأوحينا إلى أم موسى ان أرضعيه﴾

لا تحفل ولا تقر بقية المنابع الأخرى[١] ، أو الجوانب المعرفية الأخرى التي قد تقف عليها الفلسفات الأخرى .

والمسلم إذا نظر إلى السور القرآنية وجد سورة بأكملها تتحدث عن الجن[٢] ، فهو حتما واجد آيات كثيرة في القرآن الكريم تحدثت عن الجن أيضا من هذه الناحية ، لكنه ان بحث في كتب العقيدة أو التفسير مثلا فسوف يرى اجتهادات المفكرين المسلمين في كل ناحية .من النواحي المتعلق بالجن ، بدأ من التعريف بهم ، وهل هم أجساد لطيفة نارية قابلة للتشكل بالأشكال الحسنة وغيرها[٣] ، أم هم جواهر مادية فيها كثافة غير مدركة ، فمكنهم الله من التشكل بالأشكال القبيحة[٤] ، أم هم أجساد منقدحة من جمرة مشبعة الأنوار يخرج من أنوارها الملائكة ومن نارها الجن[٥] ، إلى غير ذلك من الوجوه الفكرية والاتجاهات العقلية التي أحاطت بأصحابها من خلال تفهمهم لآيات القرآن الكريم .

ولاشك أن هذه التعريفات للجن تمثل اجتهادات فكرية لفهم النقل المنزل الذي جاء فيه ذكر الجن ، ففي الحديث الشريف قوله ﷺ « خلقت الملائكة من نور ، وخلقت الجن من نار ، وخلق آدم مما وصف لكم »[٦] ، فالحديث قد قد ذكر المادة التي خلق منها الجن ، ولكنه لم يقدم تعريفا لها ، فكان من هذه الناحية

---

(١) الدكتور مصطفى غلوش – البعد الرابع في نظرية المعرفة ص٦ الطبعة الأولى ١٤١٠ – ١٩٩٠م .

(٢) سورة الجن ، وهي مكية ، وترتيبها بين السور القرآنية في المصحف الشريف رقم ٧٢ وعدد آياتها ٢٨ ، وهي قد نزلت بعد سورة الأعراف على الرأى الراجح عند علماء التفسير من أهل الإسلام .

(٣) راجع حاشية العلامة الباجورى ، وتحقيق المقام في علم الكلام ، والطوالع ، ونحوها من كتب علم الكلام .

(٤) راجع الأربعين في أصول الدين للعلامة الفخر الرازى ، وكذلك تقع اللوات الإلهية .

(٥) الأستاذ محمد توفيق عبداللطيف – دراسات قرآنية – الجن – ص١٧ ط٢ ١٩٣٥م

(٦) راجع كتابنا الإيمان بالغيب وأثره على الفكر الإسلامي – أثناء حديثنا عن الأصول الغيبية التي يجب الإيمان بها

احتمالى الدلالة ، وكانت الاجتهادات التى قام بها مفكرو الإسلام من الضرورات التى لا غنى عنها .

وفى ذات الوقت فان النقل المنزل هو الذى دفعهم إلى ذلك الاجتهاد وألزمهم إياه لا فى تقديم تعريف لها فحسب ، وإنما فى محاولة التعرف عليها ، وأنواعها وظروفها وأعمالها بجانب وظائفها ما دام النقل المنزل قد أشار اليها تلميحا أو تصريحا بها فى نصوص قطعية الورود لا قطعية الدلالة ، بل اعتبروا ذلك من القضايا التى لابد منها على الناحية الشرعية ، فمن قصر فيها مع قدرته عليها صار آثما .

وكذلك الحال مع الملائكة ، والصراط ، والميزان ، وسائر السمعيات التى اجتهد المفكرون من أهل الإسلام فى تقديم تعريفات لها ، ومحاولة إعطاء بعض التوضيحات والتصورات لتقريبها إلى الإفهام[1] ، ولم يكن لغير أهل الإسلام مثل تلكم التصورات كما لم تكن لديهم القدرة على اجتياز النصوص — عندهم — إلى محالة التعرف على ما تهدف اليه تلك النصوص أو الغايات التى تحيط بها ، أو جاءت هى مبينة لها .

الوجه الثانى : ضرب الأمثال[2]

بيد أن الأمر لم يقتصر على مجرد الحديث عن الأمور السمعية ، وإنما جعلتها العالم المشاهد فى قياس واحد يقرب كل منهما الأخر للأفهام عن طريق المقايسة التى تجئ فى ضرب الأمثال الدال فيها المشاهد على الغائب ، والقريب دال على

---

(١) راجع كتب علم الكلام فى هذه المسائل ، وجها المطالب العالية ، وكثير من الرسائل الجامعية عنيت بذلك أيضا .

(٢) قام زميلى الفاضل أخى الأكبر الأستاذ الدكتور / على يوسف إبراهيم السبكى الأستاذ بكلية أصول الدين بالقاهرة ببحث الأمثال فى القرآن الكريم وأثرها فى الدعوة إلى الله تعالى فى رسالته العالمية الدكتوراه بجامعة الأزهر ونال بها الدرجة بتقدير ممتاز مع مرتبة الشرف الأولى عام ١٩٨٠ ، وهو أخى وحبيبى ومن أهل العرفان من بلدة البهو فريك مركز أجا بالمنصورة دقهلية أمد الله فى عمره ، وبارك فى أثره .

البعيد ، والواقع دال على ما يمكن أن يتحقق فيه الوقوع المطلق أو النسبى كل على جهته التى تجئ منها ، وتمكن الإفهام من التعرف عليه عن طريقه وهو ما يعرف بضرب المثال ، كما يعرف بالقياس الشبيه عند علماء الأصول ، أو القياس مع المفارقة لدى علماء التفسير ، ونحن نلتقط بعضه على النحو التالى .

[أ] فى أمر النشأة الأخرى

من ذلك قوله تعالى ﴿" يا أيها الناس ان كنتم فى ريب من البعث فإنا خلقناكم من تراب ثم من نطفة ثم من علقه ثم من مضغة مخلقة وغير مخلقة لنبين لكم ونقر فى الأرحام ما نشاء إلى أجل مسمى ثم نخرجكم طفلا ثم لتبلغوا أشدكم ومنكم من يتوفى ومنكم من يرد إلى أرذل العمر لكيلا يعلم من بعد علم شيئا وترى الأرض هامدة فإذا أنزلنا عليها الماء اهتزت وربت وأنبتت من كل زوج بهيج "﴾[1] .

فالعقل المفكر المسلم إذا نظر للآية الكريمة يراها قد ضربت المثال للبعث فى المستقبل – بالنشأة الأولى ، وهى الخلق من تراب ثم التطورات التى تمت بعده حتى وصل إلى الخروج من رحم أمه طفلا يبلغ أشده ، وربما تنتهى حياته فى سن باكرة بعد اشتداد عوده ، وصلابة أحماله وعموده ، سواء كان ذلك الانتهاء بعد الخروج من رحم الأم مباشرة أو بعد أن يمتد به الأجل حتى يبلغ سن الضعف والوهن والشيب وتبدأ عملياته العقلية فى الذبول والتلاشى ، كما كان فى طفولته الأولى[2] . قال تعالى ﴿" وأن عليه النشأة الأخرى "﴾[3] ، التى ستكون كما

---

(١) سورة الحج الآية ٥

(٢) فى تقديرى أن الخلق الأول هو إحياء على غير مثال ، فهو بعث أول بالمعنى القائم على التحريك والاثارة وايجاد الحياة من العدم ، فالخلق من أمثال الله تعالى والبعث من أفعال الله تعالى ، وكلاهما من الناحية اللغوية بقصد الأخر فى المعنى وربما رجع اليه من ناحية بعينها .

(٣) سورة النجم الآية ٤٧ .

كانت النشأة الأولى على نحو من الأنحاء المقبولة شرعا ، ويمكن للعقل أن يتعرفها عقلا أيضا .

وكذلك ضرب مثالا أخر للبعث الثاني بالأرض الهامدة التي لا نبات فيها ولا حياة ، يهجرها الإنسان ، وينفر من سكناها الحيوان ، فهي من الحركة السكانية خالية ، ومن الحركة الطبيعية خالية ، ومن أصحاب الانطلاق العقلي خالية ، وبالتالي فهي هامدة لا يسمع منها صوت ، ولا يرى فيها من خيال ، فاقت المقابر سكونا ، وتميزت عنها غموضا[1] ، حتى صارت الوحشة طابعها ، والاستغراب في الإقامة بها سمة بارزة فيها .

فإذا أنزل الله عليها الماء انشقت أرحامها بالنبات ، وظهرت فيها أنواع الحياة المختلفة ، التي تعين على الإقامة فيها ، والبقاء بها ، وإمكانية التعايش داخلها ، حينئذ يلجأ اليها الإنسان فيستقر فيها ، والحيوان فيقترب منها ، ويعيش في نواحيها ، ولكثرة ما فيها من حياة متنوعة تظهر فيها ألوان المباهج وأفانين الحياة انها تتحول بفضل الله تعالى من أرض هامدة إلى أرض متحركة بالخيرات عامرة .

۞ وقوله تعالى ﴿ "وآية لهم الأرض الميتة أحييناها وأخرجنا منها حبا فمنه يأكلون وجعلنا فيها جنات من نخيل وأعناب وفجرنا فيها من العيون ليأكلوا من ثمره وما عملته أيديهم أفلا يشكرون "﴾[2] ،

۞ قال العلامة القرطبي : « نبههم الله تعالى بهذا على إحياء الموتى وذكرهم على توحيده وكمال قدرته ، بالأرض الميتة أحياها بالنبات وإخراج الحب منها ، فصاروا من الحب يأكلون ، وبه يتغذون ، وعليه يتعيشون[3] ، وكذلك البعث يكون على أرض هامدة يقع عليها التبديل ويتم ذلك البعث الجديد والنشأة

---

(١) الأستاذ رضوان محمد صقر - دراسات في القرآن الكريم ص١٣٥ .

(٢) سورة يس الآيات ٣٣/٣٥ .

(٣) الإمام القرطبي - الجامع لأحكام القرآن جـ١٥ ص٢٥ .

الثانية على أرض جديدة ، قال تعالى (" يوم تبدل الأرض غير الأرض والسماوات وبرزوا لله الواحد القهار ")[1] ،

من ثم فان العقل المفكر المسلم راح يتأمل النقل المنزل على كل ناحية ، فانطلقت الأسئلة عنده تبحث عن إجابات بعينها وكلاهما - الأسئلة والإجابات - قد انطلقت كلها من النقل المنزل ذاته باعتبار ورود النص الاحتمالي في دلالته ، فالبعث أمر حتمي عندنا نحن المسلمين لأنه جزء الأصل الخامس من أصول العقيدة الإسلامية عندنا التي جاء ذكرها في القرآن الكريم والسنة النبوية المطهرة الصحيحة تفصيلا .

من ذلك قوله ﷺ « الإيمان أن تؤمن بالله ، وملائكته ، وكتبه ، ورسله ، واليوم الأخر ، وتؤمن بالقدر خيره وشره »[2] ، فالإيمان باليوم الأخر قائم فيه شأن البعث أيضا ، لكن كيف يكون البعث ، هل عن عدم محض ، أو عن تفريق تام ، أو عن عدم وتفريق معا ، أو عن لا عدم ولا عن تفريق ، إنما عن خلق مستجد تماما[3] ، ذلك كله دفع بالمفكر المسلم إلى أن يجتهد في بحثها بغرض تقديم إجابات محددة لها ، وكثرت الاجتهادات في المسألة حتى نشأ عن ذلك تفكير خاص يتعلق بتلك المسائل هو من خصوصيات الفكر الإسلامي وحده لا من نتاج أحد غيره ، ومن نتاج المفكر المسلم .

---

(١) سورة إبراهيم الآية ٤٨ .

(٢) صحيح الإمام مسلم بشرح النووي ، وهو معروف باسم حديث جبريل الأمين ، لأن الرسول ﷺ كان جالسا مع جمع من الصحابة ، ثم طلع عليهم من حيث لا يدرون رجل شديد بياض الثوب شديد سواد الشعر غير معروف لأحد منهم ، ثم جلس إلى رسول الله ، واسند ركبته إلى ركبتي النبي محمد ﷺ ووضع يديه على فخذي رسول الله ﷺ ثم راح يسأله : ما الإسلام ، ما الإيمان ، ما الإحسان ؟ والرسول ﷺ يجيب فلما فرغ وانصرف قال الرسول ﷺ لأصحابه أتدرون من السائل قالوا الله ورسوله أعلم فقال ﷺ هذا جبريل أتاكم يعلمكم أمور دينكم ، ويعرف بحديث عمر بن الخطاب أيضا ، لأنه الراوي الأعلى للحديث على ما هي عبارة المحدثين .

(٣) راجع ذلك بالتفصيل في كتابنا - الإيمان بالغيب وأثره على الفكر الإسلامي

[٢] عرض عذاب أهل النار :

ﷺ قال تعالى (" هذان خصمان اختصموا فى ربهم فالذين كفروا قطعت لهم ثياب من نار يصب من فوق رؤسهم الحميم يصهر به ما فى بطونهم والجلود ولهم مقامع من حديد كلما أرادوا أن يخرجوا منها من غم أعيدوا فيها وذوقوا عذاب الحريق ")[١] ، فالنقل المنزل فى هذه الآيات وأمثالها يصور بعض مظاهر عذاب أهل النار التى تحيط بهم وتنتظرهم فى الآخرة من ملبس ومأكل ومشرب .

ثيابهم مقطعة على جهة التفصيل من مادة النار التى إذا لمست جسما قابلا للاحتراق أذابته ، وفى نفس الوقت فان هذه الثياب ليس واسعة بحيث تمكنهم من الهرب ، ولا ضيقة ، وإنما هى على قدر التناسب مع كل فرد من أهل النار وعلى جهة الأحكام والإتقان ، كما نقطع نحن الأثواب على جهة التفصيل والإجادة لكل من يلبسها فتصير ثوبا خاصا به[٢] ، مع الأخذ فى الاعتبار أن التشبيه مع الفارق ، باعتبار القياس مع الشبيه والمقارنة .

فى نفس الوقت إذا أدخلوا النار ولبسوا أثوابهم ، صب عليهم م رؤسهم ماء الحميم شديد الحرارة التى تبلغ حد الإذابة ، فيقع الانصهار التام للرءوس ، ثم يمتد أثره حتى يصل إلى الأمعاء سواء شربوه أو أدخل أجوافهم رغما عنهم ، فتخرج تلك المادة النارية على الخلايا الجسيمة ، فتحرقه حتى تبلغ فى جسم كل منهم مبلغ الانصهار التام الذى لا حيلة لهم فى منه ، أو الهرب والتخفى بعيدا عنه .

وفوق ذلك فلهم مقامع من حديد تحبسهم عن الحركة والانطلاق ، إذا حاول احدهم الخروج عن عذاب النار أعاده مقمعه إلى نفس العذاب الذى كان

---

(١) سورة الحج الآيات ١٩/٢٢ .

(٢) الأستاذ رضوان محمد صقر - دراسات فى القرآن الكريم ص١٤٧ ط طرسوى ١٩٣٧م .

فيه ، وخرج منه بل سيبقى في جهنم خالدين فيها أبدا ، ويظل في عذاب الحريق دائما ، وهم إذا حاولوا تصور ذلك فلم تسعفهم ملكاتهم يجدون القرآن الكريم قائلا (" انا اعتدنا للظالمين نارا أحاط بهم سرادقها وان يستغيثوا يغاثوا بماء كالمهل يشوى الوجوه بئس الشراب وساءت مرتفقا ")[١] .

فشرابهم سيقطع أمعاءهم ، وعذابهم سيقطع أجسادهم ، والماء المنصب من الحميم سيذيب ما بقى من عظامهم ، وكلما انقضت حياتهم على هذا الشكل أعيدت مرة ثانية لتلقى العذاب الأليم من غير انقطاع له ، أو نهاية تعقبه لقوله تعالى (" فأما الذين شقوا ففى النار لهم فيها زفير وشهيق خالدين فيها ما دامت السماوات والأرض الا ما شاء ربك ان ربك فعال لما يريد ")[٢] ، فالعذاب معهم قائم لا ينقطع عنهم .

❂ هنا يأتى دور العقل فى تأمل النقل متسائلا :

◈ هل الثياب لها أطراف وجيوب وأكتاف كالملابس والثياب التى نرتديها نحن فى الحضر ، أم هى أزار ورداء كالتى يلبسها أهل البداوة ، أم هى قطعة واحدة تغطى صاحبها كما تغطى العباءة الفضفاضة جسم من يختبئ تحتها ، أم غير ذلك كله ، وإنما هى أثواب تتناسب مع الأجسام التى ستكون لها يوم القيامة[٣] ؟ والعقل يتصورها على نحو من الأنحاء .

◈ وهل هى جزء من النار التى أعدها الله للعاصين عقابا فى الآخرة ؟ أم هى نار مستخلصة من الأولى قطعت أجزاء تتناسب مع كل فرد من العصاة ، وهل هى

---

(١) سورة الكهف الآية ٢٩ .

(٢) سورة هود الآيتان ١٠٦/١٠٧ .

(٣) هذه أسئلة واردة على العقل ، وكلها تحتاج إجابات ، ولأنها فى نصوص قطعية الورود غير قطعية الدلالة فقد وجد المفكرون المسلمون فيها دافعا إليهم حتى يبذلوا المزيد من التأمل حولها فكان ذلك من العوامل التى أدت إلى نشأة الفكر الفلسفى الإسلامى من وجهة نظرى .

فقط العذاب بحيث يكون مفهوم دخول العاصين النار هو دخولهم هذه الأثواب التى صنعت لهم من النار ، أم أن دخول أخر فيه لون من العقاب المستجد ذلك وأمثاله مما يدفع المسلم المفكر الفاضل المتمكن إلى التفكير المستمر فيه والتأمل له ، ومحاولة تقديم إجابات مستمرة على الأسئلة المتوالية التى ترد عليه .

- والحكيم المسلم صاحب العقيدة السليمة لا يجد ممانعة فى القيام بهذا الدور بل على العكس من ذلك تماما فانه يجد القرآن الكريم قد رفع مستوى العقل إلى درجة يستطيع فيها التفكير الصحيح بما جارب من خرافات ، وبما على النظر فى الكون فاطلق العقل من أساره ، وأخذ بيده ليشرف على العالم من مرقب عال ... ثم كان للمسلمين الفضل الأكبر على المدنية الحديثة ... ولولا هذه المدنية الإسلامية التى ظهرت فيما بعد فى بغداد ، وقرطبة ، والشام وصقلية ، لما بلغت المدنية الحديثة من الرقى مبلغها الآن[١] .

وأعتبر الشرع الشريف ذلك من العلم المطلوب كفريضة على كل مسلم ومسلمة يتمكن من القيام بها ، وفى الحديث الشريف طلب العلم فريضة على كل مسلم ومسلمة[٢] ، وذكر عن الإمام الشافعى/أنه قال : طلب العالم أفضل من صلاة النافلة[٣] ، لأن أداء النافلة سنة من السنن ، أما طلب العلم فهو فريضة ، والفرض مقدم على السنة شرعا ، فكان تقديم طلب العلم على النافلة مقبول شرعا كذلك .

[٣] عرض نعيم أهل الجنة :-

---

(١) الأستاذ أحمد أمين - مجلة الرسالة - العدد ص١٤٧ مقال بعنوان الإسلام كعامل فى المدنية

(٢) الإمام ابن ماجه - المقدمة - باب فضل العلماء والحث على طلب العلم جـ١ ط٨١ - دار الحديث - تحقيق الأستاذ محمد فؤاد عبدالباقى ، ومجمع الزوائد جـ١ ص١٩٩ تنزيه الشريعة المرفوعة جـ١ ص٢٧٨

(٣) العلامة ابن عبدالبر - جامع بيان العلم وفضله جـ١ ص٣٠ - دار الفكر

قص القرآن الكريم علينا بعض مظاهر النعيم لأهل الجنة فى الآخرة، سواء فى ملبسهم أو مأكلهم ومشربهم وحليهم، وما يتعلق بهذه المظاهر التى أنعم الله تعالى عليهم بها، وجاءت بها النصوص الدينية - النقل المنزل - فى القرآن الكريم والسنة النبوية المطهرة من ذلك:

قوله تعالى ﴿" ان الله يدخل الذين آمنوا وعملوا الصالحات جنات تجرى من تحتها الأنهار يحلون فيها من أساور من ذهب ولؤلؤا ولباسهم فيها حرير وهدوا إلى الطيب من القول وهدوا إلى صراط الحميد "﴾[1] .

وهم فى الجنة ينعمون بخيراتها المتعددة التى فيها مالا عين رأت ولا أذن سمعت، ولا خطر على قلب بشر، ومنها تلك التميزات التى تقع فى ذات الجنة لأهل النعيم تفضلا من الله تعالى ونعم أجر أهل الإيمان .

قال تعالى ﴿" والذين آمنوا وعملوا الصالحات لنبوئنهم من الجنة غرفا تجرى من تحتها الأنهار خالدين فيها نعم أجر العاملين "﴾[2]، فلفظ الغرف الوارد فى الآية الكريمة يأتى على معان متعددة، ومن هذه الناحية فهو لفظ احتمالى الدلالة، من ثم كان على المفكر المسلم أن يبذل طاقته الفكرية حتى يقدم تعريفا للغرف يتوافق مع ما يحتبر العقل وفى ذلك خدمة للنقل المنزل نفسه، وذلك بجهوده الذى لم ينله من غير النقل المنزل ذاته، ولم يكن لليونان و غيرهم أمر معرفة به.

لذا رأينا من شيوخنا محاولات كثيرة حول ذات اللفظ أقربها قبولا – من وجهة نظرنا – أن الغرف هى أماكن فى أعلى الجنان، رفيعة العماد والبنيان، ساكنها يتمكن من التمتع بما فيها من حور وولدان، تجرى من تحت أشجارها وقصورها أنهار تسر القلب وتفصح للعيان، نعمة عظيمة من ربنا الرحيم

---

(١) سورة الحج الآية ٢٤

(٢) سورة العنكبوت الآية ٥٨

الرحمن، صاحب الفضل والجود الحليم المنان[1]، فتلك من أنعمه العظمى، وفضله الفينان، وفوق ذلك ولهم ما يدعون سلام قولا من رب رحيم [2].

فالنقل المنزل ورد فيه الشغل لأهل الجنة كلفظ له أكثر من معنى مما يجعل العقل يتساءل هل فى الجنة عمل وهى دار الجزاء، وهل العمل هناك معرض للإصابة والخطأ فيقع لصاحبه به الأجر كما يقع عليه الوزر؟ أم أنه غير ذلك؟ إلى غير ذلك من الوجوه [3] التى يمكن أن تأتى على العقل الإنسانى كمطروح معرفى، يبحث عن إجابات له، من ثم فان التفكير فيه يكون قائما على النقل المنزل، وتلك خصيصة من خصائص المفكر المسلم، ولا يمكن اعتباره مستفيدا إياها من غير النصوص الدينية الإسلامية أبدا.

وآية ذلك ما ذهب اليه العلامة أبو حيان فى مفهوم الشغل الوارد فى الآية الكريمة فقال: والظاهر ان الشغل هو النعيم الذى قد شغلهم عن كل ما يخطر بالبال، ثم ذكر ما حكى عن ابن عباس ﷺ أنه قال فى معنى الشغل الوارد فى الآية الكريمة أن أصحاب الجنة قد شغلوا بافتضاض الأبكار، وسماع الأوتار عن أهاليهم من أهل النار، فهم شغلوا عنهم حتى لا يتنغصوا بهم[4]، وهى محاولة من جانب المفكر المسلم لتفهم المعنى الوارد فى النقل المنزل على لفظ الشغل القائم فى الآخرة، لأهل الجنة على سبيل النعيم.

وكذلك فهمهم لقوله تعالى سلام قولا من رب رحيم، فمفسر والمأثور يقولون أن معناها سلام كريم واقع عليهم من ربهم الرحيم مستدلين بالحديث المروى عند بعض أصحاب السنن، من قوله ﷺ «بينا أهل الجنة فى نعيمهم إذ

---

(١) الشيخ محسن عبدالرحمن شاكر - تفسير سورة العنكبوت ص١٢١ ط ١ ١٩٥٨م

(٢) سورة يس الآيات ٥٥/٥٨

(٣) العقل المسلم الذى يتأمل النقل المنزل ترد عليه تلك الأسئلة، ويحاول تقديم إجابات لها، على ناحية فكرية أيضا.

(٤) العلامة أبو حيان - البحر المحيط جـ٧ ص٣٤٢

سطع عليهم نور، فرفعوا رءوسهم، فإذا الرب تعالى قد أشرف عليهم من فوقهم، فقال: السلام عليكم يا أهل الجنة، فذلك قوله تعالى سلام قولا من رب رحيم: قال فينظر إليهم وينظرون اليه، فلا يلتفتون إلى شيء من النعيم ما داموا ينظرون اليه حتى يحتجب عنهم ويبقى نوره وبركته عليهم فى ديارهم[1].

من ثم فان تصوير لون ذلك النعيم قد وردت فيه مفردات لفظية هى قطعية فى ورودها احتمالية فى دلالتها، ولأن المفكر المسلم لا يلتفت فى ثقافته أو إثبات عقيدته، أو التزام شريعته بالدرجة الأولى ألا إلى النقل المنزل، فقد حاول تقديم جهوده فى ذلك الشأن فكان له من وراء ذلك إبداع فكرى مستقل به عن جميع الثقافات الأخرى.

ومن ذلك أيضا قوله تعالى ﴿"مثل الجنة التى وعد المتقون فيها أنهار من ماء غير أسن وأنهار من لبن لم يتغير طعمه وأنهار من خمر لذة للشاربين وأنهار من عسل مصفى ولهم فيها من كل الثمرات ومغفرة من ربهم كمن هو خالد فى النار وسقوا ماء حميما فقطع أمعاءهم"﴾[2]، فالقرآن الكريم عرض من أنعم أهل الجنة التى أكرمهم الله تعالى بها جريان الأنهار المتنوعة فى مصدر كل منها، وتنوع النهر الجارى ذاته، ومن ثم فالمفكر المسلم راح يسأل فى معنى الآسن الوارد فى الآية الكريمة، هل هو الذى لا تتغير رائحته، أم الذى لا يتوقف عن الجريان ماؤه، ام هو الثابت فى جهة الجريان على الاستمرار حتى يمتع العين والقلب، كما يريح النفس والوجدان، أم غير ذلك من الوجوه.

والأسئلة التى دفعت المفكر المسلم للبحث عن إجابات لها، يمكن للعقل ان يتعرف عليها، ويتفهم مراميها، وبخاصة أن الأثر المروى عن سيدنا عبدالله بن

---

(١) العلامة ابن كثير – المختصر جـ٣ ص١٦٧ وأخرجه ابن أبى حاتم، ورواه ابن ماجة فى سننه، وعلق شيخ المحققين ابن كثير عليه بقوله وفى إسناده نظر.

(٢) سورة محمد الآية ١٥

مسعود ﷺ يقول أن أنهار الجنة تفجر من جبل من مسك[1] ، ولا شك أن المفكر المسلم متى انطلق فى تفكيره من ذات النصوص الدينية فى القرآن الكريم والحديث النبوى الصحيح ، فان أية محاولة اشتبابه لغير ذلك تكون محاولة مقضى عليها ، ومحكوم فيها بعدم التوفيق .

كما أن أنهار الجنة متعددة ، فهى كذلك غاية التنوع منها أنهار من لبن لم يتغير طعمه بطول الجريان ، ولا يفسد فى طبيعته بالاستمرار فى الجريان ، ولكن العقل المسلم يتساءل هل اللبن الأخروى كاللبن الدنيوى فى تركيباته البروتينية أم يختلف عنه فى هذه الناحية ، وهل الأنهار الجالية بالألبان مثلا تكون مصادرها هى نفس مصادر الأنهار الجالية بالماء الأسن ، أم أنها تجىء من مصادر أخرى ، لكنه لا يخرج من ضلوع الماشية ، على ما ورد به الأثر[2] .

وكذلك الحال مع الأنهار التى تجىء من خمر لذة للشاربين ، والأنهار الأخرى التى تجىء من العسل المصفى الخالص من الشوائب ، فهو غاية فى صفاء اللون والرائحة ، لم يخرج من النحل ، ولم يخالطه الشمع ، ولا شىء من فضلات النحل أبدا ، ولا شك أن ذلك كله من العوامل التى هيأت الفكر الإسلامى ودفعت اليه وقام عليها .

﴿ وكذلك قوله تعالى (" ان الأبرار يشربون من كأس كان مزاجها كافورا عينا يشرب بها عباد الله يفجرونها تفجيرا يوفون بالنذر ويخافون يوما كان شره مستطيرا ")[3] .

﴿ وقوله تعالى (" فوقاهم الله شر ذلك اليوم ولقاهم نضرة وسرورا وجزاهم بما صبروا جنة وحريرا متكئين فيها على الأرائك لا يرون فيها شمسا ولا زمهريرا

---

(١) الإمام ابن كثير - مختصر تفسير ابن كثير جـ٣ ص٣٣٧ .

(٢) فى الحديث المرفوع أنها أنهار اللبن فى الجنة لم تخرج من ضلوع الماشية .

(٣) سورة الإنسان الآيات ٥/٧ .

ودانية عليهم ظلالها وذللت قطوفها تذليلا ويطاف عليهم بآنية من فضة وأكواب كانت قواريرا قواريرا من فضة قدروها تقديرا ويسقون فيها كأسا كان مزاجها زنجبيلا عينا فيها تسمى سلسبيلا")[1].

ولا شك أن من يتدبر آيات القرآن الكريم بتأمل وعناية، فسوف يجد تلك الملامح غاية الوضوح والتأكيد، كما أنه حتما سيجد عرضا للنفس الإنسانية والروح، بل والعقل والفكر بجانب السمع والبصر، وكلها جاءت فى نصوص قطعية الثبوت احتمالية الدلالة. ولذا فإنى أميل إلى أن ذلك الجانب كان من العوامل الأساسية فى نشأة الفكر الإسلامى

الوجه الثالث
إخراج الأضداد من بعضها وتآلفها[2]

ذكرت بعض آيات القرآن الكريم ألوانا متعددة من الأدلة على إثبات وجود الله تعالى وتفرده جل علاه بالوحدانية، وانصراف الأمور كلها فى الكون اليه تعالى وحده، ومن تلك الألوان المتعددة ما يجعل القلب والعقل والنفس والوجدان ينطلقون فى ميدان البحث العلمى – النظرى والعملى – بأوسع ما يمكنهم الوصول اليه، والأخذ بأسبابه والتعرف عليه؛ سواء كان ذلك فى الكونيات أو الأجرام السماوية، أو الزاحفات والمنتصبات الأرضية.

وكان إخراج الأضداد من بعضها أحد تلك الوجوه القرآنية التى أوقفت العقل عند بابه يطرقه على استحياء حينا بعد أخر، من ذلك قوله تعالى (" الذى جعل لكم من الشجر الأخضر نارا فإذا أنتم منه توقدون")[3]، فالعقل إذا نظر إلى

---

(١) سورة الإنسان الآيات ١١/١٨

(٢) الوجه الأول : تصوير بعض عذاب أهل النار، والوجه الثانى : تصوير بعض نعيم أهل الجنة، وذلك الثالث : يخالف الوجهين السابقين من حيث الموضوع فقط.

(٣) سورة يس الآية ٨٠.

الآية الكريمة وتأمل فيها جيدا، وراح يسأل أن الشجر الأخضر فيه ماء هو سر حياته، ولو لم يكن فيه الماء لكان جافا يابسا، فكيف تخرج النار الحارقة من الماء البارد أو العكس، بمعنى كيف يختبئ النار الحارقة فى العود الأخضر الرطب، أن الأمر فى غاية الغرابة، ويحتاج بذل المزيد من الجهد العقلى للتعرف عليه.

هنا استجمع العقل المسلم إمكانياته وانطلق فى ميدان البحث بأقصى ما يمكنه الوصول اليه، فإذاه يجد العرب أنفسهم يتعاملون بنفس تلك المفاهيم فى حياتهم العملية، وأنهم تعرفوا على نوعين من النبات المنتشر فى الصحراء أحدهما يسمى نبات المرخ، والثانى يسمى نبات العفار، وأن كلا منهما نبات صحراوى زاحف متسلق، ويوجد بنسب متفاوتة، وفى مسافات قد تتباعد أو تتلاقى[١]، لكنها موجودة فى الواقع، ولها آثار ظاهرة.

وأن هاذين النوعين من النبات إذا تلامسا أو تماسا حدثت بينهما ظاهرة الاشتعال التى تعرف بحرائق الغابات، وإذا حدث بينها تماس أو تلامس من فاعل قاصد يحدث عنهما نار يمكن استخدامها ونقلها، وتصير أجزاء هذين النوعين من النبات - المرخ والعفار - كأعواد الثقاب عندنا، أو الولاعات التى نستخدمها فى حياتنا اليومية، وطالما كان فى أجزاء النوعين شيء من الماء فان استعمالها لاستجلاب النار يظل قائما - رغم أنهما أخضران، فيهما الماء - فإذا جفا من الماء بطل استعمالها تماما من هذه الناحية[٢] التى ذكرها القرآن الكريم مرتبطة بالفائدة منها.

---

(١) الدكتور بدر الدين عبداللطيف - النباتات العلمية فى القرآن ص١٢٥.

(٢) راجع كتابنا " الإيمان بالغيب وأثره على الفكر الإسلامى، ففيه حديث طويل حول تلك النقطة، وراجع الإنسان فى القرآن بداية ونهاية القسم الثانى - رسالة دكتوراه بكلية أصول الدين القاهرة للمرحوم الأستاذ الدكتور صلاح عبد العليم إبراهيم - استاذ العقيدة والفلسفة بكلية أصول الدين بالقاهرة رحمه الله وجعل الجنة مثواه.

وفى الأمثال العربية : كانوا يقولون "فى كل شىء نار ، واستمجد المرخ والعفار "[١] ، وفى أمثالهم أيضا استورى النار من المرخ والعفار[٢] ، وإياك النار فهى كامنة فى المرخ والعفار[٣] ، إلى غير ذلك من الأمثال التى تدعو إلى التعرف عليها والاستفادة من فوائدها ، أو الاحتراز من أخطارها .

مع هذا لم يكن العربى قديما يعرف أنهما ضدان – العود الأخضر والنار – وأن كلا منهما يخرج من الآخر ، فلما نزل القرآن الكريم بالحديث عنهما وعلاقتهما القائمة ، لم يسع المسلم المفكر الا البحث التجريبى حتى يصل إلى معرفة حجم تلك العلاقة ونوعها والأسباب التى تدفع اليها ، والنتائج التى تعقبها ، فلما انتهى إلى ذلك الإعجاز هب قائلا :–

جمع النقيضين من أسرار قدرته ∴ هذا السحاب به ماء ونار[٤]

۞ وأقول ناظما :–

سبحانك اللهم أنت القهار ∴ أنت الواحد القادر المختار

أنت جمعت بين النقيضين ∴ تجاور بالوجود الماء والنار

فالشجر الأخضر ينمو منسلا ∴ يلاعب أعطافه المرخ والعفار

بنا نطعم ألوان خير ∴ وبنا نستضيء الجنبات والدار[٥]

إذن المفكر المسلم تأمل الآية الكريمة على الناحية الشرعية فعرف أن الله تعالى قادر على إحياء العظام البالية وإعادتها خلقا جديدا[٦] ، وأن البعث أمر واقع فى الآخرة ، كما هو قائم فى النشأة التى نحن فيها ، وتكون النشأتان – الدنيا

---

(١) الأستاذ محمد بك حلال – الأمثال فى الفصحى – ص٢٢٧ ط القاهرة ١٩٢١م .

(٢) الإمام أبو حيان – البحر المحيط جـ٧ ص٣٤٨ .

(٣) الشيخ محمد عبدالجوادى – الأمثال العربية – باب الهمزة ص١٩ .

(٤) هذا من الشواهد العربية فى كتب البلاغة ، كما يستشهد به النحاة فى باب العطف .

(٥) هذا من قصيدة طويلة كنت قد وقفت اليها قبل سن الأربعين بكثير ثم نشرت فى ديوان : سياحة تأملية ، وهو الديوان الخامس عشر ، وكان قد طبع عام ١٩٩٦م .

(٦) العلامة ابن جرير الطبرى – تفسير الطبرى جـ٢٣ ص٢١ .

والآخرة – متماثلتان بالنسبة لقدرة الله تعالى ، وأنها جميعا عنده تعالى سواء ، بدليل أنه جل شأنه يخرج بقدرته العظيمة من الشجر الأخضر نارا تحرق ذات الشجر ، إذا انطلقت اليه ، وفي الأمثال : غارس أشجارا لفتنة نار تأكل نفسها[١]

◉ وذهب العلامة ابوحيان – رحمه الله – إلى القول بأن الله تعالى ذكر لهم ما هو أغرب من خلق الإنسان من النطفة ، وبعثه من جديد ، ألا وهو إبراز الشيء من ضده ، وذلك أبدع شيء وهو اقتداح النار من الشجر الأخضر ، الا ترى الماء يطفئ النار ، ومع ذلك خرجت النار مما هو مشتمل على الماء[٢] ، وذلك مما تعنى به الحكمة التأملية وبناء عليه يكون المفكر المسلم مستقلا عن غيره ، يقوم فكره على الأصول والقواعد العامة القائمة في النقل المنزل ، وهو المعنى الذى نقصده بأصالة الفكر الإسلامي وعدم تبعية الآخرين وإبداع المفكر المسلم وعدم وقوعه في قيود أسر الملحدين .

كما تأمل الآية الكريمة على الناحية العملية أيضا فوقف به البحث التجريبي إلى ظواهر علمية لا يمكن إغفال دورها في الحياة العامة ، وحاجيات الناس اليها على وجه من الضرورة التي لا بديل عنها ، فالإنسان يأكل ويشرب ، ويحتاج في مأكله ومشربه إلى نار يطهو بها طعامه ، وهذه النار لا يمكن جعلها ثابتة في مكان بعينة على سبيل التأبيد ، والا فإنها سوف تحتاج وقودا مستمرا ، كما يصير طلبها نوعا من المشقة غير المحتملة ، لأن الناس يغدون ويروحون ، فبقاؤها في مكان معين ينتهي إلى أضرار يصعب علاجها ، ويفقدها أحوالا هم بحاجة اليها .

وبالتالى فلابد من محاولة التعامل معها والتفكير فيها حتى تكون منقولة مع الناس أينما ذهبوا تيسيرا لهم في طلبها ، وتحقيقا للمصالح المنتظرة معها ، وذلك لا يكون الا باستخدام الجهد العقلي المستمر والبحث الفيزيائي الذى لا يتوقف ،

---

(١) راجع كتابنا – حكم وأمثال باب الفنون .

(٢) العلامة أبو حيان – البحر المحيط – الجزء السابع ص٣٤٨ ، والنهر الماد أيضا فيه تعليق مفيد .

فكان ذلك مما قام به المفكر المسلم فى هذا المجال أيضا ، وقد نجح فيه أيما نجاح ، وكان ذلك كله من الجهود التى كانت له على سبيل الاستقلال..

ومن ذلك أيضا قوله تعالى "وله الحمد فى السماوات والأرض وعشيا وحين تظهرون يخرج الحى من الميت ويخرج الميت من الحى ويحيى الأرض بعد موتها وكذلك تخرجون"[1] ، ففى الآيتين الكريمتين حديث عن ظواهر كونية بعضها متعلق بالأجرام العلوية كالسماوات السبع بما فيها من بناء محكم متقن مع الاتساع وتوالى الأعداد .

لكن المفكر المسلم بدأ يتساءل :

- هل السماوات مرفوعة بأعمدة مرئية ، أم هى مرفوعة من غير عمد أصلا ، أم هى مرفوعة بأعمدة غير مرئية ؟

- ثم هل هى سماوات متطابقة بعضها فوق بعض فوق ليس بينها فواصل ، ام هى طباق بين كل سماء والأخرى فراغ ، لكن هل هو مسافة زمانية أعنى مدة ، أم مسافة مكانية أعنى مساحة وما مقدارها وحجمها ووزنها ان وجدت[2] ، ما دام لها العديد من النعوت التى تلحق الأجرام العلوية ، وتقع فيها العقول حول التأمل المتواصل طبقا لما جاء به النقل المنزل[3] ، ومرجع ذلك كله إلى مجيء الألفاظ القطعية فى دلالتها داخل النقل المنزل .

---

(١) سورة الروم الآيتان ١٨/١٩ .

(٢) بناء على أن كل جسم له امتداد وله وزن وعمق وطول وعرض إلى غير ذلك من الأبعاد .

(٣) الآيات القرآنية فى هذا الشأن كثيرة جدا.

❁ كما أن الأرض هي ضد السماء باعتبار الأعلى والأسفل فالأرضون سبع ، لكن هل هي أيضا سبع فوق بعضها ، أو هي طبقات متراكمة ، أم هي طبقات ترابية متنوعة في الألوان والخصوبة والنماء[1] .

❁ إلى غير ذلك من الأسئلة التي حاول العقل المسلم تقديم إجابات لها على ناحية من النواحي المقبولة ، وما أظن أن هناك ثقافة غير إسلامية يمكن أن تكون قد تناولت هذه الأسئلة ، أو حاولت التعرض لها ، وما دام الأمر كذلك فان الحكمة الإسلامية أصيلة في التراث الإسلامي وقائمة عليه .

وفي نفس الوقت فان الآية القرآنية ذاتها تحدثت عن الزمان كفكرة لها وجود واقعي ، وفرقت بين مفهوم الزمان باعتباره فكرة ومفهومه باعتباره واقعا فعليا ، فتحدث الآية التي قبلها عن المساء والصباح ﴿ فسبحان الله حين تمسون وحين تصبحون ﴾[2] ، ولاشك أنهما – المساء والصباح – طرفا اليوم والليلة ، فكل يوم يبدأ بالصباح وينتهي بالمساء ، وكل ليلة تبدأ بالمساء وتنتهي بالصباح ، وكل منهما ينازع الآخر في مطالعه كما يواليه في البداية والنهاية ، أو الابتداء والانتهاء يدرك ذلك من له ادنى إلماحه عقلية إيمانية

❁ كما ان الآية التي توالت بعد السابقة هي قوله تعالى ﴿ وله الحمد في السماوات والأرض وعشيا وحين تظهرون ﴾[3] ، قد جاء فيها الحديث عن ثلاثة أوقات بين وقتي المساء والصباح ، فتكون الأوقات كلها خمسة ، راجعة في مفهومها لمواقيت أداء الصلاة نفسها ، عندنا نحن المسلمين طبقا لما أمرنا به رب العالمين ، وعلمنا رسولنا الكريم ، من قوله ﷺ « صلوا كما رأيتموني أصلي »[4] ، وهي :–

---

(١) الأستاذ توفيق عبدالمسيح – دراسات قرآنية ص٥٧ .

(٢) سورة الروم الآية ١٧ .

(٣) سورة الروم الآية ١٨ .

(٤) الأمام النووي – الأذكار ص١٩٥ .

[١] وقت العشاء : حين تمسون
[٢]وقت الفجر : حين تصبحون
[٣] وقت الظهر : حين تظهرون
[٤]وقت العصر وهو داخل مفهوم حين تظهرون .
[٥] وقت المغرب : وهو وقت العشاء

بيد أن إخراج الله الحى من الميت[١] مثل إخراج النبات الحى من الأرض الجامدة الميتة ، وإخراج الدجاجة من البيضة المنفصلة التى لاحس فيها ولا حركة ، لهو من أوضح الأدلة على إخراج الأضداد من بعضها مع عدم فساد واحد منها[٢] ، فالله تعالى أخرج النار المشتعلة من العود الأخضر ، وأخرج كذلك النبات الحى من الأرض الميتة ، وذلك وأمثاله مما دفع المفكر المسلم حتى يضرب فيه بقوس الفكر ، وسهام التأمل عله يبلغ فى المسالة مبلغا .

وهو فى كل حالاته حريص كل الحرص على إشباع قدراته العقلية ، وجوانحه النفسية ، ومن ثم فهو يواصل تأملاته التى لم تنقطع ، وفى كل مرة يتقدم للأمام خطوة ، فإذا استوثق من خطوته التى قطعها ، والنتائج التى توصل اليها ، قفز إلى ما بعدها فى ثبات مدعوم بالنصوص الدينية[٣] ، والتأملات الإسلامية التى سبقته فى نفس الميدان ، وهو فى كل حالاته حريص على إرضاء الله تعالى مع إشباع رغباته للبحث العلمى أيضا ، وذلك مما يمثل نوعا من الاستقلال الفكرى الذى يتمتع به المفكر المسلم .

أجل كما يخرج الله تعالى الأضداد من بعضها فانه تعالى يدخلها أيضا فى بعضها ، مع عدم تلاشى أى منهما فى الأخر ، فهو سبحانه وتعالى يكور الليل

---

(١) قوله تعالى ﴿" يخرج الحى من الميت ويخرج الميت من الحى "﴾ والأيات فى هذا الشأن كثيرة .

(٢) لأن الفساد يتنافى مع الحكمة الإلهية لتلائم فيها أمر الإبداع أيضا .

(٣) وبهذا الاعتبار يتمايز المفكر المسلم عن اليونان وغيرهم تمام التمايز .

على النهار ، ويكور النهار على الليل[١] ، ويولج الليل في النهار ويولج النهار في الليل[٢] ، ثم يخرج أحدهما من الأخر ويجعل ذلك آية من آياته . قال تعالي (" وآية لهم الليل نسلخ منه النهار فإذا هم مظلمون")[٣] ، وقوله تعالي (" لا الشمس ينبغي لها ان تدرك القمر ولا الليل سابق النهار وكل في فلك يسبحون")[٤] .

من ثم فان إخراج الله الأضداد من بعضها – سواء في النواحي الميتافيزيقية المتعلقة بالكونيات كالليل والنهار ، أو في المتعلقة بالفيزياء كما عرضنا بعض النبات ، وإخراج الله النار من الشجر الأخضر ، أو المتعلقة بالفلك كالشمس والقمر إلى غير ذلك مما ورد في القرآن الكريم على تلك النواحي – هو العامل الأساسي الذي شغل المفكر المسلم وجعله يتجاوب معه ، ودفعه إلى المزيد من التأمل في كافة جوانب الميتافيزيقا التأملية ، والنقدية معا ، بل والفيزيقية أيضا على النحو الذي ورد ذكره في الدراسات المتخصصة التي قاموا بها على وجه الإبداع مع الإجادة والإتقان حتى كانوا بحق أسبق الناس اليه .

- ومن المؤكد أن المفكر المسلم قد قسم الموجود إلي قسمين :

- الأول : الموجود الخالق والذي لا مثيل له ولا شبيه ولا شريك ، وهو الله سبحانه وتعالي الذي له كل صفات الجلال والجمال والكمال والإكرام ، وهو المنزه عن الولد والصاحبة والحاجة ، فهو سبحانه الخالق القادر العظيم ، وهذا القسم ليس محلا

---

(١) قال تعالى (" خلق السموات والأرض بالحق يكور الليل على النهار ويكور النهار على الليل وسخر الشمس والقمر كل يجرى لأجل مسمى الا هو العزيز الغفار") سورة الزمر الآية ٥ .

(٢) قال تعالى (" ذلك بأن الله يولج الليل في النهار ويولج النهار في الليل وأن الله سميع بصير") سورة الحج الآية ٦١ ، وقال تعالى (" يولج الليل في النهار ويولج النهار في الليل وهو عليم بذات الصدور") سورة الحديد الآية ٦ .

(٣) سورة يس الآية ٣٧ .

(٤) سورة يس الآية ٤٠ .

للدراسة من حيث ذاته ، أو حقيقته الذاتية ، وأكد أهل الإسلام على أنه لا يعرف الله تعالى الا الله[١] .

كما أن الأحاديث النبوية الصحيحة الشريفة قد نهت عن بحث هذا الجانب من حيث ذاته ، ولكنها نبهت إلى البحث فيه من حيث الاستدلال عليه ، ففى الحديث الشريف « تفكروا فى آلاء الله ولا تفكروا فى ذاته فتهلكوا »[٢] وتفكروا في مخلوقات الله ، لا تفكروا فى ذات الله فانه لا تحيط به القدر .

- الثانى :- الموجود غير الخالق ماديا أو غير مادى ، وهو الكون أو العالم أو ما سوى الله تعالى سواء مما عرفناه عن طريق النقل المنزل وحده ، أو عن طريق البحث العقلى وحده ، أو الإلهام الحدسى أو بهم جميعا ، أو لم نعرفه وإنما ظل مطويا عنا قائما فى علم الله تعالى وحده ، وهذا التقسيم هو محل البحث العقلى والاجتهاد الفكرى بما فيه من تجريب ونظر ، أو أعمال العقل والفكر إلى آخر ما ينهض فيه دور البحث العلمى[٣] .

وقد عنى به الحكيم المسلم وتفرد بالبحث فيه ، وذلك فى حد ذاته يؤكد أصالة الحكيم المسلم فى عقيدته والأحكام المتعلقة به ، كما ينتهى إلى أن المفكر المسلم والفكر الإسلامى قاما على النقل المنزل الذى لم تعرفه أمة من الأمم غير أمة الإسلام وهو من الأدلة على أصالة الحكيم المسلم ، وعدم تبعيته لغيره وأصالة

---

(١) هذا مما يؤكد عليه مفكروا الإسلام - وراجع عجائب القرآن ، وكتابنا الإيمان بالغيب وأثره على الفكر الإسلامى .

(٢) سبق الاستشهاد بالحديث فى صفحات من هذا الكتاب ، فليرجع اليها هناك ، ونسأل الله تعالى السلامة ونرجوك صالح الدعاء فهو سبحانه وتعالى على كل شىء قدير .

(٣) راجع مناهج البحث عند مفكرى المسلمين للدكتور على سامى النشار وغيرها مما عنى ببيان ذلك المذهب .

الفلسفة الإسلامية وعدم انطلاقها من غير النصوص الإسلامية[١]، وهو الذى أكدنا ونؤكد عليه .

بل أن من يتأمل آيات القرآن الكريم على أية ناحية يقصدها فانه واجد فيها مطلبه فى كافة النواحى، ان لم يكن على سبيل التصريح به، فان طريق الإشارات القرآنية والتلميح الدقيق إلى المفاهيم هو الذى سيكون بديلا لما لم يصرح به، ويؤدى نفس النتائج فى المستجدات، أو التأكيد على المسبوقات[٢]، وذلك من العوامل التى ~~ألهبت حماس المفكر المسلم، والمستمر السعى الدؤوب عله يتعرف~~ عليها فى الواقع المعاش بعد أن تعرض لها النقل المنزل نفسه ؛ فكان تعرض المفكر المسلم لها نوعا من العبادة لله بعد الاعتقاد فى صحة ما دعاه اليه، وكلفه التعرف عليه .

۞ وفى تقديرى: أن ما صرح به القرآن الكريم من قضايا ميتافيزيقية كفكرة الزمان المقدر فى علم الله الأزلى، والزمان الفلكى، فإنها قد حدث بالمفكر المسلم لاستنتاج فكرة الزمان البيولوجى الفيزيقية، وهكذا فان كل فكرة ميتافيزيقية تعقبها أفكار فيزيائية، وأن كل نتائج فيزيائية داعية للتعرف على الميتافيزيقا التأملية من باب أولى .

۞ وآية ذلك مما ذكره القرآن الكريم فى قوله تعالى (" قل أرأيتم إن جعل الله عليكم الليل سرمدا إلى يوم القيامة من اله غير الله يأتيكم بضياء أفلا تسمعون قل أرأيتم إن جعل الله عليكم النهار سرمدا إلى يوم القيامة من اله غير الله يأتيكم بليل

---

(١) عرضنا لذلك فى صدر هذا الفصل، وكذلك تناولنا هذه المسألة فى العديد من المؤلفات التى أعاننا الله تعالى على إخراجها .

(٢) الإشارات النقلية فى هذا الشأن كثيرة ونرجو الله أن يجعلها ميسرة لطالبيها .

تسكنون فيه أفلا تبصرون"[١]، فالآيتان تحدثنا عن ظواهر كونية عديدة، بعضها فلكي، وبعضها فيزيائي على سبيل التصريح بكل منهما.

ثم الحث إلى ظواهر كونية أيضا لكنها فيزيائية خالصة داعية للبحث العلمي، وهي الظلمة الدائمة القائمة في لفظ سرمدا بعد ذكر الليل، فالسرمدية هنا منصبة على مفهوم الظلمة التابع للفظ الليل، وكل من الآيتين تناولت نفس المفاهيم من الليل والنهار والظلمة والنور على سبيل التبادل القائم فيهما، وهو معنى التحليل العلمي في المنهج التجريبي الذي يتغنى به دعاته في العصر الحديث متناسين دور مفكري المسلمين في المسألة رغم أنهم الأسبق اليه، والأحرص عليه، والأكثر دقة فيه.

ثم تأتي خلفهما آية تجمع نتائج كل منهما على سبيل التركيب، فيقول الله تعالى (" ومن رحمته جعل لكم الليل والنهار لتسكنوا فيه ولتبتغوا من فضله ولعلكم تشكرون "[٢]، وهو النتيجة التي يقف عندها صاحب التجربة المعملية ينتظرها أملا أن تحقق له من النتائج ما يفتح الباب الموصد دونه على سبيل منهج التركيب الذي يجمع النتائج لا منهج التحليل الذي يقسم الأجزاء على النحو الذي جاءت به الآيتان اللتان سبقتا.

في نفس الوقت فأنا لا أزعم أن القرآن الكريم كتاب نظريات علمية أبدا، وإنما أميل إلى أن الإشارات القرآنية هي التي ظلت تدفع بالمفكرين حتى اهتدوا إلى تلك المباحث العلمية، سواء كان ذلك في الجانب الفيزيائي أو الميتافيزيقي، وأنهم لم يقبسوا حكمتهم الا من النقل المنزل نفسه كمصدر ثابت أصيل، ثم ثقافتهم العربية التي كانت الدعامة الثابتة عندهم قبل الإسلام، وأحد الركائز التي وقفت لهم حتى أمكنهم بها تفهم النصوص الدينية ذاتها.

---

(١) سورة القصص الآيتان ٧٢/٧٢.

(٢) سورة القصص الآية ٧٣

● يقول أحد الباحثين « أن نوع الحكمة التي تحاول الفلسفة الإسلامية أن تأخذ بها ، كانت من حيث القصد على الأقل حكمة دينية ، وهذه هي خاصيتها ، فهي تشتمل على عناصر دينية مأخوذة من القرآن الكريم ، لكنها بدلا من اقتباسها كعناصر دينية فإنها تسعى في إخلاص إلى التوفيق بين الدين والعقل بقصد إعطاء الدين صفة علمية ... وهكذا استطاعت أن تصل إلى العقول المؤمنة ، أو على الأقل تلك العقول التي ترغب في التوفيق بين عقيدتها وبين العقل والعلم[1] .

وكان منطلقها هو النقل المنزل ، وهو نفسه مصدرها الأساسي الذي تقوم عليه ، وهو الموجه لها والدافع الذي لم يجد العقل الإسلامي مصدرا أوثق منه يطمئن اليه ، في بحث تلك المسائل الميتافيزيقية التي تقع في جانب الغيبيات أو ما وراء الحس المعرفي[2] ، وكذلك المسائل الفيزيقية التي لم يكن للعقل بها معارف سابقة ، وإنما كشفها له النقل المنزل في القرآن الكريم ، والسنة النبوية المطهرة الصحيحة ، وهو يحاول الوصول اليها على نحو من الأنحاء العلمية في جوانبها النظرية والتطبيقية .

ومن ثم فان الحكمة الإسلامية قائمة على القرآن الكريم ، وأن النصوص الإسلامية التي جاءت بعضها احتمالية الدلالة كان لها النصيب الأوفى من دراسات مفكري الإسلام على الناحية العقلية[3] ، وذلك مما جعل تلك الحكمة أو الفلسفة الإسلامية "وحدة مستقلة" لا سبيل إلى إنكارها على الرغم من اختلاف الأماكن التي ظهرت فيها ، والمؤلفات التي صنفت فيها ، كما أن نفس الملامح الأساسية الموجودة عند فلاسفة المسلمين في المشرق هي بعينها الموجودة عندهم

---

(١) شاخت وبوزورث - تراث الإسلام جـ٢ ص٧٣ ط٢ ١٩٨٨م .

(٢) راجع كتابنا - رياض الأشراق في الميتافيزيقا والأخلاق ص١٣٧ .

(٣) لأن العقيدة مكانها القلب ، أما المعرفة فمكانها العقل ، وهذا الفرق كبير لمن تأمله .

فى المغرب ، ونقطة البداية عندهم جميعا واحدة ، هى الحقائق القرآنية وتعاليم الإسلام المتعلقة بالحياة اليومية[١] فى العالم المشاهد ، وكذلك عالم الغيب .

۞ وفى نفس الوقت فان الإشارات الواردة فى الآيات القرآنية والأحاديث النبوية قد أمكن للحكيم المسلم الواعى أن يتدبرها مرات ، فإذا هى تتحدث عن دقائق فنية تعتبر البدايات الواقعية والأسس القويمة فى كافة العلوم والمعارف الإنسانية ، من ذلك تلك التى جاءت فى النسبية

[١] باعتبارها فكرة متعلقة بالمكان فى قوله تعالى (" سبحان الذى أسرى بعبده ليلا من المسجد الحرام إلى المسجد الأقصى الذى باركنا حوله لنريه من آياتنا أنه هو السميع البصير")[٢] ، فلفظ الليل متسع يمتد ساعات طويلة ، لكن معجزة الإسراء والمعراج قد استغرقت جزءا منه تجرى فيه النسبية الزمانية ، أما قوله تعالى " من المسجد الحرام إلى المسجد الأقصى " فيمكن أن تجرى فيها النسبية المكانية باعتبار أن من والى يحددان مطالع البداية والنهاية بهذا المعنى ، لكن أفسحا الفرصة للنسبية المكانية ، وقوله ﷺ « ما بين قبرى ومنبرى روضة من رياض الجنة»[٣] ، وقوله ﷺ «ما بين بيتى ومنبرى روضة من رياض الجنة »[٤] ، إلى أخر ما يمكن التعرف عليه كإشارات ورموز للنسبية المكانية بالمعنى الفنى الدقيق ، فما بين قبره ﷺ ومنبره مسافة مكانية تجرى فيها النسبية المكانية بالنسبة للجالس فيها ، أو الذى يأتى اليها راغبا فيها ، وكذا ما يتعلق بها من هذه الناحية ، وقد نبه اليها النقل المنزل الصحيح .

[٢] أو جاءت فى النسبية كفكرة متعلقة بالزمان من ذلك قوله تعالى (" وأقم الصلاة طرفى النهار وزلفا من الليل ان الحسنات يذهبن السيئات ذلك ذكرى

---

(١) شاخت وبوزورث - تراث الإسلام جـ٢ ص٦٦ ط٢ ١٩٨٨م .

(٢) سورة الإسراء الآية ١

(٣) هذا الأثر شائع مشهور ، وتختلف الروايات فيزيد عليه بعض الألفاظ أو يختصر فيه .

(٤) الإمام الطبرانى - المعجم الصغير - الجزء الثانى ص١٢٢ .

للذاكرين"﴾[١]، وقوله تعالى ﴿"ومن الليل فاسجد له وسبحه ليلا طويلا"﴾[٢]، وقوله ﷺ «الصلوات الخمس، والجمعة إلى الجمعة، ورمضان إلى رمضان كفارات لما بينها إذا اجتُنبت الكبائر"»[٣]، وهذا واضح جدا لمن تأمله، والمفكر المسلم من أكثر الناس حرصا عليها وقد وفق متنسبا إياها من النقل المنزل نفسه اليها فكان من الضرورى الاعلان عنها .

[٣] أو جاءت فى بيان النسبية الكلامية المتعلقة بالحكم العام على الفكر نفسه واثبات صدقه من عدمه، ومن ذلك قوله تعالي ﴿"قل هاتوا برهانكم ان كنتم صادقين"﴾[٤]، وقوله تعالى ﴿"قل هلم شهداءكم الذين يشهدون أن الله حرم هذا فان شهدوا فلا تشهد معهم"﴾[٥]، وقوله تعالى ﴿"ومن أصدق من الله حديثا"﴾[٦]، وقوله تعالى ﴿"ومن أصدق من الله قيلا"﴾[٧]، وذلك من الدلائل على ان المفكر المسلم لم يكن له من مصدر يأخذ منه ثقافته الا النقل المنزل الذى أشبع نهمه للبحث بطريق مأمون بعد أن رسخ فى أعماقه العقيدة الإيمانية الصحيحة .

[٤] أو جاءت عن بيان النسبية فى القيم الأخلاقية، والملكات الأساسية التى تمثل مصالح لأصحابها يصعب التخلى عنها أو التفريط فيها، من ذلك قوله تعالي ﴿"وما يستوى الأعمى والبصير ولا الظلمات ولا النور ولا الظل ولا الحرور وما يستوى الأحياء ولا الأموات ان الله يسمع من يشاء وما انت بمسمع من فى القبور"﴾[٨]، ففى

---

(١) سورة هود الآية ١١٤ .

(٢) سورة الإنسان الآية ٢٦

(٣) شرح العلامة القشنى ص٢٣٥، وله شواهد كثيرة وفيه روايات متعددة أيضا .

(٤) سورة النمل الآية ٦٤ .

(٥) سورة الأنعام الآية ١٥٠ .

(٦) سورة النساء الآية ٨٧

(٧) سورة النساء الآية ١٢٢

(٨) سورة فاطر الآيات ١٩/٢٢ .

الآية الكريمة بيان النسبية فى الملكات كالبصر والعمى ، وكذلك النسبية فى مفهوم الظلمة والنور إذ ليس كل منهما نفس الأخر ، والظل والحرور ، فالفاصل بينهما باعتبار المكان نسبى ، أما الفاصل بينهما باعتبار الأجسام فقد تم مجيئه على الملكات ، وهكذا فلا يستوى الأحياء بشرع الله والأموات عنه وليس أهل الشرع أو أهل الخروج فى الأمر سواء عليه .

[٥] أو جاءت فى بيان مستوى النسبية الطبيعية فى الحركات والأصوات التى تقع فى عالم الفيزياء من ذلك قوله تعالي (" واقصد فى مشيك واغضض من صوتك أن أنكر الأصوات لصوت الحمير ")[١] ، فالسير تجرى بداخله مفاهيم النسبية المكانية باعتبار أن المشى يكون فى مكان ، وتجرى منه أيضا النسبية الحركية القائمة فى السير نفسه كعملية حركية ، والتى تعرف بالميكانيكا فى جانبها الديناميكى ، أو الاستاتيكى[٢] ، ويعنون بها الحركة المنتظمة .

﴿﴾ وفى مجال الحركة المنتظمة أيضا قوله تعالي (" وترى الجبال تحسبها جامدة وهى تمر مر السحاب صنع الله الذى أتقن كل شيء أنه خبير بما تفعلون ")[٣] ، وقوله تعالى (" والشمس تجرى لمستقر لها ذلك تقدير العزيز الحكيم ")[٤] ، وقوله تعالى (" لا الشمس ينبغى لها ان تدرك القمر ولا الليل سابق النهار وكل فى فلك يسبحون ")[٥] ، إلى غير ذلك من الآيات القرآنية التى جاءت متحدثة عن الحركة وانتظامها ، مرشدة إلى بعض قوانينها التى جد العلماء المسلمون فى التعرف عليها واستخراجها ، ثم وضعها فى قوالب ومفاهيم يمكن

---

(١) سورة لقمان الآية ١٩

(٢) عرضنا ذلك الجانب فى كتابنا النسبية فى الفكر الإنسانى فراجعها ربما تجد خيرا وأسألك الدعاء فذلك فضل الله .

(٣) سورة فاطر ٨٨

(٤) سورة يس الآية ٣٨

(٥) سورة يس الآية ٤٠

الانتقال الفكرى بها إلى العقول فى مستوياتها المختلفة ، وذلك دور لم يغفل عنه المفكر المسلم بل قام به على أكمل وجه .

۞ وفى مجال البيولوجيا الحيوانية يذكر القرآن الكريم طرفيها على وجه التحديد الثنى ، وهما الذكر والأنثى ، قال تعالى (" يا أيها الناس انا خلقناكم من ذكر وأنثى وجعلناكم شعوبا وقبائل لتعارفوا")[١] ، وقوله تعالى (" فلينظر الإنسان مما خلق خلق من ماء دافق يخرج من بين الصلب والترائب")[٢] ،

۞ وقوله تعالى (" أيحسب الإنسان أن يترك سدى ألم يك نطفة من منى يمنى ثم كان علقه فخلق فسوى فجعل منه الزوجين الذكر والأنثى أليس ذلك بقادر على أن يحيى الموتى")[٣] .

وهذا مما يشترك فيه الكائن الحى على وجه العموم والإنسان العاقل كمفكر أصيل هو الذى توجه اليه الخطاب ، حتى يفهم ما فيه ، وهو داخل فى ذلك المجال المزدوج من باب دخول الأخص تحت الأعم أو من باب ذكر الخاص بعد ذكر العام ، لأن الله تعالى قال (" ومن كل شىء خلقنا زوجين لكم تذكرون")[٤] ، ولما كان الإنسان والحيوان فيهما الخلق الثنائى المكون من الذكر والأنثى ، فأيهما أيضا يدخلان فى عموم قوله تعالى (" ومن كل شىء خلقنا زوجين") [٥] .

فالماء يتكون من ذرتين ضروريتين على سبيل الإجمال ، أحدهما خفيفة قابلة للاشتعال ، والثانية كثيفة قابلة للتجمد ، والتراب يتكون من ذرتين أساسيتين ،

---

(١) سورة الحجرات الآية ١٣

(٢) سورة الطارق الآيات ٥/٧

(٣) سورة القيامة الآيات ٣٦/٤٠

(٤) سورة الذاريات الآية

(٥) وهذا المعنى يستمر فى كل الكائنات الموجودة [illegible] والتى تعرف عليها العقل ولا يزال يكتشف فى المركبات راجع الإسلام فى عصر العلم للدكتور محمد الغمراوى ، والإسلام فى عصر العلم للأستاذ محمد فريد وجدى .

وكل منهما تتكون من ذرات هى الأخرى فيها الثنائية قائمة على مفهوم العلاقة بين الذكر والأنثى، وأعنى به مفهوم الخصوبة والقدرة على الإنتاج، التى تتحرك فيها تلك العلاقة تحركا واضحا يدركه العقل السليم والفطرة النقية .

- ولنا يقال : أن الأرض لها رحم يخرج منه الحب والنبات ، كما أن للمرأة رحما يخرج منه الأولاد والبنات[1]، وضرب الله الأمثال لإحيائه تعالى الأرض الموات بالماء هو نفسه المعنى القائم فى إحياء الله تعالى رحم المرأة العاقر بوليد يعبر عن إمكانيات أمه فى الخصوبة مهما كان سنها متقدما فتتحول من امرأة ميتة فى رحمها إلى سيدة حية به، فيها رغبة شديدة وإمكانيات عالية، لتكون أنثى كاملة فى عالم الإنسان .

نلمح ذلك كثيرا وقد ذكر القرآن الكريم علينا أطرافا منه نذكر منها : زوج نبى الله زكريا عليه السلام التى بلغت وزوجها من الكبر عتيا، ولم تكن المرأة قد رزق منها زوجها، أو رزقت منه بولد[2]، ورغم تقدم كل منهما فى السن بجانب جفاف رحمها عن العمل، الا أن نبى الله زكريا عليه السلام دعا ربه قائلا ما حكاه القرآن «" رب هب لى من لدنك ذرية طيبة انك سميع الدعاء"»[3]، وقوله تعالى «"وأنى خفت الموالى من ورائى وكانت امرأتى عاقرا فهب لى من لدنك وليا يرثنى ويرث من آل يعقوب وأجعله رب رضيا"»[4]،

---

(١) راجع الأعجاز العلمى فى القرآن الكريم، والإسلام يتحدى للأستاذ وحيد الدين خان .

(٢) هى اليصابات ابنة عمران أخت حنه بنت فاقوذ ابن قبل أم مريم والدة سيدنا عيسى عليه السلام لأمها - راجع كتابنا ومبعض النصرانية بين غيوم المسيحية .

(٣) سورة آل عمران الآية ٣٨

(٤) سورة مريم الآيات ٥/٦ .

فأرسل الله الملائكة تخبر نبيه الكريم زكريا عليه السلام، أن الله أكرمه واستجاب لندائه ، وأنه أحيى رحم زوجه العاقر بوليد اسمه يحيى ، وحقق الله تعالى للرجل أمل فؤاده فحملت زوجه ، ثم وضعت بعد الحمل وليدها يحيى[1].

◉ ولذا يقول العلماء أن الله تعالى سماه يحيى لأن رحم أمه أحيي به[2] ، حتى ذكر البعض من أهل التفسير أن ذكريا عليه السلام سأله أحاد الناس لم سميته بيحيى ؟ فقال النبى سميته بيحيى ليحيى ، وهى عبارة تحمل معان كثيرة منها:-

○ الأول : ليحيى الله به رحم اليصابات أم يحيى ، ويظل خصبا سواء تحقق الحمل مرة أخرى بعد ذلك الحمل أم لم يتحقق المهم أنه يظل حيا عندها ، وهو أحد المعانى المقبولة فى التسمية بيحيى .

○ الثانى : ليحيى به الشرع فيكون هذا الوليد نبيا كريما كأخواته من الأنبياء والمرسلين ، يحيى بشرع الله ما أماتته النفوس المزيلة ، أو أضاعته العقول العاجزة عن تفهم شرع الله تعالى ، أو التى انصرفت عنه بكبر أو عناد .

○ الثالث : ليحيى هو فيمتد به العمر ، ويبارك الله تعالى فيه ، حتى يكون حاملا لواء التبليغ ، وأمانة الشرع التى جعلها الله تعالى من المصطفين من عبادة ليكونوا رسل الله تعالى إلى أقوامهم .

---

(١) راجع كتابنا – عقيدتنا رفع عيسى عليه السلام ونزوله بين الإسلام والنصرانية حـ١ ص٣٧ ط الخامسة ١٩٩١م ، وكتابنا وميض النصرانية بين غيوم المسيحية حـ١ ص١٨ .

(٢) راجع تفسير المنار للشيخ محمد عبده ، والشيخ محمد رشيد رضا حول تلك البشارة فى سورة آل عمران ، وكذلك تفسير القرطبى والطبرى وابن كثير ، ففيها كلام طيب حول هذه المسألة أيضا .

○ الرابع : ليحيى بين بنى قومه الذين أعماهم الهوى فوقعوا ضحايا الشيطان ومكائده ، ولم يلتفتوا إلى الشرع الذى بعث الله تعالى به الأنبياء حتى يتعرفوا شرع الله تعالى ويلتزموه .

۞ ولذا فإنا نقول : ان الإشارات القرآنية قد تحدثت عن العلوم المختلفة ، وأنها كانت كفيلة أن تقود المفكر المسلم ، وتصعد به اعلى درجات التفكير العقلى التى هى منحة من الله تعالى ، وأن تلك الإشارات هى من الحقائق القرآنية التى جعلها الله تعالى فى كتابه الكريم ، واستلهمها المفكر المسلم الأمين .

على أن تلك الحقائق النقلية هى التى صقلت ذهن الإنسان وبخاصة المسلم حتى جعلته قادرا على تفهم المسائل الميتافيزيقية والفيزيقية ، وكان إيمانه بالله تعالى وتصديقه بالخصائص التى تتميز بها الشريعة الإسلامية يشكلان حجر الأساس " فى تكوين عقلية المفكر المسلم بمعنى أنه كانت هناك سمات وخصائص فى الشريعة الإسلامية تنتهى بمن يتدبرها إلى التعرف على طرق كسب المعارف .

وأن هذا ما يؤكده ازدهار العلوم الإسلامية حول القرآن الكريم والسنة النبوية المطهرة ، ولم يكن قد مر على نزول الوحى سوى سنوات قلائل[1] ، وهذا يؤكد أن الفلسفة الإسلامية وليدة الثقافة الإسلامية ، وليست ربيبة الفكر اليونانى الذى تغنى بها المقلدون ، ومن يضعون عقولهم فى أقدامهم ورؤوسهم تحت أرجلهم ، من غير أن ينظروا للحق الذى شرعه الله تعالى ، أو تعصبا لجنس هزيل يقوم أمره على الشعوبية أو العنصرية ، أو غيرها من النزعات العرقية واللادينية المرفوضة شرعا .

---

(١) الدكتورة فوقية حسين محمود - مدخل إلى الفكر الإسلامى ص١٤ .

[ب] السنة النبوية المطهرة الصحيحة

السنة تطلق – فى اللغة – بإطلاقات عديدة لسنا فى مجال التعرض لها، ولكنها فى اصطلاح علماء الحديث تعرف بانها: ما نسب للنبى محمد ﷺ من قول أو فعل أو تقرير أو صفة خلقية أو خلقية، ككونه ﷺ ليس بالطويل أو القصير، أو لا يواجه أحدا بمكروه[1]، وفى الحديث الشريف بيان أن السنة النبوية هى أخت القرآن الكريم من ذلك قوله ﷺ أنى تارك فيكم الثقلين أحدهما أكبر من الأخر القرآن والسنة[2]، وقوله ﷺ « انى تارك فيكم الثقلين ما ان تمسكتم بهما لن تضلوا بعدى أبدا كتاب الله وسنتى »[3].

❁ وهناك فرق بين السنة النبوية كنصوص نقلية، وبين فهم ذات النصوص النقلية:

- فالأول «النصوص»: يعرف بأنه النقل المنزل فى جانبه الحديثى حتى يفهم القارئ الجانب الآخر، وهو الجانب القرآنى لما هو مستقر من أن النقل المنزل قسمان: القسم الأول: – القرآن الكريم، وتعرف نصوصه بالنصوص القرآنية، والقسم الثاني، هو السنة النبوية المطهرة، وتعرف نصوصها بالنصوص الحديثية.

- وأما الثانى: وهو فهم النصوص الحديثية: فيعرف بأنه الفكر الإسلامى أيضا، وبناء عليه، فالفكر الإسلامى هو الذى يقوم على تفهم النقل المنزل فى جانبه القرآنى والحديثى.

---

(١) سنن أبى داؤد المقدمة ص٣، ذلك واضح فى كتب الأحكام والأصول، وكتب علوم الحديث الشريف، وكذلك كتب الفقه الإسلامى.

(٢) الإمام الطبرى – المعجم الصغير جـ١ ص١٣١.

(٣) المصدر السابق ص١٣٥.

لكن السنة المطهرة الصحيحة تحدثت نصوصها كما تحدث القرآن الكريم في كثير من الجوانب التي تعرضنا لها مع بعض التفصيلات الدقيقة أو بعض أنواع من الإيجاز باعتبار ان السنة النبوية المطهرة الصحيحة تفصيل لما أجمل في القرآن الكريم ، أو إجمال لما فصل ، أو إطلاق لمقيد أو تخصيص لعام ، أو استقلال بحكم شرعي[١] ، أو إلحاق الفرع بأصله ، إلى غير ذلك من الوجوه التي ذكرها المعنيون كوجوه للسنة النبوية المطهرة الصحيحة ، وعلاقات متبادلة بينها وبين القرآن الكريم .

العامل الثاني
وجود القدرات العقلية المتميزة

عرفنا أن النقل المنزل – القرآن الكريم والسنة النبوية المطهرة الصحيحة – هو العامل الأول والأساسي في نشأة الفكر الإسلامي ، وأن الحكمة الإسلامية كان لها النصيب الخاص بهامش تصريحات القرآن الكريم ، أو إشاراته وتلميحاته ، وان السنة النبوية المطهرة الصحيحة هي الأخت التوأم للقرآن الكريم[٢] .حيث يشتركان في أن كلا منهما كلام الله تعالى .

غير أن القرآن الكريم كلام الله تعالى بلفظه ومعناه ، أما السنة النبوية المطهرة الصحيحة فهي كلام الله تعالى بمعناه ، واللفظ من عند رسول الله ﷺ[٣] ،

---

(١) يذهب البعض إلى أن السنة لا تستقل بالحكم الشرعي ، وإنما هي فرع يلحق بأصله ، ولكنه رأي مرجوح ، والرأي الأقوى في المسألة هو أن السنة النبوية المطهرة تستقل ببعض الأحكام الشرعية .

(٢) ففي الحديث الشريف « أني أوتيت الكتاب ومثله معه ، ألا يوشك أن يأتي رجل ثم يقعد على أريكته ويقول عليكم بالقرآن ، فما وجدتم فيه من حلال فأحلوه وما وجدتم فيه من حرام فحرموه ، ألا أن ما حرم رسول الله مثل ما حرم الله تعالى » والكتاب هو القرآن الكريم ، ومثله هو السنة النبوية الصحيحة المطهرة ، وإلى هذا الرأي ذهب جمهور أهل الإسلام على اختلاف الفروع التي يقومون بتناولها في الدراسة .

(٣) راجع في المسألة مقدمة الإتحافات السنية في الأحاديث القدسية للشيخ محمد محمد الزواوي والشيخ المدني .

وأنهما معا مصدر التشريع الإسلامي الأساسي[١] ، وأنهما معا يجب الانقياد إليهما والطاعة[٢] ، وفي نفس الوقت فان الطعن على أن منهما أو الكفر به يؤدى إلى الطعن على الأخر والكفر به أيضا[٣] ،لأنهما من كلام الله رب العالمين الموحى به.

لكن ذلك النقل المنزل لا يلقى للبله أو المجانين ، أو أصحاب العقول الناقصة لأنها لا تستوعبه على سبيل التفهم له أو الوصول اليه ، وفي نفس الوقت فان عليهم أن يفهموا منه بقدر ما يتاح لهم ان كان لذلك من سبيل ، أما أن يكونوا فيه مبدعين ، أو يطالبوا بنوع من الاستنتاج العقلي ، فذلك مما يمثل صعوبة لهم ، وفي ذات الوقت فان محاولاتهم هذه ستكون في حدود ضيقة جدا ان ظفرت ببعض ألوان النجاح ، فإنها لا تقدم ما يمكن أن اعتباره قواعد عامة بقدر ما ينظر اليه على أنه وجهات نظر وخواطر ذاتية قد تسلم لأصحابها ، وقد لا تسلم[٤] ، ومثلهم لا ينتظر منهم إبداع فكرى .

أما غيرهم ممن تمتعوا بالقدرات العقلية العالية التي لديها الرغبة في التعرف على الملكوت ، فانهم كثيرا ما يلتفتون اليه ، ويعمون النظر فيه ويبلون قدراتهم على السياحة بين أرجائه ، لكنه كانوا بحاجة إلى مرشد أمين ، فلما أنزل القرآن الكريم عليهم تلاقى الأمران ، - النقل المنزل والقدرات العقلية فقفز العقل إلى

---

(١) وفي الحديث المشهور عن سيدنا معاذ بن جبل حيث بعثه الرسول ﷺ إلى أهل اليمن فقال له بم تحكم إذا عرضت لك مسألة ؟ قال أحكم بكتاب الله تعالى ، قال فان لم تجد في كتاب الله تعالى ، قال أحكم بسنة رسول الله ﷺ قال فان لم تجد في سنة رسول الله ﷺ قال أجتهد رأى ولا ألو ، فقال ﷺ الحمد لله الذى وفق رسول رسول الله لما يحبه الله ، فبان لنا أن السنة المطهرة كالقرآن الكريم في اعتبارها مصدر التشريع الإسلامي ، وفي الحديث الشريف أيضا قوله ﷺ « تركت فيكم ما ان تمسكتم بهما لن تضلوا بعدى أبدا كتاب الله تعالى وسنتي » .

(٢) قال تعالى ﴿ "وأطيعوا الله وأطيعوا الرسول وأولى الأمر منكم" ﴾ وقال تعالى ﴿ "وما أتاكم الرسول فخذوه وما نهاكم عنه فانتهوا" ﴾.

(٣) قال تعالى ﴿ "أفتؤمنون ببعض الكتاب وتكفرون ببعض فما جزاء من يفعل ذلك منكم الا خزى في الحياة الدنيا ويوم القيامة يردون إلى أشد العذاب وما الله بغافل عما تعملون" ﴾

(٤) راجع كتابنا -التفكير الإنساني ومستوياته ص٢٥

النقل يتمسك به ويحتضنه لا يفرط فيه ، ولا يعدل به غيره[١]، وفي نفس الوقت فانه يتأمل ما جاء فيه من تصريحا ، ويفكر في إشاراته ، ويحاول التوفيق بين قدراته الإبداعية الخالصة ، وبين التصريحات والإشارات القرآنية الواضحة أيضا التي لابد من النظر فيها بعين ناقدة ، وعقل مبدع أمين .

لذا فان وجود النقل المنزل وحده يكفي للتعرف على القواعد الشرعية ، والأحكام العملية بجانب القضايا العقدية ، أما وجود القدرات العقلية المتميزة بجانب النقل المنزل ، فهما معا ينتجان الحكمة الإسلامية[٢]، والتفكير الإسلامي المنظم في كافة شئون الحياة ، ويوجه إلى الآخرة ولاشك أن ذلك يعتبر مظهر احترام القواعد الشرع ، واحترام لقدرات العقل المتميز أيضا على الجوانب التي تأتي منها الحكمة الإسلامية .

ولما كان المسلمون أهل الاهتمام بالنقل المنزل ، وفيهم أصحاب القدرات العقلية المتميزة ،فقد اعتبروا ذلك التفكير في الجوانب الميتافيزيقية من الفرائض الإسلامية ، حتى قالوا : التفكير فريضة إسلامية[٣]، كما طالبوا بتوسيع نطاق التفكير وتعميقه في كل ما يمكن التعرض له من قضايا ، بحيث لا يقف البحث عند السطح ، وانما لابد من النزول به إلى الأعماق ، والصعود المستمر إلى الآفاق والإثارة الكاملة للأفكار ونثرها في كل اتجاه حتى لا يبقى فيها الا الصحيح الذي يمكن التمسك به[٤]، والاستفادة منه على قواعد الشرع الشريف ، وهو التكوين الذهني للفكر المسلم الذي عني بالجوانب الإبداعية .

---

(١) راجع كتابنا - لماذا انتشر الإسلام ؟ - جـ١ ص١٩٥

(٢) ذلك ما أشرنا اليه في تسميات الحكمة الإسلامية على النحو الذي عرضناه فارجع اليها هناك .

(٣) راجع التفكير فريضة إسلامية للأستاذ عباس محمود العقاد .

(٤) راجع كتابنا - خواطر حية في الفلسفة الحديثة ص١٨٥ .

على أن ذلك الدور هو الذى قام به مفكرو الإسلام، ولم يقم به أحد غيرهم، ولاشك ان كل ما قاموا به يميزهم عن غيرهم على سبيل اليقين والقطع، لأن مصدر المعرفة هو النقل المنزل بالنسبة للمسلم، وهو مأمون من الخطأ وعميق فى تأثيره على المفكر المسلم الذى أمكنه استنتاج المعارف ذات الصبغة المتميزة، وهو الحكمة الإسلامية أو الفلسفة الإسلامية فى ارقى صورها، وسوف نفيض فى بيان ذلك الجانب فيما بعد ان شاء الله تعالى .

العامل الثالث
التزام الأحكام الشرعية

◉ المسلم دائما يلتزم بالحكم الشرعى فى علمه وعمله لا يتجاوزه أبدا إلى غيره، والمعروف أن الإسلام له جوانب ثلاثة على سبيل التناول، وتتكامل على سبيل الأدوار المتعاقبة، وهذه الجوانب هى :-

الأول : العقيدة الإسلامية الصحيحة[1]

وهى الجانب النظرى فى الدين، ويقوم على أجزاء تتكامل فيما بينها بمعنى ان من يؤمن بها كلها فهو صاحب الإيمان الصحيح، ومن يكفر بواحدة منها فلا ينفعه الإيمان أبدا مهما كان اعتقاده فى بعضها، لأن العقيدة الإسلامية لا تنقسم، ولا تتجزأ الا فى التلفظ بها فقط، وقد جاء الحديث الشريف بعد القرآن الكريم بها من ذلك قوله ﷺ فى حديث جبريل الأمين « الإيمان أن تؤمن بالله وملائكته وكتبه ورسله واليوم الآخر وتؤمن بالقدر خيره وشره»[2] ،وهى نظرية بمعنى أنها لا تحتاج من معتقديها مجهودا جسمانيا، أو ماليا، أنها مجهود عقلى قلبى وجدانى يتعلق بإشباع الجانب الأهم فى الإنسان المسلم .

---

(١) هذا الجانب أفضنا فيه - راجع كتابنا - المدخل العام لعلم الكلام ص٤٧ .

(٢) شرح العلامة الفشنى على الأربعين النووية ص١٠ ، وهو أيضا معروف بحديث جبريل وسبق تخريجه .

۞ وحكى العلامة القشنى عن الإمام أبى اسحق الأسفراينى من علماء أهل السنة والجماعة رحمه الله أن أهل الحق جمعوا جميع ما قيل فى التوحيد فى كلمتين :

۞ إحداهما : أن كل ما تصور فى الأفهام فالله تعالى بخلافه .

۞ الثانية : اعتقاد أن ذاته تعالى ليست مشبهة بذات ولا معطلة عن الصفات وقد أكد ذلك الحق بقوله تعالى «"قل هو الله أحد الله الصمد لم يلد ولم يولد ولم يكن له كفوا أحد"» ورحم الله القائل :-

كل ما ترتقى إليه بوهم ∴ من جلال وقدرة وثناء
فالله لبدع البرية أعلى ∴ منه سبحانه مبدع الأشياء [1]

الثانى : الشريعة

وهى الجانب العملى فى الدين وتقوم على أركان تتكامل ولكل منها أجر ومثوبة فى الأداء ، أو وزر وعقوبة فى عدم الأداء – وليست على أجزاء جاء بها الحديث الشريف أيضا فى قوله ﷺ « بنى الإسلام على خمس شهادة أن لا اله الا الله وأن محمدا رسول الله ، وأقام الصلاة ، وإيتاء الزكاة ، وصوم رمضان ، وحج البيت لمن استطاع اليه سبيلا »[2] .

۞ والركن الأول منها وهو الشهادتان قولى : بمعنى أنه يؤدى إلى ما يمكن أن يتعرف عليه المؤمن من خلال النقل المنزل ، وينطق به اللسان كعمل لسانى معبر عن داخل وجدانى إيمانى ، وتكون الإشارة اليه بديلة عن النطق به عند فاقد ملكة الإفصاح والإبانة ، والأركان التى بعده تصدق مدعيه أو تكذبه ، والتأمل فيها جميعا يمهد لنوع من التفكير العقلى المتميز .

---

(١) المصدر نفسه ص٩ ط الحلبى

(٢) صحيح الإمام مسلم ، رياض الصالحين ، والمؤلؤ والمرجان فى المعجم الصغير جـ٢ ص٨

• أما الركن الثانى ، وهو الصلاة[1] : فإنها ركن مفروض وأن المرء المسلم يؤديها كل يوم خمس مرات فى أوقات منصوص عليها فى الشريعة الإسلامية لقوله تعالى (" ان الصلاة كانت على المؤمنين كتابا موقوتا ")[2] ، وفى الحديث الشريف « افترض الله الصلوات الخمس »[3] ، وذكر الإمام الرافعى فى شرح المسند " أن الصبح كانت صلاة آدم ، والظهر كانت صلاة داوْد ، والعصر كانت صلاة سليمان ، والمغرب كانت صلاة يعقوب ، والعشاء كانت صلاة يونس ، وأورد فى ذلك خبرا ، فجمع الله سبحانه وتعالى جميع ذلك لنبينا محمد عليه وعليهم جميعا افضل الصلاة والسلام ولأمته تعظيما له ولكثرة الأجور له ولأمته ، فكانت الصلوات الخمس المعروفة .

• ولله در القائل :-

الا فى الصلاة الخير والفضل أجمع ∴ لأن بها الأرباب لله تخضع
وأول فرض فى شريعة ديننا ∴ وآخر ما يبقى إذا الدين يرفع
فمن قام للتكبير لاقته رحمة ∴ وكان العبد لباب مولاه يقرع
وكان لرب العرش حين صلاته ∴ نجيا فيا طوبى له حين يخشع[4]

فهو إذن يمارس التوحيد الخالص بطريقة عملية أثناء أدائه للصلاة وفى الأثر : اسرق الناس من يسرق صلاته[5] ، أما كيف ذلك ؟ فلأن المسلم حين يذهب

---

(١) فرضت الصلاة ليلة الإسراء والمعراج ، وهى الركن الوحيد الذى فرض من فوق سبع سموات ، وهى معلومة من الدين بالضرورة ، وفى الأثر قوله ﷺ فرض الله على أمتى ليلة الإسراء خمسين صلاة فلم أزل أراجعه ، وأسأله التخفيف حتى جعلها خمسا فى كل يوم وليلة ، وتعرف بأنها فى لسان الشرع أقوال وأفعال مفتتحة بالتكبير مختتمة بالتسليم بشرائط مخصوصة .

(٢) سورة النساء الآية ١٠٣

(٣) الإمام الطبرانى المعجم الصغير جـ٢ ص٦ .

(٤) العلامة الشيخ أحمد بن الشيخ حجازى الفشنى – شرح الفشنى على الأربعين النووية ص١٤ ط الحلبى

(٥) الإمام الطبرانى – المعجم الصغير جـ١ ص١٢١

للصلاة إنما يتجه للإله الواحد جل علاه بها ، فهو ينوى الصلاة لله وحده ، ويتجه بها اليه وحده ، وينفذها طبقا لتعليمات الله تعالى وحده ، ولا يؤدى فيها من قول أو فعل أو نية الا ما كان مصدره لله تعالى وحده[١] ،

وبناء عليه يكون أداء الصلاة مؤكدا لصحة الاعتقاد ، بمعنى أن يكون الجانب العملى وهو الصلاة مصدقا للجانب النظرى وهو الاعتقاد ، فذلك الركن الثانى يدفع المرء إلى التأمل فى نوع العبادة ، ومواقيتها ، والفوائد التى تتحصل بها ، ولمن تؤدى تلك الصلاة ، وذلك نوع من التفكير العقلى الذى يمهد لما هو أعلى منه .

• ثم يأتى الركن الثالث : وهو الصوم[٢] ، الذى يمارسه المرء المسلم فى كل عام شهرا على سبيل الفرض الثابت ، ويؤدى على سبيل الواجب المشروع ، بحيث يحجم الإنسان فيه عن إتيان ما هو مباح له ، تدريبا للنفس وتهذيبا للجسم ، وترقية للخواطر ، وانتقالا بالوجدان من دائرة الانغماس فى تدبير الجسم إلى الانطلاق فى رقى القلب[٣] ، والصعود به إلى العالم الأعلى الذى هو أرقى بكثير من العالم الأرضى الجسدى الذى تعيش فيه الرغبات الجسدية .

---

(١) شرح القشنى ص١٤ ، وفى الحديث القدسى « إنما أتقبل الصلاة ممن تواضع بها لعظمتى ، ولم يستطل بها على خلقى ولم يبت مصرا على معصيتى ، وقطع نهاره فى ذكرى ، ورحم الأرملة والمسكين ، ورحم المصاب ذلك نوره كنور الشمس أكلؤه بعزتى وأستحفظه ملائكتى ، وأجعل له فى الظلمة نورا وفى الجهالة حلما ، ومثله فى خلقى كمثل الفردوس فى الجنة

(٢) فرض الله الصوم فى شهر شعبان من السنة الثانية من الهجرة النبوية المباركة ، وصام شهر رمضان كاملا ، وهو معلوم من الدين بالضرورة فمن جحده وجوبه فهو كافر ، وفى فضائل رمضان آثار كثيرة منها قول رسول الله ﷺ : لو يعلم الناس ما فى رمضان من اليمن والبركة لتمنوا ان يكون حولا كاملا ، وقوله ﷺ « من قام رمضان إيمانا واحتسابا غفر له ما تقدم من ذنبه » .

(٣) راجع كتابنا – لماذا انتشر الإسلام ؟ – جـ٢ ص٧٥ .

من ثم فان الصوم المشروع فى دين الإسلام بجانب كونه عبادة مشروعة، وكونه ركنا من أركان الدين الإسلامى نفسه، فانه يساعد على تعميق معنى التوحيد فى النفس لكن بطريق عملى داخلى منعكس من الوجدان إلى الجوارح، إذ ما الذى يمنع المرء من تناول المطعومات والمشروبات والملذات، وهو بعيد عن كل المخلوقات؟ ان ذلك المانع له عن ذلك هو التوحيد الخالص لله رب العالمين الذى يمارسه اعتقادا، ويمارسه عملا،

- لكن لمن يصوم؟ وما الفائدة من الصيام للصائم فى الدنيا والآخرة ولغير الصائم أيضا، ولماذا يقلص المرء المسلم رغبات البدن، وحاجيات الجسد؟ والإجابة على ذلك كله هى من العوامل التى مهدت لنوع من التفكير الخالص الذى لم يكن معروفا لدى غير أمة الإسلام.

- أما الركن الرابع: وهو الزكاة: التى يقوم بها المسلم على كافة النواحى من زكاة المال إلى زكاة الزروع والثمار، وعروض التجارة، إلى غير ذلك من أنواع الزكوات التى تدخل فيها زكاة العلم، أو زكاة العقل، وزكاة البدن أيضا، حتى قالوا ان الابتلاء بالمرض بالنسبة للمسلم هو نوع من زكاة البدن، بل قالوا لكل بدن زكاه، وفى الحديث الشريف «تبسمك فى وجه أخيك صدقة، ونهيك عن المنكر صدقة»[1].

فى نفس الوقت فان إخراج الزكاة يجعل صاحب المال متحكما فى رغباته، فلا يسقط صاحبه فى حب تكديسه، لأنها تحثه على إخراجه معاونة لأخيه المسلم أيضا، فهى ليست إخراج كل المال، إنما جزء يسير جدا منه يكون بمثابة العلاج للظروف المستحق له، وتطهير للمال المخرج لها. قال تعالى ﴿خذ من

---

(١) هذا الأثر مما تناقله كتب الرقائق وله شواهد كثيرة فى السنة النبوية المطهرة أيضا من ذلك قوله ﷺ «ولو أن تلقى أخاك بوجه طلق» وراجع شرح القشنى ص٧٧، وقد ذكر انه من رواية الإمام الترمذى.

أموالهم صدقة تطهرهم وتزكيهم بها "[1]، وبجانب ذلك فهى تطهير لنفس المخرج لها من الشح والبخل والأثرة وحب اللذات وتطهير لنفس المستحق لها من الحقد، والحسد والبغض والرغبة فى العدوان .

ان الزكاة تجعل المزكى يرقب مولاه وهو يخرجها أيضا، فلا ينقص من مقاديرها، ولا يخفى شيئا مما يستحق الزكاة عن مستحقيه، لأن الإسلام يجعل المزكى قائدا لنفسه، وأميرا عليها، ويجعله حاكما على تصرفاتها، وقاضيا فى أحوالها، وذلك التصرف يبث فى نفس المسلم المخرج لها الثقة بالنفس والإحساس بالرغبة المتزايدة فى العطاء[2]، ما دام ذلك كله لإرضاء مولاه جل علاه الذى منحه المال، وأعانه على اكتسابه، ويسر له أسباب المحافظة عليه .

إذن هو يخرج الزكاة التى هى جانب عملى فى الأداء، ليطبق بها صدق ما اعتقده فى الجانب النظرى، وهو الاعتقاد القلبى، حتى ينال الرضا والقبول من الله تعالى، بالتالى فهو يترقب الثواب من الله تعالى فى الدنيا والآخرة، وهو راض بما قضى الله عليه فى ماله[3]، فأخرج الزكاة المنصوص عليها، وهو بهذا أيضا يدرب نفسه على العمل بالأحكام الشرعية، وبذلك الترقب يؤكد احترامه لعقيدته الإسلامية، وحبه لله الواحد الأحد الذى لا شريك له، فيثبت التوحيد فى نفس المؤمن بالله، ويعلن عنه أداء الزكاة .

وليس هذا وحده وإنما المسلم يتأمل المقادير المنصوص عليها، والأنواع التى تصرف اليها[4]، والأجر الذى جعله الله تعالى متولدا عنها، فيجد عقله قد

---

(١) سورة التوبة الآية ١٠٣ وتمامها " وصل عليهم ان صلاتك سكن لهم والله سميع عليم" .

(٢) راجع كتابنا - لماذا انتشر الإسلام جـ١ ص١٩٧ .

(٣) وهذا التسليم لله يجعل المؤمن فى أمان من نزعات الشيطان .

(٤) فى قوله تعالى ﴿" إنما الصدقات للفقراء والمساكين والعاملين عليها والمؤلفة قلوبهم وفى الرقاب والغارمين وفى سبيل الله وابن السبيل فريضة من الله والله عليم حكيم "﴾ سورة التوبة الآية ٦٠ .

يستوعب ذلك كله ، وقد يستوعب بعضه ، وهو في هذا الحال كله يعيش متأملا مفكرا في ذلك الأمر الذي جعله الله تعالى بين الناس ، فهذا يعطى ، وذاك يعطى له ، هذا يدفع بطيب خاطر ، والناس يتلقى بدعوات تتم عن قلب طيب وضمير خالص ، مما يجعل المفكر المسلم يقفز متميزا عن غيره في كل الحالات ، ويقرر أن الفكر الإسلامي لا مثيل له ، بل ولا يمكن أن يحل غيره محله[1] ، أو يقتبس الفكر الإسلامي من غيره ، ومن المستحيل أن يكون المفكر المسلم قد أخذ أنماط تفكيره تلك من غير النقل المنزل نفسه .

○ ثم يأتي الركن الخامس : الأخير من أركان الإسلام ، وهو الحج : الذي يقوم به المسلم القادر عليه بشروطه ، وهو ركن الإسلام الخامس ، وفرض من فروضه ، وفريضة من فرائضه ، وهو جهاد بالمال الذي يجاوز الزكاة متى كان المال قليلا ، وجهاد بالجسم والجوارح ، لأن فيه أعمالا بدنية من طواف وسعي ، ورمي ، ونحر ، إلى غير ذلك من أعمال الحج الذي تتعلق بالبدنيات ، وجهاد بالنفس لأن فيه اغترابا عن الأهل والوطن ، وبعدا عن المال والذرية ، وتخليا عن كل متعلقات الدنيا حتى يصير فيه أقرب إلى أهل الآخرة .

إذن ليس غريبا أن يكون الحج هو الركن الأخير لتلك الاعتبارات الكثيرة التي ذكرناها والأخرى التي لم نذكرها ، قال تعالى ﴿ ولله على الناس حج البيت من استطاع إليه سبيلا ومن كفر فإن الله غني عن العالمين ﴾[2] ، وبهذا يكون الحج في الإسلام داخلا في حدود التكليف بما يطاق ، لقوله تعالى ﴿ لا يكلف الله نفسا إلا وسعها لها ما كسبت وعليها ما اكتسبت ﴾[3] ، ولاشك أن ذلك ربما كان من أسرار اختياره آخر الأركان في الدين الإسلامي أداء لا اعتقادا .

---

(١) الأستاذ [illegible] – دراسات في الفكر الإسلامي [illegible] القاهرة ١٩٨٦م .

(٢) سورة آل عمران الآية ٩٧ .

(٣) سورة البقرة الآية ٢٨٦ .

والمسلم حين يقوم بأداء ركن الحج فان العديد من الأسئلة ترد عليه ، وتلح في البحث عن إجابة بعضها على طريق الشرع موجود ،وبعضها الأخر على طريق العقل غير مرفوض ، وذلك يجعل المفكر المسلم ينغمس في تحليل تلك الأسئلة ، ومحاولة تقديم الإجابات لها على وجه يرى فيه موافقة العقل للشرع ، ثم هو في النهاية يسلم قياد العقل لسلطان النقل متى كان الركن الأول من الأركان الخمسة قويا لدى صاحبه عميقا في تأثيره عليه .

بيد أن هذه الأركان الأربعة التي تلي الشهادتين من أركان الإسلام ترتبط بالركن الأول غاية الارتباط بمعنى أنه كلما كان العمل القلبي عميقا[1] - رغم أنه ركن نظري مرتبط بالمنطوق الذي يعبر عنه أو الشهادة الموجبة به - الا أنه يجعل من يمارس باقي الأركان منطلقا إلى التوحيد بعقل واع ، وقلب مطمئن واثق[2] ، ونفس كبيرة على غير الإسلام ذليلة أمام الشرع الإلهي من غير افراط في أداء ركن أو تفريط في الأخر .

كما أن المسلم حين يقوم بباقي الأركان فإنها تتم معه بشكل فيه الكثير من بساطة الأداء ، ورمزيه العبء ، أنها جميعا تتم ببساطة شديدة وحرية تامة من غير تقيد بأمور ، أو قواعد فيها شيء من القسوة أو الصعوبة ، بل فيها السهولة واليسر واستخدام العزائم والرخص ، من ذلك أن المسلم حين يقف لأداء فريضة الصلاة ، فانه يختار مكانه في الصف الذي يقف فيه يمينا أو يسارا من غير إكراه له أو ضغط عليه مع مراعاة أن الآداب الإسلامية مرعية في جعل الخيرية لأول صفوف الرجال .

---

(١) هذا باعتبار ان للقلب أعمالا سواء ما جرى منها في الوجدان أو في تأمل ما في القلب والعقل معا

(٢) راجع كتابنا لماذا انتشر الإسلام - جـ٢ ص١٨٣

ﷺ وفى الأثر، « افضل صفوف الرجال أولها »[1]، وفى الحديث الصحيح "لو يعلم الناس ما فى النداء والصف الأول ثم لم يجدوا الا أن يستهموا عليه لفعلوا :وفى رواية لاستهموا[2]. وذلك كله يتم لدى المسلم الملتزم بحرية تامة، وتفكير منظم، وارتباط ايمانى قلبى وعقلى.

وقس على ذلك باقى الأعمال التى تتم فى الصلاة من اختياره الآية التى يقرأ بها بعد فاتحة الكتاب والوقت التى يؤدى فيه الصلاة، مع مراعاة أن أفضل أوقات الصلاة أولها، ولكن ذلك لا يمنع من أدائها فى باقى الوقت المتسع الذى تحدثت عنه كتب الفقه والأصول وأفاضت فيه على العديد من النواحى[3]، وذلك كله يشترك فيه المسلمون جميعا، رجالا ونساء ممن وجبت عليهم الصلاة لا فرق بين عالم وعامى، عالم وجاهل، مفكر وخامل، فالجميع فى ناحية الأداء أمام الله تعالى سواء، وان كان الأجود أداء، والأوفى عملا هو الذى يكون أكثر أجرا[4].

مع ضرورة الأخذ فى الاعتبار أن تفتشهم جميعا من معنى توحيد الله تعالى هو الذى جعلهم يندفعون لتحقيقه، من خلال النظر والعمل معا وبهذا يتساوى الجميع أما الله تعالى فى الأداء، ويتمايزون عنده فى الأجر والثواب.

---

(١) العلامة الزبيدى - مختصر الزبيدى ص١٣٥.

(٢) راجع شرح العلامة الشنى على الأربعين النووية ص١٧٢.

(٣) الوقت الموسع والضيق فيهما أقوال كثيرة باعتبار المفهوم، وأقربها قولا أن الوقت الموسع ما يكفى لأداء الصلاة وغيرها وبدءا من أول وقت أداء الفرض، أما الوقت الضيق، فهو الذى يكفى فيه أداء الصلاة وحدها، أو أداء جزءا منها ثم يؤدى الفرض الثانى بعدها - راجع المنهاج ونهاية السول - بداية المجتهد ونهاية المقتصد سور الأحكام فى أصول الأحكام وغيرها، فقد جيب كلها بيان ذلك على وجه التفصيل.

(٤) وفى الحديث الشريف أن الرجلين يؤديان الصلاة وأحدهما ترفع صلاته إلى السماء، والثانى لا ترفع صلاته فوق رأسه، وما أجزء فيه.

من ثم فان الموقف العبادى الذى يؤديه المسلم ينتهى به إلى التعرف والوعى لمبدأ له أهميته من ناحية تقدير المواقف العلمية ،إذ تبين للمفكر المسلم أن القول المنطوق به يجب أن يتأكد من خلال العمل اللاحق له[1]، وأنه لا فاصل بين ناحية الاعتقاد وناحية الأحكام الشرعية ، ولا أولوية لناحية على أخرى ، وإنما هما ناحيتان تصدق كل منهما الأخرى ، وتتكامل كل منهما مع الأخرى ، بحيث تصيران شيئا واحدا هو المقصود الاسمى فى الإسلام.

الثالث : الأخلاق :

من الثابت ان الأخلاق فى الإسلام لها مكانة سامية ، ففى الحديث الشريف « أقربكم منى مجلسا يوم القيامة أحاسنكم أخلاقا » والآيات القرآنية مع الأحاديث النبوية تحدثت عن الأخلاق الإيجابية والسلبية مع الأمر بالمحافظة على الأولى والابتعاد عن الثانية ، وسوف نعرض له فى حينه بشيء من التفصيل ان شاء الله تعالى .

غير أن تآخى الاعتقاد مع العمل لدى المسلم صار أصلا منهجيا ضمن الأصول التى أصبحت قواعد يصدر المفكر المسلم أحكامه مستعينا بها لما لها من التكامل وخلوها من البتر أو القطع الذى كان سائدا فى المذاهب اليونانية ، والمصرية ، وغيرها ، ومذهب أرسطو كان يقدم العلم على العمل ، وكان يقدم الفضيلة النظرية على غيرها ، ولا علاقة له بالاعتقاد الذى لم يكن له وجود فى الفكر اليونانى ، وفى نفس الوقت فإن وجوده خصيصة للحكمة الإسلامية ، ويعبر عن استقلالها وتميزها على غيرها[2] ، وانطلاقها فى أمان لم يتوفر لغيرها من المذاهب الأخرى .

---

(١) دكتورة فوقية حسين محمود - مدخل إلى الفكر الإسلامى ص٢٣/٢٤ .

(٢) هذا الذى قد أكدت عليه كثيرا ، وما زلت حتى يعرف المقلدون ، أن الحكمة الإسلامية غير الفلسفة اليونانية تماما فى العديد من الجوانب ، وأن تجنيهم على الفلسفة الإسلامية لا أساس له ، وإنما هو نوع من الغواية والعماية أيضا .

وربما تسأل كيف استطاع المفكر المسلم اقتناص تلك الأصول المنهجية من النقل المنزل كناحية نظرية ، أو الأحكام العملية إن لم يكن قد اقتبسها كطرائق فكرية من الفكر الآخر الذى كان سائدا فى تلك الأونة دون نظر إلى نوعية ذلك الفكر ؟

والجواب : أن المفكر المسلم حين يمارس تطبيق الأحكام الشرعية ، فانه كان يصدر فيه عن نص الحكم المنزل[١] ، وهى ناحية نظرية وتوجيه نظرى أيضا ، غير أن هذا التوجيه النظرى يحمل فى طياته توجيها جديدا إلى ممارسة العمل والتطبيق أيضا ، ولما كان المفكر المسلم يحرص على الاهتمام بالنظر إلى الواقع الخارجى من اجل تبين اثر تطبيق النص المنزل ، فإنه يعتاد ان يربط دائما بين ما هو منطوق به وتلقاه عن طريق العقل من خلال النص المنزل ، واثر هذا التطبيق فى الظروف والملابسات المحيطة به[٢] ، أو التى يتوقعها كظروف مستجدة .

وبمعنى آخر انه يربط بين التوجيه المنزل ، وما يترتب عليه من آثار ، وهى دربة عرفها العقل العربى قديما ، وترسخت لدى المسلمين بعد ظهور الإسلام حتى صار من المعروف ان تلك الأصول المنهجية وليدة الفكر الإسلامى وحده لا الفكر اليونانى ، أو غيره من الأفكار التى قد يظن أنها أثرت فيه .

ومن المؤكد أيضا أن تلك المنهجية المتكاملة فى الربط بين النظر والعمل ، قد أخذها الغربيون مؤخرا ، ونسبوها لأنفسهم من غير ان يعلنوا صراحة أماكن اقتباسهم منها ، ولو كانت وليدة ثقافتهم ، أو ربيبة أفكارهم لأعلنوا عن أماكنها فى رءوس مفكريهم ، وهو ما لم تقم عندهم أدلة عليه ،لأن ذلك ليس مما يتوافق مع البيئة التى عاشوا فيها ، والظروف التى أحاطت بهم .

بيد أنه فى الإسلام تقوم العقيدة والشريعة ، أو النظر والعمل على وجه التآلف والتكاتف ، والتعاون فلا عقيدة إذا أنكرت الشريعة ، ولا شريعة إذا لم

---

(١) راجع كتابنا أوراق منسية فى النصوص الفلسفية ص٨٧ - مطبعة آل بسيونى الثالثة ٢٠٠٠م .

(٢) الدكتورة فوقية حسين محمود - مدخل إلى الفكر الإسلامى ص٢٦ .

تكن عقيدة[١]، أما فى الغرب فان العمل عندهم مقدس فى أماكنه فقط، والعبادة لا مكان لها الا فى مفاهيم رجال اللاهوت داخل جدران الكنيسة، فانفصل بهذا الاعتقاد عندهم عن السلوك، وراح كل منهما غير الأخر، ولا علاقة له به .

بل بات من المؤكد عندهم وجود اختلاف واضح فى أفهامهم بين العلم والدين، فالدين له مفاهيمه ورجاله داخل الكنائس أو الأديرة والمقامع والصوامع والبيع التى يؤدى فيها، حتى صار له استقلال تام عن الحياة المعاشة، وصار رجل اللاهوت يقضى عمره داخل فكره، والكنيسة التى ينطوى تحت شعارها، دون أن يكون له أى تأثير فى الحياة، فهو مستهلك لثقافة الآخرين وإمكانياتهم، وهم فى نظره أعداؤه، لأنهم لم يقلدوه فى ذلك الانعزال، وصار العقل عدوا للدين الذى يمارسه هؤلاء اللاهوتيون[٢]، وينفر منه من يدعون أنهم من أهل الفكر أو يزعمون .

كما ان العلم عندهم هو الأخر صارت له مفاهيمه ورجاله وارتباطه بالعمل المتعلق به فقط، والمعامل التى يمكن التعرف عليه من خلالها، فى أسواق العمل التقنى بعيدا عن آية التزامات روحية أو وجدانية، فضلا عن أن تكون لها ارتباطات أو تعلقات دينية[٣]، فبادل رجال العلم - عندهم - رجال اللاهوت العداوات، واستمرت بينهم المنازعات، واشتدت الخصومات، وصار الدين عندهم عدوا للعقل كما بات العقل فى حياتهم عدوا للدين، وكان لذلك أثره السلبى فى الطرائق المنهجية التى اتسمت بالبتر والقطع، وليس التكامل والتآزر، وذلك يؤكد أن الفكر الإسلامى ابن الإسلام وليد النقل المنزل والعقلية

(١) راجع كتابنا - لماذا انتشر الإسلام ؟ - جـ٢ ص١٧، وكتابنا بين المسيحية والإسلام فى العقيدة والأحكام ص٩٧

(٢) راجع كتابنا - قضايا حية فى الفلسفة الحديثة ص٧٥ .

(٣) الأستاذ وصفى محمد فضل - دراسات فى الفكر الغربى إبان القرن السابع عشر ص٨١ .

الإسلامية ، وهو قائم فى حماية العقيدة والشريعة ، ولحمايتها أيضاً[١] ، فالعلاقة بينهما متبادلة ، متكاملة ، وليست منقطعة مبتورة متهالكة ، ولله در القائل

حمدت الله ربى إذ هدانى ∴ إلى الإسلام والدين الحنيف
فيذكره لسانى كل وقت ∴ ويعرفه فؤادى باللطيف

فالنقل المنزل يحمى الفكر الإسلامى ويصونه عن العبث والتردى ، أو الهبوط والسقوط فى المهاوى سواء فى ناحية العقيدة أو الشريعة أو الأحكام ، أو الأخلاق ، فضلاً عن السلوك ، والفكر المسلم يحمى النقل المنزل فيعرضه على من يجهله ، ويتقن ذلك العرض مستخدما كل إمكانياته فى حفظه وشرحه وتبليغه ، ثم يأتى دوره فى الدفاع عن النقل المنزل لدفع شبه الخصوم ، وبيان بطلانها ، وعدم صدق المقدمات التى قامت عليها ، أو النتائج التى انتهت اليها ، ولا يفعل ذلك الا المفكر المسلم وحده الذى تميز عن غيره بتلك الخصوصية .

◉ من هنا ننتهى إلى : أن التزام المسلم الأحكام الشرعية كان عاملاً من العوامل الأساسية لنشأة الفكر الفلسفى الإسلامى أو الحكمة الإسلامية ، بجانب العوامل الأخرى الخاصة به ، وهى النقل المنزل ، ثم القدرات العقلية[٢] ، وأن كلا منها يتعامل مع الأخر ، ويؤكد أن ذلك من خصوصيات المفكرين المسلمين التى لم يعرفها اليونان ، أو الغرب أو غيرهم فالزعم بأن الفلسفة الإسلامية وليدة الفكر اليونانى زعم باطل لا أساس له الا الخيال ومثله لا تقوم عليه قواعد عامة .

---

(١) من يراجع المؤلفات الإسلامية فى كتب العقيدة والفقه والأخلاق ، بل وكل فروع العلم الإسلامى يجد ذلك واضحا حتى صار قاعدة عامة مشتركا فى الأبحاث التى يقوم بها المفكرون المسلمون على اختلاف اتجاهاتهم

(٢) ذلك هو ما عرضنا له أثناء حديثنا عن القدرات العقلية والتزام الأحكام الشرعية .

العامل الرابع
الرغبة في خدمة الدين الإسلامي نفسه

المفكر المسلم الملتزم حريص على أن يؤدى خدمة للدين الإسلامى، فى أى فرع من فروع المعرفة التى يمكنه الوصول اليها عن طريق الإتقان لها، والإيجاد فيها، وتلك الرغبة دفعته إلى أن يبتلى قدراته العقلية المرة تلو الأخرى، سواء فى التأمل للنقل المنزل ذاته، أو فيما يهدف اليه النقل المنزل باعتبار أنه المصدر الأول[١]، والوحيد الذى يقوم عليه الدين الإسلامى من ناحية الأصول المستمد منها والقواعد القائم عليها .

وآية ذلك أنهم كانوا ينعمون أنفسهم فى رياض القرآن الكريم تلاوة وتأملا، فعن أبى موسى الأشعرى ﷺ أن الرسول ﷺ قال لو رأيتنى البارحة وأنا استمع لقراءتك لقد أعطيت مزمارا من مزامير آل داؤد[٢]، وزاد فى رواية الإمام مسلم ﷺ فقلت يا رسول الله لو علمت أنك تستمع لقراءتى لحبرته لك تحبيرا[٣]، وهو دليل بين عن حرص المسلم الشديد على القرآن الكريم فى كل ناحية من نواحيه .

كما أن حرص الصحابة رضوان الله عليهم أجمعين على السنة النبوية المطهرة هو نفسه حرصهم على القرآن الكريم باعتبار أن المبلغ بهما هو المتحدث بهما معا هو سيدنا محمد ﷺ وفى القرآن الكريم قال تعالى ﴿"وما أتاكم الرسول فخذوه وما نهاكم عنه فانتهوا واتقوا الله ان الله شديد العقاب"﴾[٤]، فالاحتفاء

---

(١) راجع كتابنا - حبو الوليد فى علم التوحيد ص٣٢٥ ط الخامسة .

(٢) صحيح الإمام البخارى كتاب فضائل القرآن باب حسن الصوت بالقرآن القرآن ص٩٢ ط دار المعرفة .

(٣) صحيح الإمام مسلم جـ٦ كتاب صلاة المسافرين وقصرها باب استحباب تحسين الصوت بالقرآن ص٨٠ بشرح الإمام النووى .

(٤) سورة

بالنقل المنزل كان وسيظل ان شاء الله تعالى - سمة أهل الإسلام الذين تميزوا بالعرفان لله رب العالمين والاحترام لتعاليمه وتعاليم رسوله ﷺ كلها .

على أن هذا الحرص الشديد من مفكرى المسلمين لابد ان يترجم بشكل عملى ، فكان لابد من خدمته كنقل منزل ومصدر الإسلام الوحيد ، وإلا فمن الذى يقوم بذلك الدور إن لم يقم به المفكر المسلم نفسه ؟ من هنا رأى المفكر المسلم أن دوره كمسلم ليس كدور العوام ، وانما عليه مهمة أكبر ، أنها مهمة تتناسب معه تقوم على خدمة الدين الإسلامى من خلال خدمة نصوصه والمحافظة على قواعده ، واستخراج النتائج التى تنتهى إلى تقديم نوع غير مألوف من الخدمة لله تعالى ورسوله ودينه الإسلامى الحنيف .

من ثم فقد صال المفكر المسلم بعقله وجال خدمة لذلك الغرض نفسه الذى وصل تأثيره على عقول المفكرين إلى الحد الذى جعلهم يتمسكون به تمسكهم بالنقل المنزل نفسه ، وتمسكهم بالدين الإسلامى نفسه ، باعتباره وسيلة موصلة إلى ذات الدين من خلال تفهم تلك النصوص ، وما يتوصل به إلى الواجب فهو أيضا واجب ، وهى قاعدة أصولية تجرى لدى علماء الأصول من المسلمين ، كما تجرى غيرها من القواعد الآمرة أو الناهية أو التى تبنى عليها قواعد أخرى هى نفسها لخدمة الدين الإسلامى ، والمحافظة على قدسية النقل المنزل أيضا ، مع الالتزام بما يهدف اليه ، مهما كلفه ذلك من مجهود عقلى أو بدنى أو مالى .

لكن ذلك يحتاج لوانا من المنهجية تتناسب مع ظروف النصوص الدينية ذاتها من حيث العموم والخصوص ، والإطلاق أو التقييد ، والتقديم أو التاخير[1] ، إلى غير ذلك من الوجوه التى تحتاج العديد من الجهود حتى تخرج منها ألوان الإبداع المختلفة ، فكان التخصص الدقيق فى فروع العلم المختلفة أحد

---

(١) وذلك من خصائص القرآن الكريم ، ومن وجوه إعجازه أيضا - راجع كتابنا الغزاليات فى السمعيات ، وكتابنا مطاعن الكافرين فى القرآن الكريم والرد عليها .

السمات التى برز فيها دور المفكر المسلم فى مجال خدمة الإسلام نفسه ، حيث ظهرت جهود المفسرين على اختلاف انتماءاتهم[١] ، والمحدثين مع تنوع اتجاهاتهم ، والفقهاء مع تعدد مذاهبهم فى الفروع[٢] ، وكذلك ظهر النحاة ، وعلماء البلاغة ، وفى نفس الوقت ظهر الصوفية ، والمتكلمون ، واصحاب التأمل الخالص فى مجال الميتافيزيقا التأملية[٣] من أهل الإسلام .

ولم يكن ذلك الدور غائبا على المفكر المسلم ، لأن النصوص الدينية ذاتها داعية اليه ، مطالبة اياه القيام به ، وهو دور المحافظة على الدين الإسلامى بحفظ نصوصه ، ومباشرة أركانه ، والتمسك بقواعده ، واستنفاذ الطاقة فى التعرف عليه ، وإبلاغه إلى الآخرين ، وكان ذلك كله هو دور الحكيم المسلم الذى كانت رغبته فى المحافظة على الإسلام وخدمته أحد العوامل التى ساعدت على نشأة الفكر الفلسفى الإسلامى[٤] ، أو بمعنى أدق على ظهور الحكمة الإسلامية فى ذلك المظهر الواعى الذى أبانت عنه المؤلفات الفنية للحكماء المسلمين أنفسهم .

ولسنا بهذا الذى نؤكد عليه من استقلال الحكمة الإسلامية عن غيرها تماما ، نضرب فى الفيافى ، أو نغرق فى بحار الخيال ، وانما هو القواعد التى نراها جديرة بالعناية ، وهى فى نفس الوقت واجبة الاحترام ، من ثم فان الالتفات اليها والتمسك بها يعتبر ضرورة شرعية[٥] ، لأن فيها ارجاع الأمور إلى قواعدها الصحيحة المعمول بها وهى التى لا محيص عنها لمن يريد الوصول إلى الحقيقة ، أو الحكم الصائب فى مسألة استقلال الفكر الفلسفى الإسلامى بنفسه ، أو عدم استقلاله عن غيره .

---

(١) راجع مناهل العرفان فى علوم القرآن ، وتفسير المفرد .

(٢) راجع الحركة الفقهية للدكتور محمد مصطفى اباى ، والمدخل فى الشريعة الإسلامية للدكتور عبدالكريم زيدان

(٣) راجع تأملات فى الفكر الإسلامى للدكتور عبدالحسيب نعمى ط بعلبك

(٤) هذا الذى ذهبنا اليه ، ونؤكد عليه ، والنصوص الإسلامية تظاهرنا ، وكذلك حركة الفكر الإسلامى .

(٥) الضرورات تتعدد باعتبار اللغة والعرف والوضع ، ولكنها فى الشرع تكون كبرى .

بيد أنني أرى أن خدمة الدين الإسلامي سواء في مجال العقيدة أو الشريعة، والأخلاق، أو في مجال المعاملات والعبادات، والحدود والجنايات، أو غيرها من الجوانب التي تمثل نوعا من التميز والأصالة للدين الإسلامي، كل ذلك هو الذي دفع المفكر المسلم إلى شحذ قواه العقلية والروحية بل والوجدانية والمادية أيضا[1]، التي ظهرت آثارها في الحياة الفكرية والعلمية بل والأخلاقية أيضا.

ولا أكون مغاليا إذا قلت أن الرغبة التي تنامت لدى المفكر المسلم في خدمة الدين الإسلامي كانت المحرك الأول والفعال الذي أثر بشكل أكبر من غيره بعد النقل المنزل في نشأة الحكمة الإسلامية، كقواعد وأصول أو مناهج وغايات، أو نتائج وموضوعات.

العامل الخامس
محاولة التوفيق بين منطوق النقل المنزل والمشهدات العقلية[2].

عرف المفكر المسلم أن النقل المنزل من عند الله وحده قادم، وهو في علم الله تعالى وحده قائم، قبل أن يخلق الله تعالى الأكوان، باعتبار أن النقل المنزل هو كلام الله تعالى، ولما كان الكلام الإلهي صفة المتكلم به، وهو الله تعالى فان الكلام نفسه هو المعبر عن تلك الصفة الإلهية[3]، في نفس الوقت فان النقل المنزل يمثل جزء من علم الله تعالى الأزلي لا كل العلم الإلهي الأزلي، وذلك كله قد

---

(١) راجع كتابنا - لماذا انتشر الإسلام ؟، وكتابنا - قضايا حية في الفلسفة الحديثة.

(٢) هذه العوامل كلها استخرجناها من توفيقات الله لنا، وذلك من نعمه تعالى، فالنعم منه تعالى، والمنع منه تعالى أيضا، فهو المعطي وهو المانع جل علاه.

(٣) راجع كتابنا الإيمان بالغيب وأثره على الفكر الإسلامي، وكتابنا حبر الوليد في علم التوحيد، وعبدالكريم الخطيب وآراؤه الكلامية، وكتابنا الغزاليات في الإلهيات، وكل منها يحمل اشارة إلى تلك المسألة فإذا أجمعت كلها قدمت نوعا من التصور المتكامل للمسألة.

يأتي عاليا عن الأفهام القائمة التي قد تقدم معطيات ، ربما خالفت بعض ظواهر النقل المنزل[1] ، ولو في مجرد التصورات التي تتم حولها .

وحينئذ يلجأ المفكر المسلم أو الحكيم المسلم إلى إنزال العقل تحت تنزلات الوحي ، أو إخضاع المعارف العقلية إلى المعارف النقلية ، وذلك يحتاج منه مجهودا عقليا كبيرا ، كما يحتاج طاقة فكرية بجانب الالتزام الوجداني والسلوك العبادي والروحي أيضا[2] ، بحيث تعتبر هذه وتلك بمثابة العوامل المساعدة له في اقتناص شوارد العقل ، والتعرف على بوادر النقل سواء في بواديه أو إعجازه[3] ، أوامره ونواهيه ، قضاياه أو أحكامه ، وكل ما يتعلق به من هذه الناحية وغيرها .

غير أن ذلك المعطى العقلي قد يكون على درجة من القبول ، وفي نفس الوقت فان صحة النقل المنزل ذاته على نفس درجة القبول أيضا[4] ، وحينئذ لابد للمفكر المسلم أن يوفق بين الاتجاه العقلي الصحيح ، وظاهر النقل المنزل الصحيح أيضا ، وذلك دور له أهمية كبرى في خدمة الدين الإسلامي بخدمة نصوصه المنزلة ، وخدمة العقل الصحيح بخدمة نتائجه الموثقة على لغة العلم اليقيني ، وليس الظني أو الاحتمالي .

وقد فطن المسلمون الأوائل إلى ذلك الدور من أول مراحل نزول الوحي ، وكان الصحابة الكرام يسألون رسول الله ﷺ عن كل ما انزل اليه ، ويحرصون عليه تلاوة وحفظا واستذكارا واستظهارا ، عملا وعلما واعتقادا ، حتى كان بعضهم يشهد أنه ما من آية من آيات الله تعالى نزلت إلا وهو عارف أين نزلت ،

---

(١) هذا التخالف في المفهوم باعتبار ان اللفظ المؤول دال على معنى من المعاني التي قد يرسخ بعضها حسب اجتهادات العقل ودال على غيرها حسب توفيقات الله للآخرين .

(٢) لأن المسلم يتكامل بالإسلام الذي لا يتجزأ الا باعتبار الأدلة فقط ، أما من الناحية العلمية العقدية ، فأمره واحد .

(٣) ذلك دور ننهض جميعا لخدمته في حدود الإمكانيات التي منحنا الله تعالى إياها ، والفضل من الله تعالى .

(٤) وهو ما يعرف في الدراسات العلمية باسم موافقة صحيح النقل وسليم العقل .

وفيما نزلت ، ومتى نزلت[1] ، وذلك لاستمرار صحبتهم لرسول الله ﷺ وملازمتهم إياه ، وحرصهم الشديد على هاذين النورين - نور القرآن الكريم ونور النبى ﷺ [2] ، النبى الخاتم الكريم الأمين .

وكان ذلك اللون من الحرص على النقل المنزل قد تلاقى مع القدرات العقلية فى ذات المنتج العقلى ، وهنا يجيء دور اقتباس الحكم الشرعى من النقل المنزل فى المسألة ذاتها أو التعرض للإجابة علة سؤال معين قد يرد من غير المسلمين فى جانب مما تعرض له النقل المنزل وظاهره يخالف قضايا العقل الصحيح ، فتأتى ضرورة الموافقة للنقل والعقل ، أو التوفيق بين النقل والعقل ،

❁ وهنا يجد المفكر المسلم نفسه بين أحد أمرين :

○ الأول :- أن يكون الأمر الوارد فى لسان الشرع غير مطروق عند العقل بمعنى أنه لم تسبق له به معرفة ، وبالتالى فان المفكر المسلم يأخذ به ثم يحاول استحثاث قدراته العقلية ، وملكاته العلمية على تفهمه[3] ، متى كان ذلك ممكنا له ، وبذا تكون النتائج المستجدة غاية الدقة لكونها معتمدة على النقل المنزل نصوصا وقواعد ، واستخلاص العقل للمفكر السليم كنتائج .

---

(1) حكى مثل هذا عن سيدنا عبدالله بن العباس ﷺ وسيدنا عبدالله بن مسعود ﷺ وغيرهما من صحابة رسول الله ﷺ ، ومن يراجع كتب علوم القرآن قديما ، أو مناهج المفسرين حديثا يرى ذلك واضحا .

(2) وفى القرآن الكريم ما نستشهد به على النبى محمد ﷺ نور من ذلك قوله تعالى ﴿ يا أهل الكتاب قد جاءكم رسولنا يبين لكم كثيرا مما كنتم تخفون من الكتاب ويعفو عن كثير قد جاءكم من الله نور وكتاب مبين يهدى به الله من اتبع رضوانه سبل السلام ويخرجهم من الظلمات إلى النور بإذنه ويهديهم إلى صراط مستقيم ﴾ سورة المائدة الآيتان ١٥/١٦ .

(3) راجع كتابنا - لماذا انتشر الإسلام ؟ جـ١ ص٦٣ .

○ الأمر الثاني :- ان يكون الأمر الوارد من مستجدات العقل القائمة على قواعد مقبولة على ناحية منهجية[١] ، فإذا أراد توثيقها على الناحية الشرعية حدث نوع من التخالف بين القاعدة العلمية وظاهر النصوص الشرعية[٢] ، ومن ثم فإن المفكر المسلم ينظر لقضاياه هذه من حيث الاحتمال والقطع على النواحي الآتية :-

[أ] فإن كانت نتائج العقل فى المسألة احتماليه طواها فى مفهوم النقل المنزل ولم يعتبر بينها تخالفا ، لأن النقل المنزل أدق وأعم وأوثق وهو الأصدق ، النتائج الاحتمالية فهى أخص ، وفيها الظن أو الاحتمال القائم[٣] ، ومثله لا يكون حاكما على الأعم الأوثق والا كان قلبا للأمور بما يمثل ارتدادا وليس تقدما ، ومثله لا يقبل عليه المفكر المسلم المبدع أبدا .

[ب] أن تكون نتائج العقل يقينية على سبيل القطع – وهى نادرة ، لأنهم يقولون : العلم لا يعرف الكلمة الأخيرة[٤] ، والنتائج الواردة منه لا تعتبر ضرورية أو قطعية – على سبيل الاستمرار المطرد – فإن المفكر المسلم يقوم بتأويل ظاهر النقل بمعنى أنه يعدل فى فهمه للنقل المنزل ، ولا يعدل فى ذات النص المنزل أبدا[٥] .

---

(١) نقصد بالمنهج هنا ما يحمل حد القاعدة الثابتة المعمول بها وهى فى ذات الوقت مؤسسة على نتائج بدهية ، أو قائمة على قواعد سابقة الثبوت من جانب العقل ولا مماحكة فيها من جانب الشرع .

(٢) وذلك يقع كثيرا فى النصوص الاحتمالية فى دلالتها بعد كونها قطعية فى ثبوتها ، اما إذا كانت ظنية فى ثبوتها فإن المنتج العقلى يغلب وكفته ترجح على النص الاحتمالى فى وروده أو ثبوته .

(٣) وهى اعتراف من العقل بأن نتائجه غير سليمة على سبيل القطع أو اليقين .

(٤) هذا ما يتردد كثيرا فى العلوم والمعارف التى يقف أصحابها من أنفسهم موقف المنصف ، لا موقف المتعصب المتحيز .

(٥) تلك مسألة مهمة أود أن يلتفت اليها أهل العلم بالذات ممن يظنون بأنفسهم خدمة الدين الإسلامى ، ثم يتوهمون بحكمهم على إخوانهم من المسلمين لمجرد الاختلاف فى الإفهام ، وكانوا وحدهم الذين لهم الحق فى فهم النقل المنزل بحيث تعتبر آراؤهم هى قواعده وأركانه .

فهو يملك فقط تعديل فهمه أو الافهام التى سلف القول بها ممن سبقه ، وهو تعديل فى الفكر الإسلامى ، وليس تعديلا فى النقل المنزل ، وتلك من سمات الحكماء المسلمين الذين كانوا درة فى جبين الدهر فهم لم يذهبوا مذهبا يخالف النقل المنزل الصحيح أبدا ، وإنما خالفوا بعض المفاهيم التى سبقها اليها غيرهم ، أو مخالفة المفاهيم لا يعتبر من قبيل المخالفة فى الدين ، الا إذا اعتبرت تلك المفاهيم هى نفسها الدين ، ولم يقل بذلك الا من يفرض الرأى بقوة السلطان لا بسلطان الدليل[1] .

ولا شك أن محاولاته الموافقة بين النقل المنزل من حيث الظاهر المخالف للقواعد العقلية القطعية تحتاج دربة ، وطول ممارسة ، كما تستلزم طاقات عقلية ونفسية وأرصدة من الثوابت الفكرية ، والا فما هو الميزان الذى يستوى عنده حتى يوفق من خلاله بين القضايا المطروحة ؟ وما دامت قد اجتمعت لديه كل هذه الملكات[2] ، فانه حتما سيتحول من مجرد مستهلك فكرى إلى منتج للأفكار ثم مصدر لها أيضا .

لذا قد فطن المسلمون الأوائل لهذه الأدوار المنوطة بالمفكر المسلم ، فأسرعوا – كل فيما يخصه – إلى بذل الجهود ومضاعفة الطاقات واعتبار ذلك اللون من البحث المتميز نوعا من الجهاد فى سبيل إعلاء كلمة الحق ، والمحافظة على العقيدة الإسلامية الصحيحة وابلاغ التكاليف الشرعية لأهل الإسلام جميعا ، وهو ما تميز به الحكيم المسلم[3] ، وكشف عن أصالته فى الجوانب المعرفية بعد استقلاله فى القضايا العقدية والشرعية .

---

(١) راجع كتابنا – عقيدتنا رفع عيسى ﷺ ونزوله بين الإسلام والنصرانية ص٣٥ .

(٢) من عقيدة سليمة ، وعبادة صحيحة ، وقيم أخلاقية مستمدة من القرآن الكريم ، والسنة النبوية المطهرة ، وقدرات عقلية متميزة .

(٣) الشيخ محمد منصور الصافورى – موقف المسلمين من قضايا الفكر ص١٧ ط أولى – القاهرة ١٩٣٧م .

❁ وفى تقديرى : أن القول باعتبار رغبة المفكر المسلم فى التوفيق بين النقل والعقل هو أحد عوامل نشأة الفلسفة الإسلامية ، أو الحكمة الإسلامية ينال الكثير من التقدير والاحترام العلمى ، وبخاصة ممن يحسنون وزن الأمور ، كما يتقنون وضعها فى نصابها ، وهم الحكماء ، أما غيرهم ممن يتعجلون إصدار الأحكام ، أو ليست لديهم القدرة على الوصول إلى الحيدة والموضوعية ، فلسنا نعنى بهم ، ولا نضيع الوقت فى صرفهم عن أمرهم ، لأن العلم بالله نعمة من أنعم الله تعالى ، فمن حرمها فقد ضاعت منه نعمة هى من أجل النعم .

كما أننا لا نحصر العوامل التى أدت إلى نشأت الحكمة أو الفلسفة الإسلامية منه ، وانما هى وجهة نظر نراها راجحة عندنا على غيرها ، وفى نفس الوقت فإننا نميل إلى القول بوجود عوامل أخرى غير التى سلف القول بها أدت كلها إلى نشأة الحكمة الإسلامية ، وان كان تأثير بعضها أقوى من البعض الآخر ، أو أكثر عمقا وأوسع مجالا ، وذلك ما سوف نعرض له فى وقت آخر أن أمد الله فى العمر ويسر فى الأسباب ، وما ذلك على الله بعزيز .

❖ ربما يقال : ما دور الترجمة أو الفلسفة اليونانية فى نشأة وتكوين الفلسفة الإسلامية[1] ؟ وانت لم تذكر ذلك الدور ابدا ، مع أن العلاقة بينهما قائمة وأوجه التشابه ليس من السهل تجاوزها[2] ؟! أم أنك تريد تبنى وجهة النظر المخالفة مع عدم وجود من يقف معك فى نفس الاتجاه .

✍ والجواب : أن المفكرين المسلمين الأوائل قد تعاملوا مع النقل المنزل من أول وهلة ، وأن معارفهم الذهنية قد تكونت من المعارف الإسلامية ، وأن الإيمان

---

(١) الكثيرون يركزون على أن أهم العوامل التى أدت إلى نشأة الفلسفة الإسلامية هو ترجمة الفلسفة اليونانية إلى اللغة العربية أيام حكم خلفاء بنى أمية ، وبنى العباس ، وذلك مرجوح عندى ، وليس لديهم ما يعضده .

(٢) راجع نقد هذه المسألة فى كتاب الفكر الفلسفى الإسلامى لشيخنا الدكتور سليمان دنيا - رحمه الله - فقد بين فسادها .

العقدى كان أكثر رسوخا فى أعماقهم من التفكير العقلى[١] ، وظلوا على ذلك الحال تتنامى معارفهم بعد تنامى قدراتهم العقلية المرتكزة أساسا على القاعدة الإيمانية الصحيحة ، فهم أمنوا واعتقدوا أولا ، ثم بحثوا واستدلوا ثانيا.

فى نفس الوقت فإن أهل الإسلام قد درجوا على رياض النقل المنزل فتشربوا من تعاليمه ، ونسموا من أعابيره عملا وعلما بعد صحة اعتقاد وسلامة يقين ، وقد استمر ذلك معهم من بداية عهد النبوة الخاتمة من بداية نزول القرآن الكريم ، حتى انتقل الرسول الكريم ﷺ إلى الرفيق الأعلى[٢] ، ثم انطلقوا فى معارفهم العلمية بأقصى سرعة ، وأقوم طريق بجانب الالتزام القوى بالقواعد الشرعية ، وأن ذلك كان ديدنهم ، وظل معهم لم يفارقهم ، وكانوا يتمسكون به فى امتداداتهم من الأبناء والأحفاد .

فلما حدث احتكاك متواصل مع مفكرى الإسلام وغيرهم ممن دخلوا البلاد الإسلامية للتجارة ، أو الصناعة ، أو تلقى العلوم والمعارف — أو كان انطوائهم تحت جناح الأمة المسلمة ضرورة لوجودهم داخل الأمة الإسلامية أو لأية اعتبارات أخرى — من جدل حول العقيدة ، أو تناول لبعض المسائل المتشابهة فى النصوص ، وإن كانت متخالفة فى المفاهيم والاتجاهات ، كان غير المسلمين يستعملون مفرداتهم الثقافية فى الحوار الذى يقيمونه أو يقومون به[٣] ، وكان من الطبيعى أن يحصل تبادل لتلك المفردات كمنطوق لفظى فقط ، لا كقيمة علمية .

غير أن مفكرى الإسلام قد نظروا فى تراث غيرهم ، فما وجدوا منه ما يمكن الأخذ به فى مجال العلوم المادية فقط وضعوه فى ميزان النقد والموازنة ، فإذا

---

(١) كمن عن هذا الجانب المرحومة الدكتورة فوقية حسين محمود فى كتابها مقالات فى أصالة الفكر المسلم .

(٢) الدكتور السيد أحمد عبدالكريم – دراسات فى الفكر الإسلامى ص٢٥ .

(٣) راجع فى هذا الصدد – موقف القرآن الكريم من عقائد أهل الكتاب – دكتوراه مخطوطة بكلية أصول الدين – القاهرة للدكتور إبراهيم عبدالحميد سلامة .

ثبت لديهم أن له فائدة ما يمكن تأتى منه فى مجال العلوم الدنيوية كالطب والرياضة مثلا ترجموه إلى البيئة الإسلامية ، كما ترجموا تراثهم الإسلامى إلى الفارسية واليونانية[١] ، وغيرها ، كنوع من التبادل الثقافى ، بمعنى أن ينقل المسلم تراثه إلى الآخرين ، ثم ينقل بعض تراث الآخرين للبيئة الإسلامية ، مع التنبيه على ما فيه من منافع أو مثالب[٢] ، لا تحقق منفعة للأمة الإسلامية ، لأن المعيار فيها عند المفكر المسلم هو مدى ما تحققه من فائدة للأمة الإسلامية .

كما أن الترجمة قد تمت فى نهايات الثلث الأخير من القرن الأول الهجرى ، برعاية الأمير خالد بن يزيد ، كما يقال - وأنها دعمت بموقف أمير المؤمنين الخليفة الخامس سيدنا عمر بن عبدالعزيز ٩٩-١٠٢هجرية ، ولا شك أن الفترة السابقة على الترجمة كانت طويلة نسبيا ، وكانت خالصة للنقل المنزل وحده[٣] ، وخالية من أية عوامل خارجية أخرى ، وبالتالى فان ما تمت ترجمته لا يمثل القواعد الفلسفية الإسلامية بقدر ما يمثل نوعا من الاستخدام لبعض المفردات اللغوية المنقولة بعد تعبئتها بالمعانى المستجدة التى هى وليدة البيئة الإسلامية ، ومستخلصة من النقل المنزل أيضا .

ثم أن عملية الترجمة من العربية إلى اليونانية وغيرها فذلك أمر طبيعى أما الترجمة من اليونانية إلى العربية لابد أن تأخذ دورة كاملة فى العقول ، حتى تستوعبها ، ثم تهضمها ، وبحيث يمكن أن تنقلها كوجهات نظر معبرة عن نوع من التفكير المتعلق بأصحابه على الناحية التى جاء منها ، وهو الذى قد يقبله

---

(١) تعرضنا لنقل التراث الإسلامى إلى غيره وبينا استفادة أوربا منه فى كتابنا : قضايا حية فى الفلسفة الحديثة ، ويضاف إلى هذا المنحى الكثيرون من أهل الإسلام فرحمهم الله جميعا ورحمنا بعدهم

(٢) وكانت تلك المثالب كثيرة ، باعتبار انها لم تقم على قواعد أصيلة .

(٣) ولا يجادل فى ذلك الا مكابر أو من لديه الرغبة فى الطعن على الاسلام والمسلمين .

البعض كمنتج ثقافى ، وقد يرفضه على نفس الناحية[١] ، وبهذا فان الترجمة قد وقفت بتأثيراتها عند مجرد الاستخدام لبعض الألفاظ وإطلاقها على المعانى التى استعملها المفكر المسلم ، وذلك لا يمثل قاعدة تنشأ عنها فلسفة متكاملة فى كافة جوانبها ، كالتى تختص بها الحكمة الإسلامية ، ومن ثم فانه لا اعتبار عندنا لدور الترجمة للفكر اليونانى فى نشأة أصول وقواعد الحكمة الإسلامية من وجهة نظرى ، الا بهذا الاعتبار اللفظى على الناحية اللغوية فقط.

كما أن الثابت لدينا هو أن النقل المنزل قد هيأ الأذهان إلى الانطلاق نحو الميتافيزيقا قبل الترجمة بكثير جاحدا ففى الحديث الشريف ما روى أن النبى ﷺ كان جالسا فى المنزل إذ دخل عليه رجل أبيض اللون حسن الشعر عليه ثياب بيض فسلم عليه النبى ﷺ فرد عليه السلام :

ثم سأله عن الدنيا ، فقال الدنيا كحلم النائم وأهلها مجازون ومعاقبون ، قال فما الآخرة ؟ قال النبى ﷺ فريق فى الجنة وفريق فى السعير ، فقال يا رسول الله ما الجنة ؟ فقال أن تترك الدنيا لطالب نعيمها أبدا ، قال فما خير هذه الأمة ؟ قال : الذى يعمل بطاعة الله ، قال فكيف يكون فيها الرجل ؟ قال : مشمرا كطالب القافلة ، قال : فكم القرار فيها ؟ قال : كالمتخلف عن القافلة ، قال : فكم بين الدنيا والآخرة ؟ قال غمضة عين ، فذهب الرجل فلم يره أحد فقال الرسول ﷺ هذا جبريل آتاكم يزهدكم فى الدنيا[٢] ، فالأسئلة التى تناولها جبريل الأمين ، والإجابات التى قدمها النبى الأمين سيدنا محمد ﷺ خاتم الأنبياء وسيد المرسلين فيها اتجاهات ميتافيزيقية خالصة وتوجيه للعقل المسلم حتى يأخذ صاحبها .

---

(١) عرضنا لموقف أهل الإسلام من الفكر الوافد فى صفحات من هذا الكتاب فراجعه فى موضعه واسأل الله لنا بحسن الخاتمة إنه تعالى أعظم مسئول .

(٢) العلامة الشيخ أحمد بن الشيخ حجازى الفشنى – شرح الفشنى على الأربعين النووية ص٧ .

وقد نجح المفكر المسلم فى التعرف على المسائل الميتافيزيقيا واقتباسها من النص الدينى، كما قد برع فى التعبير عنها نثرا ونظما، شعرا ورجزا، وعلى كافة الأنحاء من ذلك قولهم عن الدنيا بلسان حالها ردا على من عتب عليها :-

عتبت على الدنيا لرفعة جاهل ∴ وخفض لذى علم فقالت خذ العذرا
بنو الجهل ابنائى لهذا رفعتهم ∴ وأهل التقى أبناء ضرتى الأخرى
أو أترك أولادى يموتون ضيعة ∴ وأرضع أولاد ضرتى بالأخرى

﴿ ومن كلام الإمام الترمذى ﷺ قوله حياة القلوب الإيمان، وموتها الكفر، وصحتها الطاعة، ومرضها الإصرار على المعصية، ويقظتها الذكر ونومها الغفلة[1]، وفى الأثر عن أبى سعيد الخدرى ﷺ عن النبى ﷺ قال «إذا أصبح ابن أدم فان الأعضاء كلها تفكر اللسان فتقول له اتقى الله فينا فان نحن بك فانا استقمت استقمنا، وأن اعوججت أعوججنا»[2].

وقد سبقنى إلى بيان ذلك كثيرون من أشياخى علماء وأهل الإسلام[3]، لكن ماذا أصنع أنا لمن يهتم بالنقل العجول مفضلا إياه على التأمل الدؤب متعجلا اقتناص المال راجيا الحصول عليه، حتى لو كان فى معصية الله، أو الإنقاص من دور النقل المنزل، والمفكر المسلم، وكان فيه ظلم لإخوانه من أهل الإسلام، ان ذلك حسابه على الله تعالى، أما أنا فأنى أسأل الله تعالى المغفرة، والتوبة، وسلامة العقيدة، وصحة العبادة، وأن يرزقنا الصبر على الابتلاء والرضا بالقضاء وأن يمتعنا فى الآخرة برضوانه والنظر الكريم إلينا وصحبته سيدنا محمد رسول ﷺ.

---

(١) المجالس السنية فى الكلام على الأربعين النووية ص٦٥ ط الحلبى

(٢) المصدر السابق ص٤٣.

(٣) لترجع مؤلفات الإمام الفخر الرازى، وابن سينا وابن رشد، والفارابى، والبيضاوى، وراجع ما تركه شيوخنا من الماتريدية ففيه خير كثير.

● **لكن بقيت نقاط تحتاج دراسة حتى نستوفى الحديث عن ذلك الذى اعتبرناه ، مدخلا لدراسة الحكمة الإسلامية ، من تلك النقاط ما يلى :-**

[١] علاقة الفلسفة والحكمة الإسلامية ، بكل من التصوف الإسلامى وعلم الكلام فى الإسلام وأصول الفقه ، وغيرها من العلوم الإسلامية التى لها استقلال بذاتها

[٢] تطور التفكير العقلى من عصر الرسول ﷺ حتى عصر الترجمة ، وما بعدها أخذين فى الاعتبار بيان بعض المظاهر .

[٣] لماذا اشتهر المشرق الإسلامى بالسبق فى مجال البحث الفلسفى عن المغرب الإسلامى هل ذلك راجع إلى قدرات عقلية وملكات ، أم لأمور أخرى .

وبهذا نتوقف فى حديثنا عن عوامل نشأة الحكمة الإسلامية أملين أن يكون فيما ذكرنا بعضا من المعرفة التى تعين الإخوان فى الله على كشف ذلك الجانب ، وإبعاد الاتهامات الكاذبة عنه ، ففى ذلك خير لأهل الإسلام ، وطلاب الحقيقة ، والله أسأل أن يهدينا للصواب ويرزقنا التوفيق انه نعم المولى ونعم النصير ، ربنا آتنا من لدنك رحمة وهيىء لنا من أمرنا رشدا .



من المكثروات فى العلوم التى تقوم على قواعد منهجية ، أن المقدمة لأى كتاب تمثل تلخيصا لأبواب وفصول أو مباحث ذات الكتاب ، ثم تأتى الخاتمة التى هى تلخيص لنتائج ذات الكتاب ، أو مباحثه ومسائله وفصوله على النحو الذى تعرضنا له فى هذا الكتاب تحقيقا للقواعد المنهجية ذاتها التى نعنى بها . وقد وفقنا عليها وقمنا بمراعاتها .

ومن الثابت لدينا أننا قدمنا فيه ما اعاننا الله تعالى عليه ، وهدانا اليه ــ فالفضل منه جل علاه ، ومنحه تعالى لا نهاية لها متى عرفها الشاكرون ، لقوله تعالى ﴿" لئن شكرتم لأزيدنكم"﴾[1] ،ونحن نسأله تعالى أن يجعلنا دائما من الشاكرين وبقضائه وقدره راضين .

كما أننا قد طوفنا بين جنبات هذا الكتاب الذى اعتبرناه مدخلا ضروريا من وجهة نظرنا لدراسة الحكمة الإسلامية دون التقيد بأماكن ظهورها أو الأشخاص الذين قيدت أسماؤهم بها[2] ، لأنا نرى أن الفلسفة الإسلامية مضمون ومفهوم فى حدود النقل المنزل ، فأى عقل مسلم قام بها فى تلك الحدود فان الأمر عندنا هو إمكانية وصف صاحبه بأنه حكيم مسلم .

بيد أننا لم نجمل هذا المدخل لتاريخ الفكر الفلسفى الإسلامى من ناحية حكاية المذاهب أو الأشخاص ، كما لم نجعله يتناول موضوعات الحكمة الإسلامية – علي النحو الذي عنى به أشياخنا الأفاضل من أهل الإسلام والا

---

(١) سورة إبراهيم الآية ٧

(٢)فالعبرة عندنا بالمفاهيم لا بالأماكن والجهات .

كان بحثا فى موضوعات الحكمة الإسلامية ، وليس مدخلا لها[١] ، فيكون العنوان غير قائم على الموضوعات المطروحة فيه .

وغير خاف أننا عرضنا فى هذا المدخل لمعنى الحكمة الإسلامية ، وتبين لنا أنها أصيلة فى النصوص الإسلامية ، أو بمعنى أدق أنها موجودة كلفظ فى النقل المنزل ، وكمفهوم فى الفكر الإسلامى على سبيل الاستقلال والأصالة ، وأنها كلفظ ومفهوم قد وجدت فى البيئة العربية قبل الإسلام على الناحية التى جاءت منها ، وهى لذا نبت البيئة العربية والإسلام هو الذى ، ضبط أصولها وقواعدها ، وأنها لم تقتبس من أية أفكار غير عربية أو غير إسلامية ، وهى نتيجة حتمية لابد من وضعها فى الاعتبار عند إعادة النظر فى كتابه أو التأريخ للفلسفة أو الحكمة الإسلامية .

كما تناولنا أيضا علاقة الحكمة الإسلامية بالفلسفات الأخرى ، ورأينا أنها تتمايز عليها جميعا بالاسم والموضوعات والنتائج ، كما تتمايز بالمصادر التى تحميها وتصونها أو تقوم عليها وتدعمها ، وهذا يجعلنا نؤكد فى حسم أن الفلسفة الإسلامية وأن اشتركت مع غيرها فى التسمى بالفلسفة فإنها تخالفها من كافة الوجوه الأخرى[٢] ، أو الاشتراك فى جزء التسمية بينها ، ليس معناه أنها تابعة لغيرها ، أو أنها مقلدة إياها فى كل ما تعرضت له أو فى بعضه .

ثم عرضنا لفوائد الحكمة الإسلامية ، وتبين لنا انها فوائد عديدة ، تقوم لصالح الدين والدنيا ، لصالح العقيدة والشريعة والأخلاق ، وهذا الجانب لم يكن معروفا لدى مفكرى اليونان أو غيرهم ، وبالتالى فان هذه الفوائد تمايز الفلسفة الإسلامية عن غيرها ، وتثبت أنها قائمة على الأصول الشرعية كما أنها أصيلة

---

(١) دراسة موضوعات الفلسفة اهتمام بالفكرة ، أما المدخل فهو الوسيلة للوصول إلى تلك الحكمة الإسلامية .

(٢) ومن ينكر ذلك فعليه أن يقدم من الأدلة التى وقف عليها .

فيها أيضا[1] ، ولا علاقة لها بغيرها من ناحية الفوائد مما يجعلنا نقرر فى شىء من اليقين أنها فكر إسلامى خالص .

❁ فى نفس الوقت فقد تناولنا فكرة وجود فلسفة إسلامية من عدمه ، وبان لنا أنها موجودة فى الأصول الإسلامية ، وأن منكرى وجودها قد دفعهم لذلك :

[١] - الجهل بالدين الإسلامى والحكمة الإسلامية ، ونتائج الجهل لا تعبر قاعدة يمكن أن تقوم عليها أحكام تنتهى إلى الطعن على الحكمة الإسلامية ، أو تنتهى إلى رفضها .

[٢] أما التعصب ضد الدين الإسلامى وحكم المتعصب يفقده الحيدة ومثله لا يكون قاضيا مقبول الأحكام ، أو التعصب للجنس الذى ينتمى اليه وهى فكرة فاسدة فى المبنى والمعنى لأن الناس جميعا من آدم وحواء عليهما السلام[2] .

كما أن أهل الحيدة والموضوعية من غير المسلمين قد اعترفوا بوجود الفكر الإسلامى المتميز فى كل جوانبه ، واعترفوا كذلك بفضل العرب والمسلمين على الحضارة التى بزغت أنوارها على أوربا ، فأيقظت أهلها من نومهم الطويل ، وأخذت بأيديهم إلى حيث المعارف الأصيلة الصحيحة ، وأن الغربيين قد نزعوا للجانب المادى من الحضارة الإسلامية فأخذوه كاملا ثم انتفعوا به فى ديارهم وبعدها نسبوه زورا لأبناء جلدتهم حتى يطمسوا الحقائق بغية إشباع رغبات كذوب فى النيل من الإسلام وأهله[3] .

لكن تعرضنا للعوامل التى قامت عليها الحكمة الإسلامية ، قد كشف لنا أمورا غاية الأهمية ، من أبرزها اعتبار النقل المنزل نفسه أحداهم تلك العوامل ، ثم تأتى القدرات العقلية التى تميز بها أهل الإسلام ، ثم الرغبة فى خدمة النقل

---

(١) ذلك هو الذى أمكننا التعرف عليه ومن يقصد النقل المنزل بحيدة وموضوعية ، فهو بالغ ذلك أيضا .

(٢) فكرة وجود أمر لدم كثيرين ومخالطة ومخالفة للنقل المنزل ، ونحن لا نقبلها - راجع آدم ﷺ للأستاذ البهى الخولى

(٣) راجع الغارة على العالم الإسلامى ، وماذا خسر الإسلام بانحطاط المسلمين ، وكتابنا لماذا ينكمش أبناء الإسلام .

كتب صدرت

الدكتور/محمد حسيني موسي محمد الغزالي

رئيس قسم العقيدة والفلسفة بكلية أصول الدين والدعوة بالزقازيق.

أولا: في علم العقيدة

١) الإيمان بالغيب وأثره على الفكر الإسلامي – أطروحة علمية – ط٧ – الأصدقاء ١٩٩٩م.

٢) حبو الوليد في علم التوحيد – شرح الموقف الخامس للإيجي – ط٤ – صبحي ١٩٩٨م.

٣) عبد الكريم الخطيب واراؤه الكلامية – أطروحة ١٩٩٢م علمية ط٥ آل بسيوني بالزقازيق.

٤) منهج السلف الصالح في إثبات وجود الله تعالي ط٦ آل بسيوني ١٩٩٨م .

٥) الغزاليات في الإلهيات ط٤ الشروق بالزقازيق ١٩٩٨م.

٦) الغزاليات في النبوات – ط١ –آل بسيوني للطباعة والكمبيوتر ٢٠٠٠م.

٧) الغزاليات في السمعيات ط٣ – آل بسيوني ١٩٩٨م.

٨) الغزاليات في المعاد وأمور الأخرة ط٢ مطبعة محمد نصر الله ١٩٩٧م.

٩) المدخل التام لعلم الكلام – أولي آل عزبجي ١٩٩٨م.

١٠) حصاد الاقتصاد في الاعتقاد –ج١–اثبات الذات الإلهية ط١ آل عزبجي ١٩٩٨م

١١) حصاد الاقتصاد في الاعتقاد –ج٣ – الأفعال الإلهية ط١ آل عزبجي ١٩٩٩م.

١٢) حصاد الاقتصاد في الاعتقاد–ج٤ :إثبات نبوة سيدنا محمد صلى الله عليه وسلم ط١ صبحي ١٩٩٩.

١٣) مطاعن أعداء الإسلام في القرآن الكريم والرد عليها –ط١ آل بسيوني ١٩٩٩م.

١٤) التأملات علي ما في شرح المقاصد من سمعيات ج١ ط٣ نور الهدي ١٩٩٤م.

١٥) القضاء والقدر و أثرهما علي المسلم –ط٣- آل بسيوني ١٩٩٨م.

١٦) الإلهيات عند ابن سينا ط٢- آل بسيوني ١٩٩٨م.

١٧) ذكر الله تعالي في القرآن والسنة ط٥ – مطبعة الشرق ١٩٩٢م.

١٨) القسمة و النصيب وعلاقتهما بالقضاء والقدر ط٢ مطبعة الشرق ١٩٩٢م.

١٩) إثبات العقيدة الإسلامية بالدلائل العقلية ط٢ ١٩٨٧م.

٢٠) العقيدة الألهية في الأيات القرآنية ط٣ ١٩٩٢م.

ثانيا: في الفلسفة والمنطق والتصوف والأخلاق

٢١) رياض الأشواق في الميتافيزيقا والأخلاق –ط٤ الشروق بالزقازيق ١٩٩٨.

٢٢) غدوة المشتاق في ربوع الأخلاق – ط٤ مطبعة حبيب بالزقازيق ١٩٩٨م.

٢٣) خواطر حثيثة في الفلسفة الحديثة –ط٤ الشروق بالزقازيق ١٩٩٨م.

٢٤) أوراق منسية في النصوص الفلسفية - ط٣ صبحي بالزقازيق ١٩٩٨م.

٢٥) دراسات في الفلسفة الحديثة والمعاصرة ط٣ ٢٠٠٢م.

٢٦) مناهج البحث بين التقليد والتجديد -ط٣ الوطنية ١٩٩٢م.

٢٧) أوراق مطوية في التصوف والصوفية آل بسيوني ١٩٩٨م.

٢٨) أنسام حية في الأفكار الصوفية ط٤ الشروق ١٩٩٨م.

٢٩) الموسوعة الغزالية في التصوف والصوفية -ج١.

٣٠) الولاية في الفكر الصوفي وأصولها الشرعية -ط٢ مطبعة زاهر ١٩٩٥م.

٣١) قضايا التصوف بين الأنصار والخصوم -ط١ مطبعة نصر الله ١٩٨٨م

٣٢) التصوف المفترى عليه ط١ مطبعة دار سار ١٩٨٩م.

٣٣) قيمة الصراع بين الفلسفة الإسلامية وعلم الكلام ط٤-آل بسيوني ١٩٩٨م

٣٤) قضايا حية في الفلسفة الحديثة ط٣ الشروق بالزقازيق ١٩٩٨م.

٣٥) المنطق بين التنظيم والتقنين ط١ الوطنية ١٩٩١م.

٣٦) النديم في المنطق القديم-ط٤ مطبعة آل بسيوني ١٩٩٩م.

٣٧) الوليد المنطق في علم المنطق-التصورات-ط دار حبيب ١٩٩٨م.

٣٨) الخطاب بين الأصوليين ودعاة الحداثة مفهومه وقراءاته-ط١ آل بسيوني ١٩٩٩م.

٣٩) الغزاليات في منطق التصديقات -ط١-آل بسيوني للطباعة والكمبيوتر ٢٠٠٠م.

٤٠) الغزاليات في منطق التصورات-ط١-آل بسيوني للطباعة والكمبيوتر ١٩٩٩م.

٤١) المدخل لدراسة الحكمة الإسلامية-ط١-آل بسيوني للطباعة والكمبيوتر ٢٠٠٠م.

٤٢) ملامح الحكمة الإسلامية في المغرب ط أولى ١٩٩٨م.

٤٣) التفكير الإنساني و أصوله ومستوياته ط٢-آل بسيوني ١٩٩٩م.

٤٤) الشك في الفكر الإنساني مفهومه ودلالاته ط٣ آل بسيوني ١٩٩٩م.

٤٥) ظاهرة القلق الإنساني بين الدين والعلم ط٣-رضوان ١٩٩٦م.

٤٦) نظرية المعرفة عند ابن رشد-بحث محكم .

٤٧) آراء واتجاهات في الدين والفلسفة-ط٢ آل بسيوني ١٩٩٧م.

٤٨) العلاقة بين بارمنيدس و أفلاطون - ط٤ مطبعة ياسر ١٩٩٥م القاهرة

٤٩) الفلسفة العامة ط٢ ٢٠٠٢م.

٥٠) الحثيث في المنطق الحديث ج١ ٢٠٠١م.

٥١) الدلالة بين الأصوليين والمحدثين والمناطقة - ط١ حري ١٩٩٤م.

٥٢) في الوجود وعلله - شرح النمط الرابع لابن سينا -ط ٢ مطبعة الهدى ١٩٩٢م.

٥٣) ابن باجة مفكرا - ط١ - آل بسيوني للطباعة والكمبيوتر ٢٠٠٠م.

٥٤) آراء عبد الكريم الخطيب الفلسفية - أطروحة علمية ١٩٩٣م.

٥٥) ابن باجة ومذهبه في الأخلاق أطروحة علمية ١٩٨٧م.

٥٦) أثر الحب عند الصوفية على أدباء الرومانسية ط١ مطبعة رزق ١٩٨٨م.

٥٧) نظرية السعادة في الفكر الإنساني -ط١-آل بسيوني للطباعة والكمبيوتر ٢٠٠٠م.

٥٨) التفلسف بواعثه وخصائصه ط١ ٢٠٠٢م.

ثالثا:التيارات الفكرية والفرق والمذاهب المقارنة.

٥٩) أوراق متناثرة في التيارات المعاصرة ط٤ القبس الشريف١٩٩٨م.

٦٠) عقيدتنا رفع عيسى ونزوله بين الإسلام والنصرانية- أطروحة علمية ط٣آل بسيوني١٩٩٨م.

٦١) من وحي البيان في جماعة الشيطان ط٤آل بسيوني ١٩٩٨م.

٦٢) صدع البرهان في جمهوري السودان ط٣ياسر١٩٩٧م.

٦٣) وميض النصرانية بين غيوم المسيحية ط٥ حبيب ١٩٩٨م.

٦٤) حصيف الأمان في التعريف بالملل والنحل والأديان ط٤ دار غريب ١٩٩٨م.

٦٥) مقدمة ضرورية في نشأة الفرق الإسلامية ط١ آل بسيوني١٩٩٩ م.

٦٦) رؤية نقدية في الفرق الإسلامية ط٢ الشروق١٩٩٦م.

٦٧) من قضايا مسيحية وموقف الإسلام منها ط٢ مطبعة طارق ١٩٩٣م.

٦٨) بين المسيحية والإسلام في القيم والأحكام ط٢ مطبعة حسن ١٩٨٣م.

٦٩) علاقة اليهودية الدينية بالعهد القديم ط٣ مطبعة يسرى ١٩٩٤م.

٧٠) اليهودية من الأرض إلى الإعتقاد ط١ مطبعة نصر الله ١٩٨٧م.

٧١) العهد القديم بين المفهوم والدلالة ط٣ مطبعة الشرق ١٩٩٣م.

٧٢) الرد الجميل على شبهات صموئيل ط٢ دار منصور ١٩٩٥م.

٧٣) الرد المحار على قول السحار ط١ مطبعة ناصر١٩٨٢م.

٧٤) في التيارات الفكرية -ط١ آل بسيوني للطباعة والكمبيوتر ٢٠٠٠م.

٧٥) التطور الإحيائي بين الدين والفلسفة -ط١- آل بسيوني للطباعة والكمبيوتر ٢٠٠١م.

٧٦) البابية قراءة جديدة -ط١ - آل بسيوني للطباعة والكمبيوتر ١٤٢٢هـ/٢٠٠١م.

٧٧) الوضعية بين المعقول واللا معقول ط دار منار ٢٠٠٣م.

٧٨) تأليه الديانات الوثنية للآيات الكونية ط أولى ٢٠٠٢م.

٧٩) أثر الوثنية في اليهودية ط أولى ٢٠٠٣م.

٨٠) قوانين الوراثة بين الدين والفلسفة ط أولى ٢٠٠٤م.

٨١) موسوعة العراقية في الجوانب السياسية ج١ ٢٠٠٤م

٨٢) الفكر السياسي عند [illegible] مقارنا بالنظم السياسية الحديثة ٢٠٠٤م.

رابعا:فنون متفرقات

٨٣) الإسلام وتعبئة الشعور العام – ط١ مطبعة محروس ١٩٩١م.

٨٤) لماذا أنتشر الإسلام ؟ج١،ج٢ - ط٥ الأصدقاء ١٩٩٩م.

٨٥) الدرة النيرة في الدفاع عن السنة المطهرة- ج١-مطبعة غريب ط أولي ١٩٩٢م.

٨٦) حلف الفضول عند العرب وأثره في العصر الحديث ط الثانية صنعاء١٩٩٧م.

٨٧) درة المدد بتفسير سورة المسد ط الرابعة الانوار ١٩٩٧م.

٨٨) لماذا ينكمش أبناء الاسلام ج١ ط الثالثة القدس ١٩٩٥م.

٨٩) دور الاعلام المصري ما بين ١٩٦٥حتي١٩٧٣م أطروحة علمية ١٩٧٩م.

٩٠) دور القصص القرآني فى إبراز الانا السلبي ط أولي ٢٠٠١م.

خامسا:الأدبيات

أ)المسرح

٩١) وهنا منهى:مسرحية جادة مرتجلة ط الثامنة آل بسيوني ١٩٩٩م.

٩٢) أطعموا الجائعين:مسرحية تراجيدية ط الرابعة آل بسيوني ١٩٩٨م.

٩٣) المدرس الكشكول:مسرحية كوميدية هادفة مطبعة غريب ١٩٩٤م.

٩٤) ثورة الضمير:مسرحية في اللامعقول ط الرابعة مطبعة صبحي ١٩٩٣م.

٩٥) يا بني أحفظ ثأر الشهيد:مسرحية جادة مرتجلة ط الثالثة عفت ١٩٩١م.

٩٦) صرخة أم :مسرحية هادفة ط الرابعة الشرقية ١٩٩٠م.

٩٧) أم وأبناؤها في معركة :مسرحية تراجيدية ط الخامسة الوطنية١٩٨٧م.

٩٨) مراحل الحقد أحترقت:مسرحية ملهاة ط الرابعة مطبعة ياسر ١٩٨٤م.

٩٩) الحوار الداخلي والمنولوج النفسي:مسرحية رومانسية ط الرابعة غريب ١٩٩٠م.

ب)الشعر العربي

١٠٠) التائه الغريب ديوان في الشعر العمودي ط٧ الأصدقاء ١٩٩٨م.

١٠١) ظلال من الفكر ديوان في الشعر المرسل –ط ٦ – آل بسيوني ١٩٩٩م.

١٠٢) خواطر شاعر ديوان في الشعر العمودي ط٣ غريب ١٩٩٣م.

١٠٣) دعوة مظلوم و نفثة مهموم ديوان في الشعر المنثور ط٥ توفيق ١٩٩١م.

١٠٤) أحلام الشباب ديوان في الشعر المرسل ط١ مطبعة نور ١٩٧٦م.

١٠٥) مسافر عبر الأشواق ط٥ الأصدقاء ١٩٩٩م.

١٠٦) من وحي الصبا الطبعة الرابعة ١٩٩٨م.

١٠٧) أحلام الفجر الطبعة الخامسة ١٩٩٧م.

١٠٨) مسافر على جناح الأشواك الطبعة الثالثة ١٩٩٧م.

١٠٩) مؤذن الفجر ط ٣ ١٩٩٦م.

١١٠) عواطف نبيلة ط٣ -١٩٩٧م.

١١١) فتوحات إلهية -ط١ آل بسيوني للطباعة والكمبيوتر ١٩٩٩م.

١١٢) إلهامات ربانية-ط١ آل بسيوني للطباعة والكمبيوتر ١٩٩٩م.

١١٣) على مشارف الأربعين ٢٠٠١م.

ج)الرواية

١١٤) الوداع الأخير :رواية أجتماعية -ط٥ آل بسيوني ١٩٩٨م.

١١٥) أمرأة المعلم قرني - رواية أجتماعية ط٣ الشروق ١٩٩٨م.

١١٦) الجاهل المتسلط - رواية نقدية ط٥ مطبعة مرسي ١٩٩١م.

١١٧) سالمة رواية اجتماعية ط٤ دار منصور ١٩٩٠م.

١١٨) لا تدعني إلى .....رواية اجتماعية ط٣ مطبعة نصر ١٩٨٩م.

١١٩) مياسة ..رواية اجتماعية ط٤ ط نور ١٩٨٧م.

١٢٠) وداعا أيها اليأس - رواية نقدية ط٤ مطبعة مهيب ١٩٨٥م.

١٢١) سلطان الغريزة - رواية من الخيال العلمي - ط٢ - مطبعة الهدي ١٩٨٧م.

١٢٢) الوجدان المحترق - رواية نقدية - ط١ ١٩٨٢م.

١٢٣) صراع العقل مع العاطفة - رواية من الخيال العلمي - ط١ مطبعة زهران ١٩٨٣م.

١٢٤) شيء من الحقيقة - رواية واقعية ط٣ دار ناصر ١٩٨١م.

١٢٥) أحلام ميت ط١ ٢٠٠١م.

١٢٦) الأزعر والثعبان ط١ ١٩٩٩م.

١٢٧) الثوابت والعولمة ط١ ٢٠٠٠م.

١٢٨) أخلاقيات عطعوط و زيزو الزملوط ط ٢٠٠٤م.

١٢٩) الأقنعة المستوردة ط ثانية ٢٠٠٤م.

١٣٠) الأفعى ذات الرداء المثقوب ط١ ٢٠٠٤م.

١٣١) منصور البطل -رواية واقعية ط٣ -مطبعة زاهر ١٩٨١م.

١٣٢) الشاب الرزين -رواية خيالية أدبية ط٤ دار ناصر ١٩٨٢م.

١٣٣) الفيلق الأزرق- رواية نقدية أخلاقية ط٥ دار حوري ١٩٨٩م.

١٣٤) سويعات في مدارس البنات - رواية نقدية اجتماعية في أنظمة التعليم ط٣ دار ناصر ١٩٧٩م

١٣٥) علي حدود الممنوع ط أولي ١٩٩٩م.

١٣٦) أفراح وأتراح –رواية رومانسية ط٦ هشام ١٩٩٠م.

١٣٧) أقسمت أن أروي – رواية نقدية – ط٤ مطبعة محسن ١٩٨٧م.

١٣٨) أشواق وأطواق – ط٣ مطبعة ١٩٧٨م.

١٣٩) الأخلاق أرزاق –ط٣ –مطبعة يسري ١٩٨٨م.

١٤٠) أعابو عزة – ط٤ مطبعة الحاج وحيد ١٩٩١م.

١٤١) أحلام السحر ط٤ مطبعة خالد ١٩٨٩م.

١٤٢) لمحات من حياتي – ط٤ مطبعة وهيب ١٩٧٨م.

١٤٣) ستشرق الشمس ذات صباح –رواية رومانسية – ط٥ أشرف ١٩٨٢م.

د)في النقد الأدبي

١٤٤) الأدب الرومانسي بين الأصالة والحداثة – ط١ مطبعة منتصر ١٩٨٦م.

١٤٥) أثر الإغتراب علي الأدباء المعاصرين – ط٣ مطبعة شروق ١٩٨٧م.

١٤٦) فن كتابة المسرح النثري ط٤ صبحي ١٩٩٥م.

١٤٧) يوميات في سنوات – ط٦ الكونتنتال ١٩٩٨م.

١٤٨) أنات حائر :الطبعة الرابعة – الشروق ١٩٩٨م.

١٤٩) من روائع الحكم والأمثال ط٣ ياسر ١٩٩٠م.

١٥٠) أنغام زجلية –ديوان في زجل العامية ط٤ دار توفيق ١٩٨٥م.

الفهـــــرس

الفهـــــرس

قراءات فى العقيدة وفلسفة العلم
رقم الإيداع : ٢٠٠٥/١٥٣٩٨
الترقيم الدولي ٥ــ ٢٥٠٢ ــ ١٧ ــ١٧٧